شراب الأرواح

الإمام المجدد

السيد محمد ماضي أبو العزائم

فاتحة الكتاب

الحمد لله الصاحب في الشدة، الولي في النعمة، الغياث في الرغبة، الحافظ في الغيبة، الكافي في الوحدة، الأنيس في الوحشة، الساتر للعورة، المقيل للعثرة.

وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد نور الحق المشرق لبيان سبل الله، وشمس القدس التي طلعت في الأفق العلي، لتكون حجة لمن سبقت لهم الحسنى، سدرة منتهى علوم الخلائق، وعلى آله الطيبين الأبرار الأخيار، الذين أوجبت حقوقهم وفرضت طاعتهم وولايتهم، المتقدم عليهم مارق، والمتأخر عنهم زاهق، والمعادي لهم فاسق، واللازم لهم لاحق، وعلى صحابته الهادين المهديين. ورضي الله تبارك وتعالى عن الإمام المجدد السيد مُحَمَّد ماضي أبي العزائم نور الوراثة المحمدية المتألق، وضيائها المشرق، اللهم اجعلنا من أنصاره قائمين، واكتبنا في أعوانه ناعمين، وبصحبته غانمين، ومن الشر سالمين يا أرحم الراحمين.

ونضر الله وجه خليفته الأول الإمام الممتحن السيد أحمد ماضي أبي العزائم النفس الشريفة والسلالة الطاهرة، والنسمة الزاكية، ﵁ وأرضاه وثبتنا على محبته، وانفعنا بزيارته، واجمع بيننا وبينه في مستقر دار رحمتك يا أكرم الأكرمين.

طبعات الكتاب وأبوابه

تقدم مشيخة الطريقة العزمية هذه الطبعة الثالثة لكتاب "شراب الأرواح من فضل الفتاح" للإمام المجدد السيد مُحَمَّد ماضي أبي العزائم الذي صدرت طبعته الأولى بتاريخ 1329 هـ . 1912 م ثم أصدر مجمع البحوث الإسلامية الطبعة الثانية في ربيع 1398 هـ الموافق مارس 1978م في الكتاب الثالث من سلسلة البحوث الإسلامية السنة العاشرة. وقد جاءت هذه الطبعة تضم 266 صفحة تعمد مجمع البحوث على حذف 36 صفحة من طبعته الأصلية، كما تعمد تغيير اسم الكتاب من "شراب الأرواح من فضل الفتاح " إلى شراب الأرواح فقط، كما تعمد تغيير وتبديل ومسخ وإضافة كل صفحات هذا السفر الجليل، وبذلك خالف مجمع البحوث في طبعته هذه الطبعة الأصلية لهذا الكتاب مع علمه أن الأمانة العلمية في تبليغ العلم لا تستقيم مع التبديل والتغيير والحذف والاضافة. فجاء الكتاب بعد الطبع محرفا أبسط ما يقال عنه أنه تشويه لآثار الإمام المجدد العلمية ومنع لوصول مفاهيم معينة أرادها رضي لله عنه أن تصل إلى الناس.

ولذلك قامت دار المدينة المنورة وهي إحدى الهيئات التابعة لمشيخة الطريقة العزمية بإعادة طبعه متوخية في ذلك الأمانة العلمية والدقة في النقل.

والباب الأول من هذا الكتاب يتضمن 132 حكمة من حكم الإمام المجدد، وجولة بالعين أو بالقلب، في هذه الحكم تضع يدك على السر الخفي، فستجد لكل كلمة أجنحة وروحا؛ أنها قطعة نابضة من قلب عابد، وخفقه محلقة من شعور ساجد، وشحنة ملهمة من روح واجد. إنه كلم عليه من رضاء الله شعاع وسناء، وفيه من نفحات القدس إشراق وبهاء، إنه كلم يعيش تحت ظلال النبوة ويتعلق برسالتها، ويولي وجهه نحو التنزيل والذكر الحكيم.

والباب الثاني: في الشريعة الإسلامية مصادرها ورجالها ودعاتها وقد تناول الإمام المجدد الكتاب والسنة كمصدرين أساسيين للشريعة الإسلامية، أما بالنسبة للرجال فقد قسمهم الإمام إلى السلف الصالح، والمعاصرون، أما بالنسبة للدعاة فقد بينهم الإمام المجدد أنهم ثلاثة أنواع: المرشد الكامل، والإمام الذي يهدي بأمر الله، والداعون إلى الخير.

والباب الثالث: في المشاهدات والمنح الربانية وما يجب على السالك من ترك النفاق العلمي والعملي، وتزكية النفس والجهاد، والرياضة العامة والخاصة، وسلوك النهج الوسط والعمل لجمع القلوب على الله وتلقي العلوم النافعة واستقامة السيرة مع صفاء السريرة.

الباب الرابع: في الاعتقادات وهمم الرجال ومشاهداتهم والسير إلى الله تعالى، والاعتقادات بينت أن الرسل عليهم الصلاة والسلام أتوا بأمرين عظيمين وهما طهارة الظاهر والباطن، أما همم الرجال فأوضحها في الرشاد والإرشاد،

والإخلاص والصدق، والحكمة، والإقبال والقبول. أما مشاهداتهم فهي تتضمن التوحيد للواحد، ومشاهدة التوحيد بالتوحيد، والرؤيا والشهود الكوني والملكوتي. أما السير إلى الله تعالى، فهو يتناول مذاكرة في الصلح وصدق الحال، والفرار إلى الله، ورموز التكاليف وأسرار الرجال.

الباب الخامس: في التجليات الوهبية وهي أربعة عشر تجلي ثم تناول رضي الله عنه حال التلوين ومقام التمكين والمواهب اللدنية ثم الخصوصيات.

صراعات في العالم الإسلامي:

فقد تعددت معارف العالم الإسلامي، حينما اتسعت حضارته، ومن ثم تسرب إلى أفق الحياة الإسلامية مواريث هذه الحضارات وبعض عقائدها، وألوان تفكيرها، وتسرب إليها أيضا الجدل والحوار، والتعصب الفكري، والسبح الفلسفي الذي يجري وراء الأهواء والنزوات. ورأينا تبعا لذلك عجبا، رأينا الخصومات الحادة العنيفة تقوم بين طوائف العلماء، وتندلع بين صفوف المفكرين، ورأينا هؤلاء العلماء والمفكرين تجمح بهم عصبيتهم لعلومهم إلى مخاصمة كل علم، ومحاربة كل منهج غير علمهم ومنهجهم.

وشب الصراع بين الفقهاء ورجال علم الكلام، وعلماء التفسير، ورواة الحديث ثم انقسم هؤلاء وهؤلاء إلى طوائف وشعب، وتعددت ساحات الصراع، واستعملت فيها كافة الأسلحة، وكان الضحية لهذه الحرب هو العالم الإسلامي، والعلم الديني والتفكير الإيماني.

لقد إستحال الإسلام من عبادة إلى جدل، ومن علم إلى حوار، ومن إيمان إلى سفسطة في لهوات هؤلاء الرجال الذين لم يعد يعنيهم إلا الفوز في حلبة الصراع والنضال.

وسيبقى هذا الجدل وهذا الحوار خالدا ما بقي الفكر وبقيت الحياة، فالناس أعداء لما جهلوا، فكل فريق من الناس يخاصم من الأراء الرأي الذي لم يعرفه والعلم الذي لم يتذوقه.

وتلك كلمة حق تكشف لنا الستار عن سر تلك الخصومات التاريخية التي اندلعت في أفق العالم الإسلامي ومزقت وحدته، وبلبلت مناهجه.

خصومات حول التصوف:

ومع أن الصوفية لم يشتركوا قط من جانبهم في هذا الصراع، ونزهوا أوقاتهم وصانوها من أن تفنى في هذا الحوار الطائفي، وأقبلوا على ربهم عبادة وذكرا، وأقبلوا على الإسلام بقلوبهم يأخذون بعزماته، ويرفعون راياته، ويدعون الناس إلى ساحاته، وأقبلوا على حياتهم معتصمين بأخلاقهم مجاهدين مناضلين في سبيل الإرتفاع بالإنسانية إلى مناطق النور والخير والسلام.

ومع أنهم قد وقفوا على الدعوة الوسطية التي هي بين فكر الغلاة وفكر البغاة، ومع أنهم وقفوا على المحجة البيضاء في غير تعصب ولا تشنج ولا إستعلاء فقد هاجمهم في عنف وفي مرارة، وفي عصبية موتورة، أهل التكفير والتشريك

والتبديع المتعشقون للذم والمراء، الذين لا تحلو لهم الحياة إلا في سعار من الحقد، وفي عاصفة من البغضاء.

هاجمهم الامتداد التاريخي لفكر الخوارج في القرن السادس ممثلا في ابن تيمية وابن القيم، وهاجمهم تلميذه التاريخي ابن عبد الوهاب في القرن الثاني عشر، وهاجمهم من مشى في أعقابهم وتحت أذيالهم من طلاب الثراء المأمول من بلاد البترول.

هاجم هؤلاء وهؤلاء الصوفية في حبهم لرسول الله﴿ﷺ﴾ وإجلالهم له، وصلواتهم الدائمة عليه. وهاجموهم في حبهم لأولياء الله وتقديرهم لهم واحتفالهم بموالدهم.

وهاجموهم في مناهجهم في السلوك والتربية والتصفية والتحلية وما يتبعها من ذوق وشوق وإلهام ومقامات وأحوال، وهاجموهم في حرصهم على أورادهم وأذكارهم وزهدهم وآدابهم، ومناهج معارفهم، وجعل أهل التكفير والتشريك والتبديع عنوان ذلك الهجوم كله: حماية التوحيد.

وابن تيمية وابن عبد الوهاب وذيولهم ـ أهل التكفير والتشريك والتبديع ـ عرفوا بالشذوذ الفكري والتعصب والغضوب ضد كل من يخالفهم في الرأي والتفكير.

لقد نادى ابن تيمية بالمعنى الحرفي للقرآن فخاصم بذلك كل رأي في تفسيره ولم يقبل حتى في الآيات التي توهم بالتجسيم تأويلا، أو صرفا لها إلى المعنويات، وفسق كل المذاهب الإسلامية في علم الكلام، وحرم الاجتهاد على الناس جميعا وأباحه لنفسه، فحدد صفات الله سبحانه حسب رأيه. وحرم زيارة أضرحة الأولياء وقراءة القرآن لهم، وتغالى فتنادى بأن من يزور روضة رسول الله﴿ﷺوآله﴾ تقربا أو طلبا للشفاعة فهو ضال مبتدع!! ولم يسلم من لسانه ولا من قلمه طائفة من المسلمين. ومن ثم ظفر التصوف ورجاله من قلمه ومن لسانه بالقسط الأوفى من الإتهام والسباب.

تلك هي المطاعن التي وجهت إلى الصوفية، وهي عند كل منصف نزيه آيات ترتفع بهم إلى أسمى وأعلى صور الكمال الإنساني والايمان التوحيدي.

موضوع الكتاب:

وكتاب "شراب الأرواح من فضل الفتاح" هو دراسة عليا في علم التصوف الذي هو من أجل العلوم قدرا، وأرفعها ذكرا، وأعظمها أثرا، وأروعها تأثيرا، وأعمقها نفعا.

يهتدي بكتاب "شراب الأرواح من فضل الفتاح " الكثير ممن يعيشون في ظلال مملكة التصوف، تتزكى نفوسهم بدروسه، وتتطهر القلوب بارشاده ووحي توجيهاته، فيشفون من أمراض نفوسهم، ويسقون شرابا طهورا يزكيهم وينير قلوبهم ويحي أرواحهم فهو العلاج لأمراض النفوس، والدواء الشافي لعلل القلوب.

وبذلك يخطط هذا الكتاب للسائرين أروع الطرق للسير عليها، ويرسم لهم معارج الأنس لطلوعهم إلى سماء الهدى والتمتع بمناجاة الحضرة، ونعيم التجلي الرباني. وعظاته تهدي إلى مقامات العارفين، وترشد إلى منازل المقربين، وتدل على كعبة المحبين، وتوجه إلى قبلة العاشقين، وتوصل إلى الالهامات الربانية، والإمدادات القدسية، والعطايا العلوية.

فهو الهادي إلى تلك الفضائل، والدال على هذا الثمر الشهي العظيم، لنتحلى بأخلاق الأنبياء والمرسلين، وعباد الله المخلصين الذين قال الله فيهم: ﮋ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮊ وصفات من امتدحهم الله ووصفهم بقوله: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚﮊ وبين حالهم بقوله: ﮋ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮊ

وعندما تأخذ صفحات الكتاب بيمينك تعلم أنك في يقظة وجدانية تدفعك دائما إلى جهاد النفس والسمو الروحي بها لتكون دائما في تصعيد وتطلع إلى الحياة الروحية والكمال الديني، فتتحرر وجدانيا وخلقيا وعقليا، لا تستعبدك الشهوات، ولا يسترقك الهوى، ولا يغرك مفاتن الدنيا وملاهيها، فتصبح قوه لا تقف في وجهك جميع القوى، لأنك أطلقت قواك الروحية من عقالها وسجن شهواتها وارسالها في أفاق الحضرة القدسية والتمتع بجلال المناجاة.

والله يهدي إلى الحق ويرشد إلى صراط مستقيم

الخليفة الثاني السيد عزالدين ماضي أبوالعزائم

إلتماس الطبعة الأولى

الإمام الممتحن السيد أحمد ماضي أبي العزائم

1329 هـ . 1912م

الحمد لله خلق الخلق بقدرته، وسواهم بحكمته عل سابق مشيئته، وقديم علمه وباهر إرادته، وهداهم إلى الأنس به، والحظوة برضاه وبعظيم رحمته.

والصلاة السلام على المخصوص بالمقام المحمود، والحوض المورود، من أقمته مقاما لم تقم فيه أحدا من عوالم ملكك وملكوتك، مقاما جعلته ﴿ﷺ وآله﴾ كعبة تنزلات جمالك، وقدس مجلس كمالك بقولك سبحانك ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ وعلى آله الأئمة علما وزهدا ومعرفة وحفظا ونسبا، وعلى صحابته الذين نهضوا بالدين إلى أوج الروحانية الإسلامية، والعمل على تغيير وجه التاريخ إلى ما تصبو إليه هذه الحياة، من رفع شأن الإسلام والمسلمين.

ورضي الله تبارك وتعالى عن الإمام المجدد السيد مُحَّد ماضي أبي العزائم المفاض عليه من سوابق التوفيق، لإقتفاء آثاره﴿ﷺ﴾ في سائر أحواله، فاستحق الخلافة الكبرى عنه ﴿ﷺ وآله﴾، في الهداية والإمداد للخلق بباطنه وظاهره.

وبعد فقد طلب إخواننا آل العزائم المزيد من إحياء قلوبهم بلطائف أسرار علوم الإمام المجدد السيد مُحَّد ماضي أبي العزائم، المملوءة بوافر الحكمة، وشهود

تجليات المولى، ليجلسوا على بساط حضرته، وليتمتعوا بمناجاته والقرب منه. فالتمست من والدي الإمام المجدد أن يفيض علينا من فيض علمه فتلقينا واستقبلنا كتاب "شراب الأرواح من فضل الفتاح " ففرحت الأرواح بأنوار المشاهدة، وأتحف السرائر بحلاوة المكاشفة، وصدق الله العظيم فهو ﵁ وأرضاه من الذين قال الله فيهم: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾

ولذلك جاء هذا الكتاب ليصعد بالنفوس الإنسانية إلى عالم الأرواح، فأيقظ أهل الغفلة من غفلتهم، وأيقظ النائمين من سباتهم ورقادهم، وسما بهم إلى سماء الروحانية الإسلامية، والمشاهدات القدسية، حتى أجلس الكثير في محاريب الإشراق وأدخلهم في دائرة الحب والواله، ومحيط الوجد العظيم.

أسأل الله أن ينفع به آل العزائم خاصة، والمسلمين عامة، لنذوق حلاوة شراب الأرواح من فضل الفتاح، فنسعد برضوان الله تعالى، ولذة الأنس به.

والله ولي التوفيق.

الإمام المجدد

السيد مُحَمَّد ماضي أبو العزائم

يقدم نفسه ويصف إخوانه

مُحَمَّد ماضي أبو العزائم: الخوف قوامه، والذل حليته، والرهبة باطنه، والرغبة ظاهره، والحيرة رداؤه، والصبر أنيسه، والرضا رفيقه، والشكر زاده والثقة كنزه، والفكر طريقه، والتسليم مذهبه، والتواضع رفعته، والفقه منهجه، والصدق ضالته، والإخلاص مراده، والسيد ﷺ مقصوده، والله سبحانه معبوده، والشكر ذكره، والدعاء عمله، وما يقرب إلى النار عدوه، وما يقرب إلى الجنة أليفه، وبر الوالدين سروره، وصلة الرحم حبوره، وإدخال السرور على عباد الله وصوله، والرحمة بخلق الله تعالى حظوته، والقرآن الكريم خلوته، والحضور بقلبه مع الحق سبحانه جلوته.

يامقلب القلوب والأبصار ثبت قلبه، وبلغه مراده.

وهكذا فليكن كل ماض، أو من يحب ماضيا.

الباب الأول

في الحِكَم

• طلبك له هو عين طلبه لك، فأنت مطلوب به ومطلوب له، ولا أثر لك في طلبك له، إنما أنت به مطلوب وبه طالب، وإلا فمن وفق الطالبين حتى يطلبوا؟ وهل لطالب فعل أو أثر حتى ينسب الطلب لنفسه؟ حاشا، **إنما ينسب الطلب لنفسه من لم يوحد مطلوبه، والواصل لا يشهد غيرا، ولا تميل نفسه إلى سوى، فهو فان به فيه عن شهود الأعمال والعبادات**، ومتى شهد لنفسه عملا وتيقن أنه طالب له بعبادته وبطاعته فهو محجوب عن الحقائق الإلهية، وإلا فمتى يوحد من شهد نفسه أو أثبت له عملا وليس في الكون أثر لغيره: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [1].

فالوصول هو إضافة الأعمال والآثار والمظاهر كلها إلى الواحد المنزه عن الشريك والمعين، حتى يفنى عن المشاهدت والمشهودات، والنسبة إلى نفسه، والنظر إلى إضافة الأعمال والتوفيقات إلى نفسه، أو إلى غير الواحد الأحد، تنزه عن أن ينسب إليه ما لا يليق بجنابه السامي من التبجيل والتعظيم. **وتقدس عن أن تكون نعمته معللة بسبب، مرتبطة بعمل**، وهو المعطي الوهاب: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[2].

([1]) سورة الزمر آية 67

([2]) سورة يس آية 82.

- اضطرارك إليه هو عين التوكل عليه، فإذا اعتمدت عليك وكلك إليك.
- سلب أنيتك يوجب حسن هيئتك، **وشهود وجودك هو عين صدودك.**
- متى ظهرت لك حقيقتك صحت عبوديتك.
- إذا انكشفت لك شمس التحقيق قبل أن تشهد شرع التدقيق؛ فأنت غريق.
- إذا لم يستر نور البدر صورتك؛ كَشفت شمس الحقيقة سريرتك.
- متى دخلت من الباب؛ صرتَ من أولى الألباب.

- إذا لمع عليك أنوار قدسه؛ فقد اختصك بأنسه، وإذا جملك بجمال الربوبية؛ فطهَّر ثياب العبودية.

- الدنيا دار تعريف وتكليف، فلا يشغلك عن تلك الغاية الحظوظ والتصريف، والتهاون والتسويف. **أحيِ صفاتك بنسبتها إليه، وأسعد أوقاتك بالتوكل عليه.**

- أنت عدم إذا عاملك بعدله، وملك إذا لاحظك بفضله، أوجدك لتتوصل بمعرفته إلى التحقق بعبوديتك لذاته، وكلفك مع أنه الفاعل المختار؛ لتذوق بإطاعة الأمر حلاوة الأسرار.

- **اجعل حظك الرضا بما أقامك فيه**، حتى يدخلك بفضله حضرة تجليه.

- **حافظ على الأدب ولو رفعت لأعلى الرتب، واخضع بالسنة ولو بشرك بالجنة.**

• إذا أردت أن تراه فازهد من سواه. كيف تظهر تجلياته لمن صدأت بغيره مرآته؟! كيف يشهد ربه من الجنة سكنت قلبه؟! إنما وعد بجماله، وأوعد بجلاله، لإحياء بشريتك، والفناء عن حظوظك وشهوتك، لتفنى عن الوعد والوعيد في طلب الملك المجيد.

• سر من حيوانيك إلى آدميتك بما أنت عليه من حسن حليتك، وانهض من قيود الآدمية إلى رحيب الإنسانية بما فيك من الحكم الربانية، وتخلص من أدران إنسانيتك بنور ملكيتك، وأنب بربك من الوقوف عند الملكية إليه بنور البصيرة الإلهية.

• إذا صفا الناسوت من أدران سفله، وسطعت على الروح أنوار كماله، سبحت في ملكوت شهود الجمال، وتمتعت بشهود حظيرة الوصال، ليس ما تشهده فيك وفي الآفاق إلا أسرار تجليات الخلاق، وهو تنزه علوا عن الاتصال والانفصال، فكيف تدريه العقول في حال من الأحوال ؟

• إذا ما غيبك عنك بشهوده، وأفنى وجودك في ظاهر وجوده، ظهرت عين آياته في صورة مرآته. وإذا غيبك بشهود مظاهر تنزلاته، ومحا عنك نسبة الأين الحاجبة لستاراته فقد خصك لحضرة ذاته.

• لا تجعل لسانك لهجا بذكر خصوصيتك، ولا تبسطه فيشطح بأسرار مزيتك، فيكون نقصا في مقام عبوديتك، إذا جملك بجمال ربوبيته فاشطح بلسان العبارة في بستان وحدته.

• رحمة الله وسعت كل شئ، وإنما وصف بها أفراده المحبوبين، فالرحمة برهان المحبوبين أنهم محبوبون ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [1] أي يوصف بها.

• **إن لله جنة عاجلة من دخلها لا يحتاج إلى جنة آجلة، ألا وهي المعرفة بالله تعالى.**

• ظهرت لك بك وبما لابد لك منه حتى لا تدعى أنني حُجبتُ عنك، فإذا تقربتَ إلى بما ظهرت لك فيه، قربتك إلي وكاشفتك بجمالي بي، وإذا شغلك ما ظهرت لك فيه حجبتك عني، وطالبتك بحقوقي، ولي الحجة البالغة عليك.

• **نوعت لك الأنواع لتثبت الوحدانية لذاتي، وكثرت في عينك الأعداد لتشهد معاني تنزلات أسمائي، ليكون أنسك أكمل، وتقربك إلي أسهل، وكل ذلك لك سخرت وأنت لذاتي، فلا يسخرك ما لأجلك خلق، ولا يستعبدك ما لأجلك وجد، فكن لي خالصا أكن لك خالصا، ومن كنت له خالصا لا تعلم نفس ما أجعله له.**

([1]) سورة الأعراف الآية 156

- **عجبا لمن رآني دون مُكوَّناتي، قال العارف:سبحانك تنزهت، قال: من جعلني وسيلة إلى جناتي، فقد رآني دون مُكوَّناتي.**

- أول فريضة المعرفة، ولا عمل قبلها.

- **ما وحد من شهد عملا لنفسه أو لغير الله.**

- متى صلحت القلوب، واجهت علام الغيوب.

- ثلاثة لا تدوم محبتهم: الحب لطمع في الدنيا، والحب لنوال معصية، والحب لمعونة على معصية. وثلاثة لا تنقطع محبهم: الحب لله، والحب للجميل، والحب للعالم.. حديث سيدتنا عائشة عن النبي(ﷺ): ﴿من حسن سريرته، جمل الله علانيته للخلق﴾.

- من كان الله مراده؛ كان مقعد صدق وراءه.

- من عصى الله فيك؛ فاجتهد أن تطيع الله فيه.

- الوجد نتيجة القصد، ولا قصد إلا بمعرفة، ولا معرفة إلا بيقين، ولا يقين إلا بحجة، والحجة إما نور مواجهة للسرائر، أو انكشاف حكمة المظاهر. فمن كان قصده الأحد العلي لذاته؛ فوجده الرهبة من عظمته، والرغبة في كمالاته، وهو الفرد الكامل المتمكن من مشاهدة التوحيد بالتوحيد، واجهه الجبروت، وشاهد العزة بعد أن غاب عن الملكوت ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [1]. ودونه

([1]) سورة سبأ آية 13.

مراد من المرادين، قصده الجميل المفيض للجمال، الولي المعطي الوهاب، ووجده الخشية من ذي الجلال والرغبة في ذي الفضل العظيم والإحسان، وهو مراد متمكن من مشاهدة تجلى معاني الصفات، واجهته العزة، وشاهد الملكوت بعد أن غاب من الملك ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾[1].

ودونهم مريد صادق من الصادقين، وقصده الإنعام والإحسان، ووجده الخوف من مقام ربه، ورغبته النعيم المقيم في الجنان، وهو مريد متمكن من التصديق بالملكوت، واجهه الملكوت بعد أن غاب عما حظره الشرع في الملك: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [2].

• الفكر مطية، إما للصد أو الوجد، فإن بعث إليه شهوة الأعضاء ودواعي الحظ والهوى فقد أخلد إلى الأرض، وإن دعى إليه تدبر في أسرار الكائنات؛ واعتبار بالآيات؛ وقياس ما يأتي بما فات؛ فهو البراق بالرفعة إلى أعلى المقامات.

• أعضاؤك السبع مفاتيح للشهود في الجنات، وأبواب للخلود في أسفل الدركات، الحلال بيّن والحرام بيّن.

([1]) سور فصلت آية 3.

([2]) سور الإسراء آية19.

- أخلاق إبليس إعلان على سوء الخاتمة، مالم يتطهر منها مريد الوصول، وأخلاق البهائم يمحوها ماء التوبة وصابون العدول.
- إنما النوافل بعد الواجبات وإلا كانت بليات.
- من أخذ حظه من البر واليقين فقد نال الخير كله.
- العبارة إذا كانت منك لك حجبتك، وإذا كانت منه له قربتك.
- إذا ظَهَرْتَ لك حجبك ظهورك عن شهود ظاهر الحق، وربما استدرجك في هذا المقام فرفعك في أعين الخلق.

- لسان العبارة من العارفين بالله نغمات تطيب بها الأرواح، وإشارات عن الغيب تهتز بها الأشباح: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [1].

- قربك به منه بطون لك فيه، وظهور له به ولك به فيك، وقربك الحسى بك من حيث الاستدلال نأي عنه، وظهور لك في عينك بغير حقيقتك، وهو هو الظاهر له به ذاتا واسما، ولك تأثيرا، وهو الحجاب الذي هو أنت في عينيك، وبعدك الحسى بطون لظهوره، وخفاء لظاهره، وهو هو الظاهر له به من حيث غيبتك عن علم من أنت حقيقته، وهو الستر المعبر عنه بالكفر، لأن الهوى غالب على السمع والأبصار والأفئدة فحرمها من التفكر في الآثار. وخير الأمور الوسط، وهو أن تعلم حقيقة أنك شئ مذكور به له، وأنه الواجب الوجود الظاهر بأسمائه

([1]) سورة الزمر آية 23.

ونعوته حقيقة له، واعتبارا لك من حيث تقييدك، فهو سبحانه ظاهر لا يخفى، وباطن لا يدرك، وأنت ثابت به له، معدوم بك لك، و الحال يحول ستارة الأوهام كما يذيب حر الشمس برد الماء، ومتى هبت نسمات القدس من أرجاء حظيرة الأنس؛ انتعشت تلك الروح القدسة، في مضايق العوالم الناسوتية، وترنمت بأشجان الميل إلى مكانة التنزلات الربانية، فغاب الحس وانمحى اللمس، واختفت الآثار بأنوار الأسرار، هنالك يترجم اللسان ولا ملام، وتباح العبارة، ويؤمر بالإشارة: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ (1).. ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ (2).

الحمد لله على القرب به له سبحانه، والفتح منه، والإقبال والقبول، وصلى الله على عين كمالات العين، وسر جمال الأحد، صلاة بها نشرب من أنهار معارفه شراب العلم النافع، والتوفيق والإخلاص يارب العالمين، أجب دعانا يا مجيب الدعاء.

• لا تفرح بالعمل إلا إذا تحققت بالإخلاص فيه. ولا تفرح بالإخلاص إلا إذا تحققت بإصابة الحق فيه، ولا تفرح بإصابة الحق إلا إذا تحققت بتوفيق الله فيه ومعونته، ولا تفرح بالتوفيق إلا إذا فرحت بالله الذي أقامك مقام العامل لذاته حتى صرت من عمال الله.

---

(1) سورة الصافات آية 164.

(2) سورة الإنسان آية 21.

• الإحسان واجب عليك إلى أخيك ولو تحققت منه الإساءة، فكيف تسئ إليه مع تشككك في قصده؟!

• علامة الحب أن تقبل على حبيبك عند إقباله عليك وإدباره عنك.

• من كان قربه بالأذن كان بعده بالأذن، ومن كان قريبا بالقلب لم يبعد.

• أحبابك ثلاثة: حبيبك، وحبيب حبيبك، وعدو عدوك. وأعداؤك ثلاثة: عدوك، وعدو حبيبك، وحبيب عدوك.

• الرجل من إذا غضب أرضى الله، وإذا رضي أرضى الله.

• القيود الشرعية حصون من الفحشاء في البداية، ومزاج يجعل الطالب وسطا في النهاية.

• استنارة القلوب دليل على غفران الذنوب، قبل أن يتجلى الوهاب يتجلى التواب، حتى تطيب المواجهات بعد الهبات.

• من لم يجلس مجلس ذل صغير؛ جلس مجلس ذل كبير.

• الجمال جمالان: جمال تبتهج به وإن احتقرك الناس، وجمال تحتقر به نفسك وتعز عند الناس. أما الأول: فوضوح الحق لك عن عين يقين، وانتهاجك على سنته، وإن خالفك الناس وعادوك. وأما الثاني: فانبلاج أنوار الحق عليك

حتى تضئ أرجاء حقيقتك، فتعلم مقدار نفسك فتحتقرها، وتظهر أنوار الحق للخلق فتحترم عندهم، وتعظم في أعينهم.

- المريد في حال بسطه، أيسر من ذي المقام في حال قبضه.

- المريد الكامل من تجلى لقلبه مراد المرشد قبل سؤاله.

- شئ إذا علمته علمك، وشئ إذا فهمته جملك، وشئ إذا واليته أشهدك، وشئ إذا شهدته جملك، أما الأول فهو الأب، والثاني هو الأستاذ، والثالث هو اتباعك للمصطفى﴿ﷺ وآله﴾، والرابع هو الله ﷻ.

- الجمال أربعة أقسام: جمال صرف وهو الجنة، وجلال صرف وهو النار، وجمال جلالي وهو الذي يكون ظاهره جمالا وباطنه جلالا كالشهوات، وجلال جمالي؛ وهو الذي يكون ظاهره جلالا وباطنه جمالا كالنار في الدنيا.

- كمال المعرفة أن تعرف من أنت فلا تتعدى قدرك ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [1]

- كمال الظلم أن تنسب لك ما هو لغيرك: ﴿لِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ﴾ [1]

([1]) سورة الرحمن آية 46.

• كمال الجهل أن تعتقددوام ما يزول فتحرص عليه ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُورًا﴾ (2)

• كمال المجاهدة أن تجاهد نفسك وهواك في ذات الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (3)

• كمال النعمة شهود الحق عند كل شئ بما يناسب مقامه: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ (4)

• كمال الغفلة أن يسئ ويرى أنه محسن ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾(5)

• القلوب أوعية الغيوب، وهي البيت المعمور، والعرش، واللوح المحفوظ ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ عن الشرك ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾بالتوحيد﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ (6) بالفكر والاستحضار.

---

(1) سورة المائدة آية 12.

(2) سورة الفرقان آية 23.

(3) سورة العنكبوت آية 69.

(4) سورة الأنعام آية 75.

(5) سورة الكهف آية14

(6) سورة النور 36.

- كمال الأدب مع الله تعالى حسن الظن به سبحانه، الحمد لله على نعمائه الظاهرة والباطنة.

الظاهر من الأعمال ميزان الخلق، والحق محل نظره القلب، فعلى الإنسان أن يحكم على الناس بظواهرهم حالا غير موقن بالمآل، فقد يكون المآل على مقتضى ظاهرهم وقد يكون على غير ذلك، وكل ذلك بحسب السابقية.

- أنت أيها الإنسان لا تعلم ما سبق في العلم، فلا تفرح بحسن الحال الظاهر في آخر، ولا تحزن بسوء الحال الظاهر في آخر، فإن الأحوال تتحول، والشئون تتجدد، ولكن عليك أن تجعل الشكر حصنا لحسن حالك، والابتهال وسيلة لتحسين مآلك، أيها الإنسان: اجعل ثقتك بمن لا يتغير ولا يتحول، وأوصل نسبك بنسبه، وأنس به ليدوم فرحك، وتتوالى عليك البشائر في دنياك وآخرتك، واجعل مدحك للناس في حال إحسانهم بلسانك، تنشيطا لهم، ولا تركن بقلبك إليهم لتكون على حذر منهم.

- ليس كل إقبال موجبا للقبول، ولا كل تمسك بالصالحات مؤد إلى الوصول، وإنما تصل إلى مولاك بنسبك، وتقبل لديه بأخلاقه التي تتجمل بها، فنسبك له عبد مفتقر مضطر، ونسبته إليك رب ممدك بالإيجاد والإمداد.

ليس الوصول تلذذا بالأعمال وتجملا بالأحوال، إنما الوصول معرفتك نفسك، وعلمك مرتبتك، وتحققك بفاقتك، واضطرارك له، فكم عامل بالكتاب

والسنة وهو أشر على المسلمين من الجنة، وكم من متظاهر بزي المساكين وهو أضر عليهم من الشياطين، فجمل باطنك لمولاك يدوم رقيك وعلاك، متى تتجمل بالعبودية و أنت ترى نفسك خيرا من سواك؟ أو أولى بفضل مولاك ؟ عجبا !! أوتقسم رحمة ربك ؟ ﴿إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء﴾ [1].

• العبد من كان جماله صفات العبيد، وكماله التخلق بأخلاق المبدئ المعيد، إبليس عبد الله سبعين ألف سنة، لم ينتفع منها بحظوة سنة، ولكنه حسد آدم نفسا فطرد وأبعد. فتجمل بجمال الأخلاق، وصغر نفسك في أعينك تعظيما لذي الجلال والإكرام، من أمدك بالخير والإنعام.

ليس الرقي إلى العليا بأعمال ... ولا الوصول بأسرار وأحوال
بعلم به تغوى ولا أمل ... جهاد بأبدان وأموال
نه منة من فضل واهبه ... ه تعد جميلا بين أبدال
ق عظيم وإيقان ومعرفة ... ة ذي الفضل والإحسان والوالي
عرفت مقام الله خفت وفي ... وف المقام تنال القرب بوصال
ذا الوصال وهذا القرب أجمعه ... عادة أبدا فضل بغير زوال
اسع الفضل جملنا بفضلك يا ... ولى العطايا بإحسان وإقبال
لجمال فعاملنا وكن معنا ... ور وجهك في دنياى ومآلى

---

(1) سورة آل عمران 73.

• إذا انفتق رتق القلب بما يفاجئ المراد من واردات الحق انجلت عقدة لسانه فأظهر حقائق الوجود في هياكل مجملة بروح القدس. تميل إليه النفوس المطمئنة، وتنكشف بها ظلمات الوهم بأنوار اليقين، وتنزعج منها النفوس المحجوبة بحجاب الهوى، وهي هي الحكمة السماوية المفاضة بفضل الله ورحمته، والناطق بها من أفراد الرجال المخصوصين بسابقة الحسنى، يصدع بها القلوب، ويمحق بها الأوهام. وليس المراد من الحكمة عبارات متسعة المباني، بالغة حدها في سمو اللفظ، وانتظام التركيب، ومراعاة مقتضى الحال المكتسب، ذلك من مزاولة علوم الفلسفة والمنطق والرياضيات، ليستمد الذهن بالنظائر والقضايا والأقيسة والأشكال، واستعمال النكت البلاغية، فإن هذا من الحكمة بمراحل، لأنا نرى كثيرا من الكفار وأهل المعاضى لهم اللسان المعبر؛ والقلم المبين بحالة تحير العقول. وقد جعل الله حظهم منه لسانهم، وحرمهم من نور الحضور معه ولذة الاستمداد منه.

• من استغنى عن الله استغنى الله عنه، ومن افتقر إلى الله أقبل الله عليه.

• ادع نفسك إلى الله، فإن انقادت فادع غيرك.

• إذا تعلقت همتك بالقدس الأعلى، وانحصرت إرادتك في طلبه، وهجرت مألوفاتك وعوائدك، وعاديت آمالك ومراداتك، كان لك ما تشاء مما تتعلق به قدرة الحق، ولو قلب الأعيان وإسباغ الآلاء.

• إذا كان لك غير الله مراد، كيف تبلغ منه المراد ؟.

- إذا جملت له سريرتك جمل بمعاني صفاته علانيتك.
- إذا أقبلت بكلك عليه جذبك به إليه.
- إذا تحققت بمعاني صفاتك من عدم وذل وفاقة واضطرار، وذكرته بما ظهر لك فيك وفي الآفاق، جعلك أمينا متصرفا في مكوناته، وكانت"كن" لك من بعض هباته.

إذا ظهرت له بأكمل أخلاق العبيد؛ أحبك وجملك بالمزيد ثم أظهرك في كونه مجملا بجمال، فإذا رئيت ذكر الله لرؤيته.

- أعمال الأبدان إذا كانت عن مشاهدات كانت قربات، وإلا فهي على العمال بليات.

- إذا واجهك بمعنى اسم من أسماء جماله، بإسباغ نعم أونشر فضل، فلا تنس من أنت.

واسقبل مواجهته بفرح بفضله. وأنس بمشاهدته، وذكر له سبحانه، وشكر على نعماه حتى تكون على مزيد من جدواه.

- إذا أقبل بوجوه خلقه عليك، وتقرب بواسع الفضل إليك، أقبل عليه بكليتك ولا تلتفت إلى سواه، وأكرمه في خلقه في كل حال بمقتضاه، ولا تشغلك النعمةعن المنعم، ولا الخلق عن الخالق، ولا الكون عن المكون.

- إذا أحببت أن يواجهك فادخل على حضرته بما أنت أهله، حتى يواجهك بما هو أهله.

- إذا أحببت أن تعرف فتفكر من أنت قبل أن توجد، وما أنت قبل أن تحمل بك أمك، ثم اشكر المنعم على ما جملك به من مواهبه، واحمده على ما منحك من مننه، وواجهه برتبة من الرتبتين شاكرا ذاكرا فاكرا، وعندها تدخل فسيح القدس الأعلى، وتأنس بمشاهدات المقربين.

- الواصل حقا من توحد مطلوبه، ورضي بما قدره محبوبه. والعارف من تحقق فناء ما سوى الأحد، ولم يشغله مال ولا ولد. والجاهل من الأكوان مناه، ويحسب أنه يعبد الله. وإلا فمتى يمكنك أن تجمع بين رضا عدوين بلا نفاق أو مين؟.

- أنسك بما تميل إليه بهواك يسرك، والفرار إلى الحق دواك.
- استأنس بآياته ينلبج لك صبح تجلياته.
- استحضر بنور فكرتك نور معيته، لتشرق عليك شمس هويته.
- من أنت إذا تأملت بعين مستبصر؟ وبمن أنت إذا شهدت بعين مستحضر؟ لو كشف عنك حجاب حظك، وذاب ثلج وهمك بنور فهمك، لعيانت نورا مشرقا به قامت الكائنات، وأضاءت الآيات.

• إذا نسى العبد ربه بتوالى الغفلة والسهو والاشغال بغيره، عميت عين بصيرته، وأطفئت أنوار فكرته، فارتكب كبائر الرذائل وصغيرها من دناءات القبائح الحيوانية والإبليسية، وتحرى أن يأتى كل تلك الرذائل في غيبة عن الناس. متيقنا أنه ليس وراء الناس وراء، فإذا قضى رذائله وتحقق أن أحدا من الخلق لم يطلع عليه فرح، وحصل له السرور، معتقدا أنه نال أملا بلا معاقبة عليه ولا سؤال، وذلك من ظلمة قلبه بسخائف الحظ والهوى. وما يدري المسكين أن الجبار المتكبر المطلع على ما خفى الأنفس، وما توسوس به الصدور، وعلى أخفى من ذلك أحصى ذلك وكتبه عليه، وشهد به عليه أعضاؤه والمكان الذي فعل فيه، ويعجل له العقوبة في الدنيا. فلو أن الإنسان تأمل بعين فكرته، ونظر ببصر العبرة، لعلم أن الذي أبدع الكائنات وصرف الرياح، وسخر السحاب، وأجرى الأنهار , وزين السموات بالشمس والقمر والنجوم، هو الذي أمر وحكم، وأن المعصية مخالفة لأمره وحكمه، وقد أوعد عليها بالعذاب والحساب. فعليك أيها الجاهل بأيام ربك، الغافل عن مآلك ومرجعك، أن تتوب إلى الله متابا، وترجع إليه سبحانه نادما، وتسأله أن يقبل بوك، ويوفقك للعمل الذي يرضاه منك، إنه يقبل التوبة عن عباده ويغفر الذنوب، وصلى الله على سيدنا مُحَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

يافتاح ياعيم يامعطي ياوهاب.

• طلب ما لابد منه عبادة، والاشتغال بما خلقت له سعادة.

- إن كان فراغ قلبك بادخار ما يكفيك في غدك فالهم به لا يقدح في زهدك.
- تحذرك باليقظة من الوقوع في فتن الخلق؛ لا ينافي تحققك بالصدق.
- تلذذك بالقربات مع الغفلة عن شهود الآيات ليس من المجاهدات، فقد تتلذذ النفس ما هو حظ في صورة الطاعات.

- اتهام النفس مع ملازمة المعاصي المحظورات دليل على التهاون في تزكيتها بالرياضات. واتهامها في حال التوفيق للنوافل برهان على قبول العامل.

- ليس التنسك بلبس الحلل الخلقة، إنما الناسك من طهر خلقه.
- لحظة فكر بيقين خر من عبادة سنين.
- نظر بكفر واعتبار خير من بكاء سنة من خوف النار.
- الخلق الحسن نسب للمرسلين، والغرورو بالعلم قرب من الشياطين.
- علامة القرب خوف مقام القريب.
- سمة الحب الثقة بإجابة المجيب.
- من جعل مولاه وسيلة لسواه، كيف يراه؟ أو كيف يحظى برضاه؟.
- من كانت الجنة مناه، بعد عن مشاهدة مولاه.
- الأنس بالعاجل حرمان من الآجل، إنما يفوز بالوصول المخلص.
- الرغبة فيه حجاب، والرغبة عنه كفر. فمادمت راغبا فيه فالرغبة حجاب حتى تجذبك عوامل المحبة عن حول وقوة، فيجذبك معه.

- من لم يترك كثيرا مما يشتهي وقع في كثير مما يكره.
- يجب على الإنسان العاقل أن يكون مثل الأرض في التواضع، ومثل البحر في الكرم، ومثل الليل في الستر، ومثل الشمس في المنفعة.

- قوم شغلهم بشئونه، وما نظروا بعيونه.
- مدد الفضل بالفضل. والفضل فضلان: فضل مال، وفضل خلق، لقوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ (1).

- نسبت إليك الأعمال، عندما شهدت نفسك في أوج الكمال؛ وقيدك بالتكاليف، لتعلم أن هذا الشهود مخيف. زينك بجميل الصفات، لتنكشف لك بها الآيات. أنبأك ببياناته، لتتدبر في أسرار آياته. وعدك وأوعدك، ليقربك ويعبدك. جعلك خليفة في الأرض، لتحظى بخطابه يوم العرض. فتح لك باب الرحمة والقبول، ليسهل عليك الوصول. وشدد عيك لحساب، ليهديك إلى الصواب. فأنت مطلوب لحضرته، ومقاد بعوامل حكمته. إنما يخفى عند شهودك وإثبات وجودك، ويظهر عند فقدان أنيتك وانعدام غيرتيك. جعلك أشد العوالم احياجا إليه، ليدلك على التوكل عليه. أوجد له في معظم أعمالك غير مرادك، لتعلم أنه المريد المختار لجميع ذلك، ولينبهك إلى تفويض الأمور لإرادته، وتسليم مالك لمشيئته. إنما حجبك عنه شهود أنك لست منه، وأظهره لك تحققك بأصلك.

---

(1) سورة التوبة آية 41.

- أنت الحجاب وبموجبه وصل الأحباب.
- ليس بينك وبينه بين لأنه الظاهر، ولو كشف عنك الرين لشاهدت حسنه الباهر.
- ليس للعقل كشف أسراره، وكيف وقد حجب عن أقداره؟! عجز العقل عن إدراك ما سيكون، فكيف يدرك المكون للكون؟!.

- وهب لك نورا تشهد آثاره التي بك أحاطت، فكيف تشهد بك أسراره التي عنك غابت؟.

- إذا انكشفت لك حقيقتك، ورفعت بين العالم الأعلى مكانتك.
- لا تفتح على نفسك باب الشكك ولاالخلاف، فتكون عرض نفسك للإتلاف.
- أنب إلى ربك مؤمنا، وأسلم له وجهك موقنا.
- إذا جهلت حكما من أحكامه فتضرع في إفهامه. أوكله إلى جهلك الأول حتى يعلمك الأول.

- الإسلام نهاية الاستسلام، وبه القبول والسلام.
- ليس لك من علمك إلا ما أخلصت النية فيه، وقليله للعامل يغنيه.
- إذا أنست من نفسك الخشية من الله، فتحقق بحظوته ورضاه، وإذا استأنست نفسك بالحق وإن كان ثقيلا، واستوحشت من الباطل وإن كان لها

جميلا، فاعلم أنه اصطفاك لمشاهدته، واجتباك لخصوصيته، وإلا فجاهد نفسك وهواك.

- ليس الواصل من تصرف في الكائنات، إنما الواصل من لم تشغله عن الله روضات الجنات.
- العبد حظه رضا مولاه، وهواه أنه سبحانه بدوام الإقبال عليه يتولاه، فكن عبدا لله، تكن ملكا على ما سواه.
- صفاء القلب بدوام مراقبة الرب، وإنما تكون المراقبة عن وجد صادق؛ إذا كنت بعد العلم بجمالات الحق عاشقا.
- قلب الواجد يقلب في الجلال والجمال، بعد كشف حقيقة الحرام والحلال، فيكون القلب محفوظا من الوسواس، والجسد مطهرا من الأدناس.
- اليقين حال من الشهود، والرضا فضل من الودود.
- إذا جملك بالوجد إليه، وحلاك بالتوكل عليه، فقد وافك هدايته، وطلبتك عنايته.
- اليقين نور من أسرار المشاهدة، وسر من أنوار المعرفة، ومقام من مقامات الزلفى، به يحصل التحقيق ويدوم الحضور مع الحق.
- القلب وعاء الأسرار الإلهية، فلا تشغله بالآمال الكونية.
- صف قلبك بمراقة الجبروت؛ تتوالى عيك لطائف اللاهوت.

• إنما يسلم بالاعتقاد من أهل للوداد، ويشك بعد التسليم من أبعده عن شهوده العدل الحكيم، ينقد الشك في قلوب عن الحق محجوبة، وينقدح النور في قلوب للقرب مطلوبة.

• من أراد الوصول إلى حضرة المشاهدة، فليسلم للطائف الواردة.

• بوادر النفس تنبئ عن مقاماتها، وسوابق العزائم تبشر بنهاياتها، فمن كان الحظ بادرة حاله، فالصدود عاقبه مآله.

• النفوس ألواح آيات الأنوار إذا تزكت، وقرارات الأقذار إذا صدأت.

• الحق غني عن الخلق والكل إلى فضله مفتقرون، فلا يشاهد أسراره إلا الموقنون.

• لا تخفى على الله خافية، فأخلص لذاته العلية الباطن والعلانية.

• حد الشرع حدودا لتزكية النفوس، فلا تحم حول الحمى لتشرق في قلبك الشموس.

• إذا تزكت نفسك بالسير على الصراط المستقيم، وصلت بفضل الله تعالى إلى النعيم المقيم.

• تعرض إلى منازل نظراته حتى يراك حيث يحب، ولديها يمنحك بفضله فوق ما تحب.

• الحب باب للشهود، فإذا أحببت فقد صح الورود.

الباب الثاني

في مصادر الشريعة الإسلامية ورجالها والدعوة والدعاة

الفصل الأول

مصادر الشريعة الإسلامية ورجالها

مصادر الشريعة الإسلامية

أولا: القرآن الشريف:

النجاة من الهول في الدنيا والآخرة، والحظوة بالحسنى في الدنيا والآخرة، والقرب من الله سبحانه وتعالى ومن رسوله ﴿ﷺ وآله﴾ في الدنيا والآخرة أن تحل حلال القرآن قولا وعملا، وأن تحرم حرامه قولا وعملا. فهو الإمام الحق، الذي لا تشوبه ظلمة، وحبل الله تعالى الذي هو ممسوك بيمينه، من تمسك به وصله الله. بين رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ بقوله وعمله وحاله أسرار القرآن، وكشف أنواره، ووضح مناهجه.

القرآن، القرآن، إخواني موتوا به واحيوا به، واعملوا به، وأطيعوا به ربكم سبحانه وتعالى، وكلوا به، واشربوا به، وناموا به، وتاجروا به، وازرعوا به، أي لا تعملوا عملا حتى يظهر لكم من القرآن الشريف حكمه، فإن أحل فاعملوا، وإن حظر فامتنعوا.

القرآن الشريف: حجة الله تعالى وحجة خلقه، فمن كان القرآن حجة له ﷻ وأرضاه، ومن كان حجة عليه سخط عليه وأقصاه.

القرآن، اقرءوه بلسان الفكر وعين العبرة وهمة الاتباع وعزيمة العمل به. القرآن نجا به من فهمه عن الله تعالى وعن رسوله ﴿ﷺ وآله﴾، وهلك من فهمه بعلومه العقلية، وأفكاره الدنيوية، وحظوظه النفسانية.

القرآن: كلام الله تعالى، ووصفه، وأخلاقه، وكمالاته، وجمالات، وجلاله.

القرآن ذات وأحكام، وأوصاف وأسماء، وعبرة وتنزل، ورموز وأسرار، ومحكم ومشابه.اقرءوا القرآن لله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [1].

وصلى الله وسلم على من كان خلقه القرآن، ومعجزته القرآن، وآياته القرآن، وعمله القرآن، واله القرآن، ومقامه القرآن، وعلى آله وورثته والتابعين آمين.

ثانيا: السنة المحمدية:

حصن الله الحصين، الذي وهبه لأهل خصوصيته، ومنحه لأحبابه. والسنة المحمدية: لسان الحق المبين لكلامه الموضح لسبيله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾ [2]. أثبتت المعجزة والآية أنه رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، وأنه متجمل بأكمل الأوصاف التي يحبها الله تعالى من عباده، وأجمل الأعمال التي يريدها الله من أحبابه، وأتم الأخلاق التي هي أخلاق الله، نطق على لسانه ﴿ﷺ

([1]) سورة الرحمن آية 21.

([2]) سورة آل عمران آية 31.

وآله﴾ بكلامه القديم، وهدانا ﴿ﷺ وآله﴾ للإيمان والتوحيد، فهو الحجة البالغة، والآية الظاهرة، به يهتدي المهتدون، وباتباعه يتقرب المتقربون، فمن رغب عن سننه ـ ولو عمل بكل الكتاب ـ فهو هالك. ومن أقام سنته واهتدى بهديه وتابعه نجا، وحظى بحظوة الشهود.

فالسنة السنة إخواني اعملوا بها ولو في آخر نفس من الحياة، احيوها تحيوا، وانصروها تنصروا.

الحلال بين والحرام بين، اللهم احفظنا بالسنة في قولنا وعملنا وحالنا، واجعلنا ناصرين لها في أنفسنا وأهلنا وإخواننا يارب العالمين.

اللهم احفظنا من البدعة والمخالفة، ومتابعة الحظ والهوى، والغرور بالدنيا وبعلومها يارب العالمين، وصلى الله على سيدنا مُحَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

أولا: السلف الصالح:

قوم نصروا الله ورسوله، بذلوا أموالهم وأولادهم وأنفسهم وديارهم، وتركوا دنياهم في حب الله تعالى وحب رسوله وحب دينه، ورضيهم الله أنصارار لنبيه، وحملة لدينه، وأئمة للمخلصين من عباده، مدحهم في كتابه، ورضي عنهم، وأخبر برضوانه عنهم في الذكر الحكيم. بهم قام الدين وانتشر، وعضد النبي ﴿ﷺ وآله﴾ وانتصر. هلك من خالفهم أو نقصهم أو نقدهم، خصوصا أولو العزائم منهم، الأئمة الراشدون، والخلفاء الراشهدون، المشهود لهم بالجنة من الصادق الأمين.

أول من أسلم من الصبيان علي كرم الله وجهه، ومن النساء خديجة الكبرى عليها السلام، ومن الرجال الصديق المخصوص بأكمل الخصوصية أبو بكر رضي الله عنه، ومن الموالي بلال وحارثة وولده زيد. والسيدة البارة النقية الطاهرة بضعة النبوة الزهراء عليها السلام. وبقية الصحابة من السابقين الأولين والذين اتبعوهم بإحسان.

الله الله إخواني في أصحاب النبي ﴿ﷺ وآله﴾ وأنصاره ومن تبعهم بإحسان من سلف المؤمنين، فهم الأئمة، من اهتدى بهديهم نجا، ومن سلك مسلكهم هدى. رضوان الله عليهم أجمعين.

ثانيا: المعاصرون

المعاصرون إخوانكم في الدين وأصدقاؤكم، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [1] ليكن الكبير كاوالد والمساوي أخا والصغير ولدا بجميع شروطهم. لا فرقوا بين بينكم، ولا تحتقروا مسلما، فإن الله تعالى ما رضيه للإسلام إلا وهو عنده عظيم "مُحَمَّد ماضي " برئ ممن يفرق بين مسلم وبين نفسه لسبب "مُحَمَّد ماضي".

إخواني إني أعقد أن كل مسلم خير مني . ولو ارتكب أكبر الكبائر غير الشرك . لأن الله سبحانه له سربينه وبين من رضي لهم الإسلام دينا يخفى على البصيرة، ويسترهم بستور لتخفى مراتبهم.

"مُحَمَّد ماضي" لا يرى مسلما مرتكبا كبيرة إلا نظر له بعين الشرع رحمة له، ويعظه بالحسنى نيابة عن صاحب الشريعة، ونظر له بعين الحق فأول حاله قائلا: لعله من أهل الخصوصية الإلهية، وستره الله تعالى بفضله، فإني أعتقد أن القضاء لا يمنع الإعطاء من فضل الله تعالى، فأعظمه في قلبي، وأخافه في نفسي، تعظيما لسر الله الذي ورد على قلبي، لأن الله تعالى لا يعطي فضله لعلة عمل، ونصحته بلساني حبا له، وعظيما للشرع، فأكون معظما لله تعالى في الحالتين.

([1]) سورة الحجرات آية 1.

إخواني، اتقوا الله في عباده، وعليكم أنفسكم، فاجلوا مرآة قلوبكم بعمل القلوب، واشتغلوا بذنوبكم، فإنكم محاسبون عليها لا على ذنوب غيركم، وارحموا عباد الله تعالى، ذكروهم بالحسنى، عظوهم باللين، أعينوهم بفضل أموالكم وجميل كلامكم، وأحبوا لهم ما أحببتم لأنفسكم، والله ولي المؤمنين، وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد الرءوف الرحيم وعلى آله وصحبه وسلم.

كيف الوصول؟

الوصول بحفظ الأصول:

تحقق أن الأعمال البدنية لم يقم بها العبد عبثا، بل بوازع قلبي، وهمة دعته للقيام بها، والهمة التي توجه كمل الرجال لغايتها من التربية، والإشارة هي الهمة في تطهير قلب السالك من الحظوظ التي تخالط العزيمة الباعثة على العمل، فإن الأعمال البدينة نتائج تلك المقاصد القلبية، ولا يكون لله منه إلا ما كان خالصا لوجه، لأنه سبحانه وتعالى عظيم غني قادر، لا يحتاج إلى عمل الأبدان ولا عمل القلوب، ولكنه يحب من عبده الإخلاص لذاته سبحانه، لأنه الذي منح العبد كل خير، وأمده بكل نعمة، فالإخلاص لذاته سبحانه يكون كشكر للمنعم الحقيقي، وامتزاج الأعمال البدينة بتلك الحظوظ والأهواء من الرياء؛ وحب الشهرة،؛ وحب مدح الخلق؛ ونوال العرض الفاني؛ وأن يقول الناس: فلان مجاهد؛ أو: حاج؛ أو صالح؛ أو: عالم؛ يعد كشكر لغير المنعم، وعمل غير خالص لمقصود به، فيحرم العامل بسبب نيته هذه رضا المنعم الحقيقي، وربما عوقب في الدنيا ولم ينفعه عمله، لأنه صدر عن عزم لغير اله تعالى، ونيته في غير وجهه الكريم.

مع أن هذا العالم لو ذاق حلاوة الإيمان، وتحقق كمال التحقق بما يناله . لأخلص لهذا الرب الكريم - من إسباغ النعم، وتوالى المنن، والرضوان الأكبر، والفوز في الدنيا والآخرة، ولبخل بنفس يتنفسه لغير الله، ولعد نفسه مشركا عندما يحدث أمرا من صغير الأمور وكبيرها بغير نية صادقة، ووجهة صادقة لوجه الله تعالى، فكيف يكون حال عامل يعمل بنيته لغير الله تعالى من نوايا الحظوظ

والشهوات الخفية ؟ أترك هذا الحكم للبصير المتدبر فالسالك طال الوصول والقرب من الله تعالى لا يتنفس نفسا، ولا يتحرك حركة إلا وله نية صادقة في الله تعالى، حتى يكون حاضرا معه سبحانه، لا يغيب جسدا ولا عزما، وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم. ﴿أكثر شهداء أمتي أصحاب الفرش، ورب قتيل بين الصفين لا أجر له، لأنه قاتل لا لإعلاء كلمة الله تعالى، بل ليقال، أو ليغتنم﴾.

فتدبر أيها السالك، واحفظ أنفاسك ولحظاتك وأعمالك، وكن حاضر اللقب مع الله تعالى مخلصا في النية فإنها أصل الأصول، ومتى سلم الأصل قبل الفرع وسلم. والله سبحانه وتعالى يمنحنا القبول والإقبال، ويحسن سريرتنا، ويجمل حالنا، ويحسن مآلنا، أنه مجيب الدعاء، وصلى الله على سيدنا مُحَّد وآله وصحبه وسلم.

مشاهد الروح:

الروح مشهدها الملكوت، فإذا صفت فمشهدها حضرة العزة، فإذا تجملت بنفخة القدس فمشهدها الجبروت، ولكل مشهد أنوار وأسرار وأحوال، والقلب بين التجلي وعرش المتجلي والنفس إذا ازكت أشرقت على غيب التنزلات، وكوشفت بالمنازلات. والإنسان الكامل سره مشرق بأنوار الإطلاق، وعلنه مستنير بنور الحصون من سر ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [1].

([1]) سورة الفتح آية 29.

إنما يقوم الدين باليقين:

الإنسان وما أدراك ما الإنسان، هو ذلك الحيوان الناطق المفكر، فبحيوانيته المطلقة يلتحق بكل نوع من الحيوانات جبنا وافتراسا وإقداما وانقيادا. وإنما تؤثر عليه بواعث النفس المكتسبة من مشاهدات الحوادث، وأخبارها المتبادرة على سمعة تارة بحقيقة وآونة بخديعة، حتى يحصل له من مؤثرات تلك الأسباب والاتصاف بالنوع المناسب لها، إقدام أو إحجام. هذا هو الإنسان.

فإذا أشرق على قلبه نور اليقين الحق، وباشر سره وأثر فيه حسن الاعتقاد الجازم بأن الكون له مكون مدبر قادر مريد فاعل مخار، وأنه هو النافع الضار القوي المتين، وتحقق أنه عبد لهذا السيد الكبير المتعال، مكلف بأن يقوم بما أوجبه عليه ابتغاء مرضاته ونوال الحظوة لديه، انبعث فيه روح الإقدام، واثقا بنوال النجاح، مطيعاً في تأدية ما كلفه به سبحانه وتعالى، إما بالنجاح في الدنيا والآخرة، أو بالنجاح في الآخرة، وهو المقصد الذي تتشوق إليه أروح أولي العزم من الكمل، والمتيقنين أن الدار الدنيا لا بقاء لها، وأن الآخرة دار القرار، وبهذا اليقين الحق يقوم المسلم ناصرا لله سبحانه وتعالى، مدافعا عن حقوق دينه وإخوانه ووطنه، مدافعة بلا حظ فيها القيام لله تعالى من دون حرص على حظ، ولا أمل قاصر على عاجل، وغير متيقن كمال نجاحه في أمر الدنيا، بل يفعل ذلك قياما بالواجب

للحق سبحانه، وإرضاء له جلت قدرته، والأمر مفوض لجنابه الأعظم ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ (1)

كل ذلك نتائج اليقين، على أنا لو ثبت اليقين في قلوبنا، وكمل الإخلاص عندنا، وقمنا على هذا الوجه محافظين على كل ما يلزم له من تطرق دسائس الشيطان، وخافايا الحظ والهوى، لحكمنا أن الله سبحانه منجز ما وعد ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (2).﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (3) ولكن داعية النصر متوقفة على أن يكون العزم والقصد نصرة الله تعالى، وإحياء دينه في أنفسنا وفي غيرنا، حتى تطمئن قلوبنا بما وعدنا ربنا سبحانه وتعالى.

فعلى كل فرد تنورت بنور الإيمان بصيرته، وباشر اليقين الحق قلبه أن يجاهد نفسه لتذل وتنقاد، موقنة بأن الله سبحانه قادر على كل شئ ينصر من يشاء، ويؤيد من يشاء، بجماعة وغير جماعة ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ﴾ (4).

الجهاد الموصل:

تعلق النفس بعالم الكون بحسب فطرتها العنصرية، لأن الأجسام أصلها من صلصال من حمإ مسنون، وقد ركبت بحكمة بديعة اقتضى تركيبها امتزاج الأخلاط

---

(1) سورة الأنبياء آية 23.

(2) سورة آل عمران آية 9.

(3) سورة محمد آية 7.

(4) سورة آل عمران آية 126.

المتنافرة بنسبة تحفظ كيان الجسد لزمن ما، بحيث لا يكمل نعيمه في هذا الكون إلا بحفظ تلك النسبة، وتعادل الأخلاط، فينشأ عن كل نوع خلق خاص، ينبعث عن خواصه اللازمة له بحسب التركيب، فقد يحيط بالنفس عد تأيثرات منبعثة عن تلك الأخلاط، فتكون بحسب قوة الداعي، ويصدر عدة النفس أقواها ولذلك كان الإنسان في كل أفراده لا يمكن أن يجتمع اثنان على مبدأ واحد من كل جهاته، و احدت الآمال بحسب المقتضيات، فقد يعمل الإنسان العمل مكرها وهو ينوي غيره، أو يمهد به لغيره، ولا تكاد ترى القوة الباطنة إلا مفكرة في أمور تغاير أعمال الأبدان، سواء كان ذلك في عمل الأبدان أوراحتها، فالقوى الباطنة دائمة الدأب في كل أفراد الإنسان، ولكن تتفاوت المقاصد وتختلف المطالب، حكمة بالغة، وأسرار خفية.

فمن أفراد الإنسان من يقهره عامل فكره، فينجز كل باعث انبعث عن نفسه، ويظهر كل هم هجس بضميره، غير متدبر ولا متفكر في عواقبه، لأنه جاش بخلده وحسنه له الخيال أو الوهم، بعدة بواعث في حظ أو لذة أو أمل أو طمع في خلود، أو حب سيادة وشهرة وسمعة، أو مناظرة لنظير، أو حسد لقرين، فيعمل العمل بإقدام بلا روية ولا اعتبار بالحوادث، بل يهون عليه كل صعب حظه الخفي، وهواه المتبع، حتى تنكبه الكوارث، وتنويه الخطوب، فيحدث عنده ألم الندم على الإقدام، ويتمنى أنه لم يفعل، ويفتح عليه باب "لو" آمالا وأوهاما، تجعله في حضيض الغفلة.

هذا شأن الإنسان وتعقله بالعمل، فإذا كانت القوى الباطنة قابلة للعبرة والذكرى درست من تلك الحوادث في نفسها أو غيرها درس الأخلاق التي بها تحسن عيشتها في تلك الحياة الدنيا، ووقفت عن الإقدام حتى يتبين الرشد من الغي.

وإذا أهلت النفس للتزكية واستعدت للصفا تكون في النفس قوى حاكمة قابلة للفكر وسماع الموعظة، فحاكمت كل هم انبعث عن تلك العناصر المختلفة إلى الحق، وغالبت تلك الهمم الداعية، حتى تقهر الشهوات، وتتوسط في المجاملة بالبحث عن أحوال السابقين، وأعمال المقربين، وتقابل أعمال أهل الغي التي توجب النفور، وتثير نيران البلايا النفسانية، بحكمة وتودد وتثبت، فما رأته لا يضر في الدين ولا في البدن صبرت عليه أو رضيت، بحسب مكانتها من تلقى القدر. وما رأته يضر بالدين أو بالبدن وأمكنها زواله بطريق يرضى الله ورسوله استعانت بحول الله وقوته على دفعه بالحيلة، أو العمل، أو بمحو موجبه من نفسها إن كان له موجب . ومالا قبل لها به ابتهلت إلى الله سبحانه في صرفه، متفكرة في الحيلة التي تدفعه عنها.

وعلى ذلك، فعلى المجاهد أن يعد القوة والحصون، التي يدفع بها النازلة من العدو، ويقى بها نفسه، ومن القوة عمل كل حيلة، وإعداد كل مساعد، وهذا من الإيمان، وليس عليه أن يهمل العدد والعدد ويتسالم تسالم الجماد أو النبات، أن الله

أودع في كل رتبة من رتب الوجود قوى إلهية تحفظه وتعينه، وبهذا يكون الجهاد موصلا، وهو مبدأ الجهاد الأكبر.

عمل لا قول:

نعم، ثبت بالشرع الشريف أن الأعمال نتائج العلم، والعلم نتائج العقيدة، والعقيدة نتائج السابقية، وينتج عن كل ذلك "الأحوال" والأحوال نتائج الملاحظة، والملاحظة نتائج الحضور، والحضور نتائج الذكر، والذكر نتائج الحب، وليس لقلب ذاق حلاوة الحب أن يلتفت لقول يصرف به الوقت لشدة محافظته عل العمل النافع الذي يقر به لنوال منزلة لدى الحق سبحانه، والفوز بالنعيم المقيم، في دار كرامة نعيم الفردوس الدائم الذي لا ينفد، ولذة الشهود الباقي التي لا تزول، وهو مراد أهل النفوس العالية، التي باشر اليقين الحق قلوبهم، وتحققوا من زوال هذه الدار الدنيا، وزوال ما فيها، وعلموا أن ما فيها، من النعيم لا ينال إلا بالهم أوبالسفاهة أو بمضرة الغير . مع زواله فانقطعوا عنها بما تحققوا من بقائه سرمديا، ونواله فضلا وكرما بدون طلب للعباد، ولا تحمل مشاق، ولا رضا بذل ومسكنة.

نصر الله الحقيقي:

قال تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [1]. المجاهد الذي يتحقق النصر من الله تعالى، ويتيقن بأن الله سبحانه وتعالى يثبت قدم مجاهد جاهد نفسه الحيوانية عن ميلها الشهواني والعدواني، وحفظها من الطمع والشهوة،

([1]) سورة محمد آية 7.

والنفس الإبليسية من الاتصاف بالصفات الخبيثة من الكبر والحقد والغرور والفخر والزهو والعلو في الأرض والأثرة والمزاحمة، ونفسه الإنسانية من الأمل والحرص والمنافسة وحب الذات، حتى يطهر من جميع الدسائس الحاجب للروح عن التحلي بمقام الإخلاص والصدق، وفهم خفايا النفوس، وكشف أسرار النوايا والمقاصد، حتى يكون على يقين حق من علم خفيات الحظوظ والأهواء، ودسائس النفوس.

فإذا قام مجاهدا علم كيف يقوى، وتبين له طريق الرشد في سيره وعزمه، وصح توجهه إلى مولاه، وصدقه في قصده، ولدى ظهور سبيل الخير ووضوح منار الحق، يتحقق بالنصر والظفر من الله تعالى، ويكون كالقلب للعالم الإسلامي، لأن نيته وقصده وإخلاصه يعم الجميع، فينظر الله سبحانه إليهم من قلبه، فيكون الجميع كقلب واحد في النية والوجهة.

وإذا تحقق نصر الله لعبد نصر، ولو قابلته الجن والإنس بكل قوة وعدة، لأن الأسباب الكونية والعادات العقلية والعدد القوية منمحقة في جانب قدرة من ﴿أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (1) وهو سبحانه ما وعد بالنصر من قام ينصر نفسه، أو يدافع عن ملكه، أو يظهر عظمة، أو ينتقم من عدوه، لأنه سبحانه لا ينظر إلا إلى القلب وهمه ووجهته، ولا يتمكن عبد من العباد أن يتحلى بحلة الصدق والإخلاص وحسن القصد قبل أن يجاهد نفسه.

---

(1) سورة يس آية 82.

فعلينا – إذا أردنا يقينا أن ينصرنا الله سبحانه وتعالى ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ﴾ [1] سبحانه – أن نعتمد على جنابه العظيم، ونستعين بقدرته وقوته ومعونته وتوفيه في مجاهة أنفسنا، وتطهير أخلاقنا.

ومتى تحلينا بجميع الأخلاق في ذاتنا أولا، غير ناظرين إلى شئ آخر ائتلفت قلوبنا وحسنت سريرتنا، وتعين علينا بعد ذلك الجهاد الأصغر، قمنا متيقنين بالنصر الحقيقي أو بالخلود في دار الفردوس. ,إذا بقى أحد بقى ناشرا للسنة، عاملا بالدين، منفذا لأحكام الله تعالى، وهي سعادة الدارين، وهذا هو النصر الحقيقي، ولو صدقنا فيه لأعزنا الله سبحانه وأذل الكافرين كما أعز حزبه وجنده، وهو الحي القادر الفاعل المختار.

([1]) سورة آل عمران آية 126.

تفاوت حقيقة السعادة:

تتفاوت حقيقة السعادة بالنسبة للنفوس واستعدادها، وإن كانت النفوس لا تقنع بالعاجل في كل مراتبها، لأن الحظ لا يكون حقيقيا إلا إذا تعسر نواله، وبالاستحواذ عليه تنبسط له النفس برهة، ثم تشتاق إلى غيره مما يتولد من حظوظها، لأن النفس ليست من الماديات المركبة، ولكنها مجردة تميل إلى العوالم الروحانية، وإنما يدعوها إلى الرغبة في الحظوظ الكونية حكم الجسم عليها، وميله لما به سروره بنوال مشتهياته، ولذلك فإنك ترى كل حي يزهد فيما يملك، ومعنى أنه يزهد فيه: أن تشتد رغبته إلى غيره وإن حرص عليه، وما ذلك إلا لأن النفس لا تقنع بما يملك. وقد يبذل ما كان يتشوق إليه بعد ملكه لنوال غيره، إذ لا تنال شهوة إلا ببذل ما يشتهى، وكل ما يبذل لا يكون حظا ولا مرغوبا فيه، وعلى هذا فلا يمكن لمتدبر أن يحكم على السعادة بأنها كذا، لأنك ترى ما يراه الفرد سعادة في آن، يبذله بسهولة لنوال ما يراه سعادة في آن آخر، وما من حظ من الحظوظ يناله حي إلا سلب حظا آخر من حظوظه، أو سلب حظوظ غيره، وهذه من الضروريات للمشاهدة.

وبقى علينا أن نشرح السعادة على أهل المعرفة، وإن كان السير في نوالها لا يكون إلا كالسير في نوال الحظوظ.

السعادة الحقيقة:

هي نوال خير لا يعقبه شر، وقد يتفاوت هذا الخير بحسب سير الطالب، لأن السعادة الحقيقية في عينه تكون بحسب منزلته من علمه بربه، فقد تكون الخير، أو الأعمال الخيرية.

أما حقيقة السعادة عند الواصل فهي أن يبذل كل حظوظه وشهواته في نوال رضا ربه، متبعا سنة السيد المصطفى ﴿ﷺ وآله﴾ حتى يتحقق بعلم نفسه بالنسبة لخالقه سبحانه، ولديها يكون عبدا صادقا عالما بربه، مشاهدا لجلاله وجماله، قائما بما يجب على العبد بالنسبة للسيد، من التحقق بأنه به سبحانه وإليه ﷻ، وأنه معه تعالى، وبهذا ينال حقيقة السعادة، ويفوز بالفردوس الأعلى.

وفي هذه الدار لا يتيقن حقيقة السعادة، فسهل عليه أن يفارق طبعه وهواه وحظه، بل جمل في عينه ما يخالف مراده من الآلام والأسقام والفقر والجوع والعرى والبلاء، لأن الحظ الحقيقي لاينال إلا ببذل الحظوظ النفسانية كما تقدم في حظوظ الكون، وكان المتحقق بالسعادة الحقيقية متمتعا بها، لتيقنه من إدراكها وتحسين ذلك في قلبه:﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (1) والله سبحانه يختص برحمته من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

(1) سورة الحجرات آية 7

الأسرار الخفية:

إذا انكشف للمطلوب ستائر حجبه، فلحظ بنور فكرته غيب: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [1] أشرقت شمس المعاني القدسية، على أرجاء تلك المعاني الحسية، ونطقت تلك الآثار، معبرة بلسان حالها، عما فيها من درر جمالها، فيتلذذ ذلك المطلوب بنور سمعه بتلك النعمات الجلية، ويتنعم بصره بشهود لك الآيات العلية، وترفع ستائر ناسوته، وتقوى لطيفة لاهوته، حتى تنجلي زجاجة هيكله، وتنفذ أنوار أشعة ما فيه من زيت ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [2] فيقوى عامل الاستحضار، بانبلاج صبح الأنوار، وإسفار شمس الأسرار، وطلوع أنهار التجليات، واندكاك طور الكائنات، فتظهر وجه المظاهر منبئة عن غيبها، ومادة الكون ممحوقة ببروق كوكب درر مكونها، ثم تغشى تلك السدرة العلية، بسبحات الكمالات الواحدية، فتنسلب سحب الشهود الاستحضاري، والقرب الاعتباري، بمحو الغين من البين وانمحاق البين عن العين، فتنفذ أشعة أنوار الشمس العلية، على كل وجه آيات التجليات الصفاتية، فيسطع النور على النور، وهو عندها نور على نور، وما ثم إلا الوجه تلألأت أنواره، وأشرقت شمسه على أفق تطهر من سواه، فأضاء بغير ظل لمن يراه، بواد يتحقق من به بمقام:﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ﴾ [3].

([1]) سورة الحديد آية 4.

([2]) سورة الحجرات آية 29.

([3]) سورة الحجر آية 29.

الإشراف على الملأ الأعلى:

الإشراف على الملأ الأعلى، والتمتع بشهود آياته الظاهرة بلا حجب تمنع عن التحقق بجمالاتها، يكون بعين نظرت بحدقة قلب تمكن اليقين الحق منه، وباشر سويداءه حتى كشفت له الآيات في تلك الكائنات، وعلم أسرارها الظاهرة، وأنوارها المنبئة عن مكنون ما فيها من سر القيوم، وآيات الودود، ثم لاحت له أسرار ما فيه من الآيات المعلنة بحقيقته، وبذلك يتمكن من علم من هو عين اليقين ويذوق بعلمه شراب اليقين الحق، بمشهد ما ظهر في الملكوت الأعلى في عالمه ونفسه ولديها تتشوق الروح إلى الإطلاع على الأسرار الحقية في كل العوالم، مشتاقة بما هي عليه من الفطرة النورانية والاستعداد الملكوتي، إلى ذلك المشهد الأعلى، وكلما لمحت لمحة قرب بساعة صفو، جذبتها العناصر الحيوانية فيها بحكم الهيكل إلى رتبة القيد، ومقام التنزيه، فإذا كانت لوامح ود السابقية وسوانح يد العناية متوالية، قوى داعي الرو فشغل الجسد عن لوازمه دواعيه، فيطمئن القلب بنفثات القدس، وتنبعث أنوار اليقين، والطمأنية علىالجوارح فينقاد لسبيل الرشاد، ويسلك طريق الهدى، ويزداد وارد اللطائف على القلب، فيتجرد من داعيات الهوى والشح والرأي، وبصلاحه يصلح جميع الجسد، ولديها يشرف السالك على الملكوت الأعلى، بعد أن حفظت جميع جوارحه وقلبه، بحفظ الولي الذي تولاه، فيخرجه من ظلمات كل رتبة إلى نور الإطلاق والمشاهدة، ويكون عبدا مرادا للقرب، مطلوبا للرب.

أما من لم تسبق له العناية، ولم تدركه يد المعونة، فإنه كلما لمعت عليه لامعة نور قدس من مقضى ظهوره بحال فقر، أو حادث ألجأه إلى الله تعالى، ومالت إليه نفسه، وهم أن يتحلى بحلل الأخلاق الطاهرة، ويسارع إلى نيل مراتب القرب، أخلده هواه إلى أرض طبعه وقعد به حظه إلى سافل فطرته فنفر إلى اتباع هواه وزين له الركون إلى زهرة العاجلة، ونوال السعادة فيها، فلا يمكنه حتى يعاوده المقتضى، فيرجع إلى وارد الحق، ويندم على ركونه إلى غيره، وهكذا لا يزال بين مطمئن للدنيا وزينها، مادام الجد مقبلا، وإذا اعتراه ما هو فوق قوته مما لا حول له على دفعه إلا بالله، مال إلى الله ميل الراغبين في سد خلته، وقضاء مصلحته، فإذا نال قصده رجع على عقبيه، وذلك لأنه لم يشم طيب الإيمان، ولم يذق حلاوة اليقين ﴿دَعَوُاْ اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[1]

فالعبد الصادق: من الحق مراده، وافق هواه أو خالف مراده.

([1]) سورة يونس آية 22.

الفصل الثاني

الدعوة والدعاة

أنواع الدعاة إلى الله تعالى

أولا: المرشد الكامل

الحق تنزه، إنما تظهر تجلياته لأرواح التي صفت أجسامها عن التعلق بالأغيار، وهو سبحانه قد ظهر لها مظهراً مطلق عن التقييدات، باسم له الحيطة على جميع آثار الأسماء وصفاتها في مقام ﴿أَلَسْتُ﴾[1]، ثم قيد هذا المظهر المطلق بم تجملت به حضرة العوالم الناسوتية، من معاني ما أفاضه علها، فمالت الأرواح المجردة إلى شهود ما تجلى ها في هذا المشهد العام المطلق، وعند هوبطها من أوج الرفعة إلى حضيض السجن الآدمي، عرجت بالميل الشديد إلى هذا الجمال، فتقيدت بما مال إليه هذا السجن وهيأه لها، وأيقنت أن هذا هو عين ما شهدت، وغفلت عن عهود الارتباطات المظهرية التي أخذت عليها منها عند التلذذ بسماع الحقيقة السرية ينادي: ﴿أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾[2].

ولما أن تجلى الحق سبحانه بصفات الجمال الإلهي، الذي نشأ عن دائرة: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[3] نبه تلك الأرواح تنبيها مقيدا بنداء: ﴿ورحمتي

([1]) سورة الأعراف آية 172.

([2]) سورة الأعراف آية 172.

([3]) سورة الأعراف آية 156.

سبقت غضبي﴾[1] برمز خفي في الظاهر، مكشوف بالباطن، تسطع أنواره على الأرواح، فتكاد من شدة الميل إلى هذا المشهد أن تمزق هذا السجن، ولما كان ولابد لشهود الحقائق المجلوة عن الذات المقدسة بتجليات الأسماء والصفات في آثارها، كان للناسوت سر يتوقف عليه الكمال الكوني، ليثبت ما تقرر في الذكر الحكيم: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2] مفسرا بما وضح من:"كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فبي عرفوني" تنزل ﷻ تنزلا حنانيا ودادیا، فجمل أولى العزم بكشف ما تجمل به هذا النوع الكامل في الجنس لدى حضرة المجلى الذاتي، فملك جميع عوالم ناسوتهم لعالم لاهوتهم، فأداروا تلك العوالم الناسوتية، على طبق ما تعلقت به حضرة تجليات الأسماء والصفات عن الحكم السرية، ليرى ويسمع ويذوق ويحس من مال عن تذكر حضرة سماع الخطاب في مقام "أَلَسْتُ" وتظهر تلك الأوصاف الجمالية والأنوار الملكوتية عن الميل على غير ما هي له، فتتحول تلك الأوصاف عن نسبتها إلى القائمة به، وتثبت للمفاضة منه، ولديها تحن الروح وتتشوق إلى أصلها وتميل إلى تلقي الأسرار بشوق شديد، وعزم أكيد، فيكشف هذا الكامل عند شروق شمس تقوى اللاهوتية على الميول الناسوتية بما مالت إليه، ويبث الحقائق ويزيل الحجب.

ولذلك فإنه لم يأت نبي ولم يبعث رسول إلا ويبتدئ دعوته بتطهير القوى الناسوتية من الخصال الوحشية، وأخلاق البهائم وبعد ذلك يفك طلاسم الأقفال

([1]) أورد السيوطي هذا الحديث بلفظ "سبقت رحمتي غضبي".

([2]) سورة الذاريات آية 56.

عن شموس الحقائق، وهذا هو السر الذي تنظم به الكون ولما كانت الأنوار المحمدية قبلا وبعدا نسخت كل شريعة بارتفاع مشرعها، لأنهم نواب عن حضرته، منتظرون لظهور أنواره، ولو ثبتت شرائعهم لم تتحقق النيابة المطلقة، ولم يظهر سر: " فقبضت قبضة من نوري" ولا انجلت دقائق العهود المأخودة على المرشدين قبل تلون الذات عندما عاهدهم ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾[1].

ومثبوت أن النيابة قبل ظهور شمس عوالم ناسوت هذا الأصل الأعظم، يلزم أن تكون بنور الوحي الإلهي، كل بحسب ما اغترفه من هذا البحر النوراني، وما شربه من هذا الشراب المحمدي، فكان الأمر كذلك بالوحي، ولما أن تجلت شموس المسرات على جميع العوالم بأسرها بظهور هذا الناسوت، أفيضت الكمالات الإلهية على جميع عوالم المادة من رحيق: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[2] ومكثت تلك الأنوار تلمع من هذا الأفق العظيم، والأسرار تفاض من هذا البحر العميم، على النجائب الروحانية، المعززة بالفتح المحمدي، المحفوظة بالإلهام الإلهي، على

([1]) سورة آل عمران آية 81.
([2]) سورة آل عمران آية 11.

قلوب نواب حضرته، فكانوا في الحقيقة كنوابه السابقين بحقيقة ﴿العلماء ورثة الأنبياء﴾[1].

ولما كانت الدعوة به كان المرشد الكامل النائب عنه بعده ثابت القدم في دائـــرة:
﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [2] مرفوع الرتبة بحكم الوراثة الأكملية، فلا يكون المرشد كاملا إلا بعد تحققه بهذه الوراثة، وهذا هو سر الدعوة إلى الله تعالى، فافهم وتأمل، والله أعلم. وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

ثانيا: الإمام الذي يهدي بأمر الله

فرد زكك نفسه، وتطهرت من صفات الحيوانات وأخلاق الشياطين نعوته، حتى تحقق حق اليقين بعلم مراتب الوجود، ومكان كل مرتبة، وكيف تتصل بما فوقها من المراتب العالية، وكيف تتخلى عما هو من سجيتها من دنئ الحظ، وغلاف الهوى، وسجن الغفلة.

وتجلى عليه الحق سبحانه بوسعة الرحمة، وجمله بلسان الحكمة، وورثه فضلا منه صفات الدعوة المحمدية، حتى يتمكن من اليقين والصبر على تحمل أعباء

([1]) هذا جزء من حديث أورده السيوطي وتمامه: "العلماء ورثة الأنبياء تحبهم أهل السماء، وتستغفر لهم الحيتان في البحر إذا ماتوا إلى يوم القيامة" رواه ابن النجار عن أنس. الجامع الصغير جـ 2 ص 153، ورواه أحمد عن أبي الدرداء مرفوعا بلفظ::"العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم".
([2]) سورة الفتح آية 29.

الدعوة ومخالقة الناس على قدر عقولهم، والسكون إلى الله في كل أحواله، والفرح بالله تعالى عند إقبال عباده عليه وحزن الرحمة عليهم مع الدعاء الصالح لمن أقبل والبشرى له، والدعاء بالهداية للمستهدين، والعطف عليهم، والدعاء على المنافقين اقتداء بالعمل المحمدي، مع الصبر على تحمل أذاهم، وانتظار المعونة والنصر من الله تعالى، ولزوم السكينة والدعوة إلى الله تعالى، حتى ينظر الله تعالى إليه نظر الولاية، فيراه صابرا مجاهداً، فيجعله إماما يهدى بأمره. وهو الإمام الهادي بأمر الله، المبشر بالنجاة من الله تعالى والنصرة.

وقد يحصل للداعي من خروح الخلق حزن يؤدي إلى شك، فيورثه انزعاجا وعدم صبر، لولا أن يثبته الله تعالى، فيتحقق أن الظالمين ما كذبوه، ولكن كذبوا آيات الله، فيطمئن قلبه.

وقد يحصل لداعى بإقبال الخلق عليه بعض سكون إليهم، فيؤدبه الله بما يشاء حتى يرجع إليه سبحانه. وهكذا كل داع بأمر الله لا يسلم من أهل الغرور والمنافقين، فعليه بالصبر والعزيمة والإخلاص لله رب العالمين، والإقبال عليه بكليته، والاجتهاد في نوال مرضاته، رضي الخلق أم سخطوا، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

ثالثا:الداعون إلى الخير

العالم الإنساني محوط بالحظوظ، ممزوج بالهوى، مركب في عنصره صفات الحيوانات بحسب أنواعها، ونعوت الشياطين بنسبة تباينها، وكل تلك المعاني

محسوسة لهذا النوع حسا ظاهرا مشهودا، لا يغيب عن أعضائه المؤثرة على قلبه نفسا ولا أقل ولا أكثر في كل أدوار حياته، في نومه، أو يقظته، أو شبابه، أو هرمه. والمعاني المطلوبة منه غيب عنه، ليس في أعضائه الإنسانية موصل لها إلا ما كان عن سكون قلب، أو يقين يباشره فينبهه إلى الحسن والقبيح عاجلا وآجلا، ولا يدوم هذا الباعث الإلهي إلا ريثما يشعر بأعضائه بما يحول ها القلب عما أشرق فيه من نور معاني اليقين.

ولما كان الداعي إلى العاجلة من فطرة الإنسان، ومن قوام بدنه، وكان الكل كذلك، فلا تكاد تجد ذا بصيرة أشرقت بنور اليقين؛ وسريرة استنارت بمشاهدة آيات رب العالمين؛ إلا وهو غريب بين أهله وجيرانه، ومنظور بعين الاحتقار من أهل عصره، حتى قد يقوى عامل العتو على هؤلاء فيرمونه بالأذية والمحاربة، فإن كان معانا من لدى المعطي الوهاب؛ مطلوبا لهذا؛ لا يزداد إلا يقينا وتثبيتا، وجهادا له على تحمل الأذية، والدفع بالتي هي أحسن من المداراة والحكمة، والعفو عمن ظلمه، يعلى الدعاء لهم بالهداية، ولديها ينصره العلي الكبير، ويرفع شأنه، وعلي قدره، ويذل له أهل الجهالة الحمقى؛ ذلا يكون به إحياء الحق وإماتة الباطل، وهكذا شأنهم.

ومن لم يكن معانا استوحش من حاله، وساءه عمل الناس، ومل الدعوة، ورجع عنها مما ناله من أذية الناس، والله سبحانه لا يضيع عمله، ولا يحرمه أجره.

فالدعاة إلى الخير إذا تحققوا علما بما عليه أنواع الخلق؛ وما فطروا عليه، وما أريد بهم، علموا كيف يدعون، لأن الداعي لا يدعو ليهتدي جميع الخلق، إنما يدعو ليظهر الحق فيتبعه أهله، وينكره أعداؤه، فتكون السعادة لمن اهتدى، والشقاوة لمن اعتدى، وهذه سنة الله في خلقه. ولكن يلزمه أن يضع الدعوة في مواضعها لكل فرد بما يناسبه من أنواع العلوم والدعوة، حتى لا يكون سببا في تفرقة كلمة الناس، وتنفيرهم عن الحق، وميلهم إلى الباطل. فإذا دعا إلى الله سبحانه بهذه الحالة؛ كان قد قام بالواجب، وأدى ما أمره به، وما عليه ممن أقبل ولا ممن أنكر؟ أنه إنما يدعو ليرضى الله تعالى، وحيث اطمأن، قلبه بالله تعالى سكن إليه تعالى، وإن كانت الدعوة تستوجب حزن الداعلي إذا لم ير إقبالا من أهلها عليه، ولكن هذا الحزن ـ إذا تذكر أنه أدى الأمر على وجهه المشروع ـ يزول عنه غمه، وينشرح صدره بالنصرة وبالسعادة في الدنيا والآخرة، والله ولي المتقين.

من واجبات الدعاة إلى الخير:

إن الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف منهج تميل إليه كل النفوس بدون استثناء، سواء كانت من النفوس الطاهرة أو غيرها، لأنه مقام من مقامات العزة، ومنزل من منازل العلو، حتى قد يكون الإنسان مرتكبا قبائح الكبائر وهو يدعو إلى الخير مع تلبسه بالمعصية، غافلا عن الواجب عليه لنفسه، قبل أن يقوم لغيره.

ولذلك فإن سبيل الحق خفيت معالمه، وكادت أن تندثر آثاره، لأن الداعين إما علماء بمبادئ الشريعة يجهلون مراتب النفوس، وما به السير في طريق

الحق. أو جهلاء بالمبادئ الشرعية، انبثت فهيم روح الأعمال بدون تمكن من علم الأصول الدينية، وعند اشتغالهم بالقربات تلوح عليهم حال تشهدهم أن جميع من سواهم في درجة منحطة، فيحصل بين الطائفتن نزاع ينتج الانتقاد من أهل البطالة، والزهو والغرور من أهل الأعمال، وتحصل التفرقة بينهم والشقاق.

ولو تأمل الداعي فيما يجب عليه لدعا نفسه، ولو تأمل المدعو وتفكر، لأعان أخاه على الحق، وساعده على البر، فليزم أن يكون الدعاة إلى الله تعالى ممن زكت نفوسهم، وتطهرت أخلاقهم، وتحلوا بحلل التمسك بالشرع الشريف، حتى لا يخالفوا في كبيرة ولا صغيرة عن قصد وعزم، وإذا حصل منهم ما يخالف وجب عليهم التوبة، إما علنا أو سرا ـ بحسب ارتكاب الذنب ـ لئلا تقتدي بهم العامة.

أما أهل الوجد أو الحال المحرق الذين في فناء عن أنفسهم، الصادقين في وجدهم المخلصين في وجهتهم، الذين لهم شهود للعالم الأعلى، إذا لم يكن لهم من حصون الشريعة ما يحفظهم من كشف أسرار الغيب أمام غير أهلها فليسوا دعاة للحق، حتى يرجعوا إلى البقاء بعد الفناء، والأولى لهم العزلة عن الخلق، لئلا يكون اجتماع الخلق عليهم موجبا لفساد أحوالهم بميلهم إلبهم، واحتجابهم عن شهود المقام العلى والله ولي المؤمنين.

أما الدعاة إلى الله تعالى؛ فقد تقدم الكلام عليهم في كتابنا الأول فراجعه إن شئت[1]

([1]) راجع كتاب أساس الطريق ص 11.

مداراة النفوس:

الدعاة إلى الله تعالى هم حكماء النفوس، الذين علموا أمراضها ودسائسها ورعوناتها، وعلموا أسباب تلك الأمراض وموجباتها، وعلموا طرق دوائها، كل نفس بحسبها. والنفوس إما شريرة سجل عليها القضاء بالخلود في نار جهنم، ومداواتها مداراتها ولو كانت ناطقة بالشهادتين، فإنما هو تقليد للوالدين، والخاتمة عليها المعول.

ومداراة تلك النفوس تكون بأمور:

إما بالتودد مظاهرة، وبالإحسان خلقا أو عملا، والتباعد عن التنديد عليها، والتعريض بها، إذ لو علم الله فيها خيرا لجعلها قابلة للدعوة، مقبلة على الله تعالى.

وليس للمرشد همة علية تخرق أسوار الأقدار، فتجعل من يسجل الله عليه الغضب والشقاء سعيدا، بل ولا للرسل عليهم الصلاة والسلام، فما بقى إلا المداراة عند الضعف، حتى يأتى الله بأمره.

ومن المداراة أيضا الإمساك عن ذكر معتقداتهم بسوء، أومحبوباتهم، أو عوائدهم بل على الداعي أن يصرف أنفاسه وأوقاته بطاعة، أو تعليم، أو إرشاد.

أما النفوس التي سبقت لها الحسنى - بحسب مراتبها- فلا تفارقها رعونات تدعوها إلى الإنكار، أو وساوس شيطانية تمنعها عن الإقبال، أو حظوظ خفية تحجبها عن اليقين، أو آمال نفسانية تصم آذانها عن التقلى.

فعلى الداعى عند ذلك أن يداري تلك النفوس بالتآلف والتحابب، ومخاطبتها بما يناسبها من العلم والعمل والحال بقدر مراتبها، ويخفى عنها مالا قوة لها على تلقيه، ولا طاقة لها على تحمله، حتى لو جلس الداعي بين ألف من أهل مقام الإحسان وواحد ممن لقست نفوسهم، يلزم الداعي أن يؤلفه ويؤانسه ويمازحه، ويتكلم معه بما يناسبه، حتى تزول رعونات نفسه، ويحصل له الأنس، ولديها يدعوه بقدره، بحيث لا يبيح سرا، ولا يشرح حالا، ولا يبين مقاما لرجل من العارفين أمامه، ولو ضيع لأجله ليلة كاملة، فإنه بذلك يكون سد باب شر، وجذب إلهي أخا. أو سد باب شر، ورد عنه شيطانا. فيدوم صفوه ويطيب أنسه، وتحفظ قلوب إخوانه من دسائس الشر وسعى الأشرار.

هذا، وإن النفوس الزكية الطاهرة المطلوبة للحق بالحكمة والموعظة الحسنة قليلة جدا، حتى لا يكاد يوجد في مائة ألف واحد، وإنما تنقاد النفوس لسوط سلطان قاهر، أو لطمع في فان عاجل، فما بقى للداعي إلى الله تعالى إلا المداراة لتلك النفوس، وعليه أن ينبه أهل خاصته الممنوحين لسان الحكمة وأحوال النبوة؛ أن يجملوا ظاهرهم أمام جميع الخلق بالتمسك بالعبادات وحسن المعاملات، وكتم الأسرار، حتى لا يفتحوا على أنفسهم أبواب الشر، ويطلقوا عليهم ألسنة السوء،

وقد بين القرآن الشريف سير الأنبياء وسير المرسلين، وهم المؤيدون بالوحي والمعجزة، المأمورون بالبيان كل البيان، ووضح مانالهم من أهل الشر من الأذية المضار، حتى أيدهم الله بنصره، وذلك لما كانوا عليه من كمالات اليقين.

أما الدعاة فإن يقينهم لم يبلغ هذا اليقين، فربما أدت أعمال أهل الشر إذا فتحوها عليهم إلى سؤ الظن بالله، أو ضعف اليقين بوعده، أو شك بعض الإخوان فيكون الشر أعم، فالواجب على المرشد وخواصه أن يكونوا أعوانا على علاج النفوس من أمراضها المعضلة، وتطهيرها من خبثها، لا عونا على فسادها وعتوها، وخروجها عن حد الأدب مع الله ورسوله وأوليائه.

فإذا دخل داع بلدا يلزمه أن يخفى أحواله، واسم المرشد، وأن يبتدئ بالترغيب إلى الله ورسوله، وذك رما يناسب أهل البلد من الحكمة والموعظة، ثم يصير معهم زمنا حتى يعلم أحوالهم وما هم عليه، ويتحقق من أمراض نفوسهم، فيبتدئ بعلاج تلك الأمراض، مرغبا لهم في نوال الخير والمثوبة من الله تعالى، والمغفرة، والجزاء الحسن عنده سبحانه، كاشفا لهم نعمه سبحانه، مبينا فضل رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ عليهم، حتى إذا آنس منهم الإقبال؛ يشرح مبادئ طريقه، ويبين لهم مآخذها وسيرها وأساسها، بدون تكليف منه لهم بأخذها، حتى إذا طلبوا منه الطريق لم يسرع إلى ذلك حتى تشتد الرغبة منهم، وإذا ذكروا مشايخهم أثنى وترضى عنهم، حتى يكونوا هم المميزين بين المسيرين، المتحدثين بأقرب الطريقين، وهو يخفي عنهم ذلك.

فإذا آنس منهم بذلك؛ أخذ يشرح لهم علوم الرجل، وبعض مواجيده سرا، حتى إذا تمكن منهم الوجد مع السكينة والهدوء، إما أن ينيب عنه أحد إخوانه، أو أحدهم، ويتركهم بعد أن يجعلهم على حالة مرضية من القيام بالعبادات، وحسن الأخلاق، والتحابب، والاشتغال بالعلم النافع ـ أي المذاكرة ـ وعلم النوافل كالذكر والتوادد والاجتماع لله. ثم يسأل عن أخبارهم وأحوالهم، وإذا زاره أحد منهم يجمله بكمالات الأخلاق ومحاسن الشيخ والتحبب في إخوانه، ويكون أمامهم نشيطا أو متكلفا في الأعمال، حتى يتشبهوا به، فإنما هم مقلدون له في سيره وعمله، ويتباعد عن كل ما ينفر، غاضا بصره عن عيوبهم، مادحا لهم على محاسنهم، حتى يذوقوا حلاوة اليقين.

وبعد ذلك يبين لهم بعض المعايب عموميا في مذاكرته، ذاما لكل قبيح، بحيث لا يشعر أحدهم أنه مقصود بهذا الكلام، إلا عبد التمكن الأكم وتزكية النفوس: فلا مانع من أن يواجه المسيء بالتعنيف والتأديب، وله أن يهذبه بما يستحسنه بحسب مقامه.

الإخـوان

الإخـوان هـم هياكـل متعـدده، سـرت فيهم روح واحـدة، كالجسـد الواحـد تعددتت أعضاؤه ولكنه واحد، فإذا تألم عضو منه شعر بالألم كل الجسد، فكذلك الإخـوان يتـألمون جميعـا لألم أحـدهم، غنيهم فقـير لأنـه يـؤثر الفقـير علـى نفسـه، وفقيرهم غني لكمال ثقته بربه، صفت قلبوبهم فتجملت ظواهرهم، فإذا رأى الأخ الأخ كأنه أشرقت عليه أنوار، فانبسط وانشرح وصافح وفرح، فيزداد نورا على نوره، وحالا على حاله، وعلما على علمه، يبذل كل أخ لأخيه ما يجد من وجد أو موجود، فيغذى الأخ أخاه بعلمه، والآخر يغذيه بخبزه، فلا يقابل أخ أخلا إلا وفتحت أبواب السماء بالبركات، وهطلت الأرزاق والفتوحات، نزع الله ما في صدورهم من غل، وما في قلوبهم من طمع، لأنه سبحانه هو المحبوب لهم في أنفسهم وما تقولون في اثنين تقابلا على شوق في الله ومحبة في الله وبذل في ذات الله؟ هذا يبذل لأخيه ما به سعادته الأبدية من علم وحال وخلق حسن، والآخر يبذل له نفيس طعامه وشرابه وماله، وما تقولون فيمن تحقق فيهم قوله﴿ﷺ وآله﴾ في الحديث القدسي عن الله تعالى: ﴿المتحابون في والمتباذلون في والمتزاورون في على منابر من نور يغبطهم الملائكة والأنبياء لقربهم من الله﴾[1]. وليس هذا الوصف العلى موجودا إلا في الصديقين وأبدال الرسل عليهم الصلاة والسلام،

([1]) هذا حديث صحيح أورده السيوطي ورواه عبادة بن الصامت بلفظ: "قال الله تعالى:حقت محبتي للمحابين في وحقت محبتى للمتواصلين في، وحقت محبتي للمتناصحين في، وحقت محبي للمتزاورين في، وحقت محبتي للمتباذلين في، المتحابون في على منابر من نور يغبطهم النبيون والصديقون والشهداء" الجامع الصغير جـ 2 ص 21.

فكل أخ يعامل إخوانه بهذا فهو من الصديقين، ومن أبدال الرسل عليهم الصلاة والسلام.

مراتب الإخوان:

من سبقك ولو بيوم في صحبة الشيخ فله عليك فضل السابقية، ثم تصلهم بقدر مجاهداتهم وبذلهم وموالاتهم وكمال اتباعهم وحسن أخلاقهم وصدق تسليمهم، فقد يفضل الواحد على الألف لما اختص به من الفضائل والكمالات، وهذا الفضل يجب على الإخوان أن يتناسوه فيما بينهم، بمعنى أن الأخ الفاضل الذي ميزه الله بأكبر خصال الخير لا يشهد لنفسه فلا على إخوانه، إنما ذلك أمر تشهد به الإخوان له، فلا يغتر به، بل يزداد في تواضعه، وفي رغبته، وفي إقباله وفي مجاهداه، فإن الكمالات الإلهية لا نهاية لها، والمواهب الربانية لا حصر لها، فمن وقف عند حد منها رضي لنفسه بالنقص، مع تيسير الكمال له.

وعلى الإخوان أن يعتقدوا الإحسان في غيرهم، والنقص في أنفسهم، وأن يغضوا عيون البحث عن عيوب بعضهم، ويصموا آذان التنقيب عن نقائص بعضهم، فإن المريد ليس رسولا معصوما، ولا ملكا نورانيا مجردا عن لوازم البشرية. وعلى كل أخ أن يشتغل بتطهير نفسه، وتزكيتها من عيوبها، وأن ينظر لنفسه بالانتقاد أو البحث عن دسائسها ومساوئها، وينظر لكمالات إخوانه ليتكمل بها، ومحاسنهم ليتجمل بها، وهذا سبيل السلف الصالح من أهل الحب والصدق والإخلاص.

نصيحة للإخوان:

أخي، تباعد عن أخلاق إبليس وهي: الحسد، والكبر، والطمع، وحب الشهرة والسمعة، وأذية الخلق، والغيبة، والنميمية، والكذب والزور، وإشاعة الفاحشة في إخوانك المؤمنين، وأحب لجميع إخوانك ما تحبه لنفسك، ودع الفساد وتباعد عن أخلاق البهائم من الحرص، والبخل، والانتقام، والحيل، والمكر والخداع، والتملق، والزنا، وشرب الخمر، والتهاون بحقوق الناس.وتخلق بأخلاق الملائكة بتأدية المأمورات، والتباعد عن المنهيات، واحفظ الرأس وما وعى من العينين والأذنين واللسان والأنف. والجسم وما حوى من اليدين والقلب والبطن والفرج والرجلين.

واحكم يا أخي أنك من أكابر الأولياء لله تعالى، المحفوظين بعين عنايته، لأن الله لا يوفق لهذه إلا صفوته من أوليائه، وهو الموفق الهادي سبحانه وتعالى، وأدم الشرك على النعمة تعطى المزيد، والله سبحانه ولي المؤمنين وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

تهذيب الإخوان

أنواع التهذيب:

الأمر بصيام يوم الخميس والاثنين من كل جمعة. صلاة عشرين ركعة فأكثر ليلا. صيام يوم وفطر يوم. الخروج من بعض ماله لإخوانه. تكليفه بالحج نافلة.

تكليفه بسقي الماء لإخوانه، ثم للعامة في الجمع والصلوات الخمس. هذا للسالكين من أهل اليسار.

أما أهل الأحوال والوجد فتكلفهم بخدمة النعال، فحرمانهم شهود مجالس المذاكرة أو الخلوات، ووقوفهم خارج الباب، أو نزولهم عن مراتبهم، أو الحكم عليهم بالخدم المحتقرة كالكنس والرش، أو الحكم عليهم بالاشتغال بالأسباب بعد التجريد، أو النبيه على الإخوان بأن لا يتكلموا معهم إلا بالواجب شرعا، حتى إذا زكت نفوسهم عادوا عليه ما كانوا علهي. هذا كله فيمن أتى تائبا معترفا.

ومن هذه التهذيبات يجب على الإخوان أن لا يتكلموا في شيء من هذا فيما بينهم ـ ولا للأجانب ـ حفظا لأخيهم من رعونات نفسه من ذم للطريق وأهله، ومن نسبة النقائص إلى بعض أهله، بل يكون هذا من المرشد أو نائبه مباشرة للأخ، فإذا انتهى من المجلس كأنه لم يكن يسمع للإخوان، ولم يعلم لهم، وعلى الأخ إذا أمر بشيء من ذلك السمع والطاعة، مالم يؤمر بمعصية.

تهذيب المرتد عن الطريق:

يهذب بالتأليف والمساهلة معه، وعدم الخوض في عيوبه بألسنة الإخوان، وعدم قطيعته منهم، بل يترددون عليه بالحكمة مستأنسين بدون ذكر عيوبه، حتى إن قهروا شيطانه وفاء إلى الحق قبل، ودعوا له بالخير، حتى إذا اعترف بذنبه وطلب تكليفه بأمر يمحو عنه عيوبه، كلفوه بما يليق به.

البيان الشافي في التهذيب:

البيان تفصيل مجمل لمؤهل، وكشف خفي لولي، وكشف حجاب لأواب، ومراتبه متباينة بالنسبة للطالبين. فينبغي للعارف أن يسير على قدر الضعفاء في المجالس العامة، وعلى قدر الأكثرية في الخاصة، فإنه إن بين لأهل رتبه سرا لم يكونوا أهلا له، إما أن ينكروه أو يهملوه. ثم لا يبين ركنا من أركان الإيمان، ولا خصوصية من خصوصيات الإحسان، إلا لطالب برغبة وشوق وحرص على ما يتلقاه، وعمل به. فإذا لاحظ الداعي تلك الملاحظات؛ حفظ من أهل إنكار، وأمن جانب أهل الاعتراض، ونفع العامة والخاصة.

وطريق البيان إما بالقول أو بالعمل أو بالحال، فالبيان بالقول: للتأليف، والبيان بالعمل: لتزكية النفوس وتخليتها عن الرذائل، والبيان بالحال: لتحلية النفوس ووصولها إلى مقامات القرب والمشاهدات. وقد روينا في هذا المعنى قوله ﴿ﷺ وآله﴾: ﴿الشريعة أقوالي والطريقة أعمالي والحقيقة أحوالي﴾.

فالأولى البيان أولا بالقول بقدر السامع في العامة، ثم العمل في الخاصة، ثم بالحال في خاصة الخاصة. فليس من البيان أن يتخطى الداعي بالسالكين مقاديرهم، فيفوتهم من العلم بالله تعالى بقدر ما تركوه بدون بيان.

وإذا صحت الحال من أهله أمام من تجملوا بالتأهل له؛ بلغوا مبلغا من الرقي لا يزالون في مزيد منه، لم يكونوا يبلغوه بدون الحال ولو عملوا أو قالوا ألف سنة.

والحال قد ينقل أهل البداية إلى مشاهدات أهل التوحيد، ولكن لا يحصل لهم التمكين، فيحتاجون إلى دوام تجدد أحوالهم. أما من ارتقوا على سلم السير بسماع قول فعمل فحال من عارف متمكن، فإنهم لا ينقص حالهم، ويدوم في مزيد، ولا يحتاجون إلى تجدد.

فعلى الداعي إذا دعا بالحال أن يجعل القول والعمل حصنا للمدعوين، حتى يمتزج شرابهم بقول وعمل وحال، ويكون الداعي أنشطهم فيها كلها ليقتدوا به فتتوازن قواهم، وبذلك يدوم بسطهم، ويزول قبضهم. ثم يتوالى عليهم الجمال بما علموا وما عملوا وما به تحولا، فإذا غاب عنهم الأنس بالجمال أونسوا بالعمل، وإذا غاب عنهم الأنس بالعمل والحال أونسوا بما علموا، فدام إقبالهم، وتوالت أنوارهم، وأشرقت عليهم أنوار الوصل، ودارت عليهم أقداح الكشف فطابوا، وعن الآثار غابوا، ولا يزالون في الرقي؛ حتى يكون أنسهم بالوجه العلي.

مداراة الناس:

مداراة الناس من أخلاق سيد المرسلين، ومن أكمل فضائل الدين، بشرط أن لا توقع في محرم، ولا تؤدي إلى ترك الواجب، أو إقرار علىكبيرة. وإنما تكون المداراة كاملة بمعانيها من حكيم محب لخير الخلق، حتى يضع المداراة في مواضعها التي يحفظ الناس بها من الوقوع في الفتن وفتح أبواب الجدل، ومن وقوعهم في ذاته، فيستر عنهم من الحال مالا يطيقون، ومن العلم ما لا يفهمون، ومن العمل مالا يتعودون، حتى تحصل لهم الألفة والسكون إلى ما يحب.

ولما كان للمقبلين على الله المتجردين عن الدنيا وملابساتها؛ المجاهدين هواهم في ذات الله؛ صفاء يحصل به الأنس مع الله تعالى، حتى يكون الله معهم وهم معه سبحانه وتعالى، فتكون المعية حصونا لهم واقية من الوقوع فيما لا يحب بدوام المراقبة، فيحصل لأهل هذا الحال مواجيد صادقة، تؤدي بهم إلى أعمال لا ينكشف للعقل سببها، كما يحصل لبعض الرجال من ترك الأكل مدة، واصمت زمنا، وعدم التأثر بالبرد والحر، والتلذذ بالابتذال والخشونة، والفرار من الخلق في الصحاري والغابات، والسكون في المقابر، وترك بعض الواجبات، والخروج من ماله أهله ووطنه، والجلوس في مواطن الغفلة، ومظان المعاصي والفسوق بدون مبالاة ولا اكتراث ولا حياء من الخلق، ولا خجل من الخروج عن الاعتدال، وكان سبب ذلك كله يخفى على العقل المكتسب لجهله بقدرة الله تعالى، وإلا فالقادر على أن يحفظ الجسم الإنساني في النار ويجعلها له بردا وسلاما، والقادر على أن يحفظ قوما ثلثمائة سنة وتسعا بدون أكل ولا شرب ولم يموتوا، قادر على أن يحفظ العبد من الموت مع جوعه شهورا، ويجعل له الماء جليدا يمشى عليه، ويطعمه ويسقيه وهو في الغابات والصحاري، ويحفظه من المعصية ولو كثرت أسبابها.

ولكن مع هذا كله؛ فالأكمل أن يخفى أهل الأحوال والمواجيد أسرارهم ومشاهداتهم العلية عن المبعودين عن الله، الجاهلين بقدرته ومشيئته، الذين لم يكاشفوا بغريب تصريف أسرار المعية، خشية على المبعودين من الجحود لقدرة الله فيقعون في الكفر، وغيرة على أسرار الله وأسرار رسله وأوليائه. فكانت المداراة من أجمل ما يتجمل به السالك والواصل والمرشد والكامل، ولو غلبه وجده وحاله،

وقهره مشهده ووقته، فإن الصبر في تلك المواطن من الجهاد الأكبر. وإن كثيرا من الأئمة المرشدين والهداة الكاملين خرجوا عن حد الاعتدال، ولم يبالوا بأهل اللوم والجدال معاملة لله وحده، وعدم مبالاة لمن سواه، والله سبحانه وتعالى يجملنا بالأخلاق المحمدية.

الوسعة تقتضي التفاوت:

معلوم أن السير على الله سبحانه وتعالى هو سفر بمعناه الحقيقي، لأنه انتقال من حال إلى حال، ومن معتقد إلى معتقد، ومن شهود إلى شهود، ومن وجود إلى وجود، ومن قيود إلى إطلاق، ومن الدنيا إلى الآخرة ومن الآخرة إلى نفسك، ومن نفسك إلى الله.

ولما كان قطع تلك المسافات قد يكون على منهاج موصل على الأكمل من المقاصد، حتى يصل الى الله تعالى، أو على سبيل يوصل لغاية محدودة ونهاية مقيدة، وكان السالكون يتفاوتون بحسب استعدادهم ومقام إمامهم، وما سبق لهم في المشيئة، فإن، كان الإمام من أهل التمكين العالمين بمراتب الوجود، المتمكنين من سبل الوصول، المناولين من شراب الغيب والشهادة، تفاوت السالكون حالا ومشهدا ومقاما وعملا، وتبين مواجيدهم وإن اتحدوا على حسن المقصد والمبدأ. وتباينهم بحسب مراتبهم ومارجهم، لأن المعارج لا تتناهى عدا وذلك لمقتضى الوسعة، فترى بعضهم أنس بالعمل البدني، والآخر بالعمل القلبي، والآخر بالحال، وغيره بالمواجيد، والآخر بلسان الحكمة، والآخر بملازمة خدمة الإخوان والقيام لهم

بالواجب، والآخر بالعزلة والوحشة من الناس، وغيره بالبسط والأغاني. كل ذلك من وسعة المعارج فسبحان رب المعارج، وكثرة الوجه الموصلة إلى الوجه: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾[1].

والمرشد الكامل يسره تلك الوسعة، مالم تؤد إلى فساد في خلق، أو تفريق لمجتمع، أو اشتغال بجدل.

والمريد الصادق العالم بوسعة مشارب المرشد الكامل وكثرة المعارج وتفاوت المشارب والكل تؤدي إلى الواحد، إذا سكن قلبه إلى معراج منها، ووجهة من تلك الوجه، لزمه غير معارض من خالفه، ولا ملتفت إليه، خشية وقوفه وقطيعته، متحققا أن الكل على خير وفي خير، عالما أنه مسئول عن نفسه حتى يصل إلى المقام الذي به يطالب بغيره.

وهكذا كان أصحاب رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، لكل رجل منهم مشهد ومشرب أنس به وسكن إليه، ولزمه وداوم عليه. فمنهم التارك للأسباب، ومنهم الواقف عندها، ومنهم من عمله الفكر، ومنهم من شغله الذكر، ومنهم من أنسه بتلقي الحكمة عن رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، ومنهم من كاد الخوف والمجاهدة في الله أن تميته، ومنهم من كان آنسا بالله حاضرا معه، ومنهم من أنس بالدعوة إلى الله، وتبليغ ما سمع من رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، ولم يكن يعارض أحدهم الآخر، ولا

([1]) سورة الصافات آية 164.

يرى نفسه أنه خير منه، بل كل رجل منهم أنس بما أقامه الله فيه، ناظرا لبقية إخوانه بعين المحبة والعطف والتجلة والتعظيم.

وهكذا، إذا ظهرت تلك الأنوار المحمدية في أي زمان من الأزمنة؛ تفاوتت المشارب، وتباينت المعارج، وصار لكل رجل أنس مخصوص وبهجة خاصة، فإذا حفظهم الله من معارضة بعضهم لبعض، ومن ذم بعضهم لبعض، بلغوا مراقي الصديقين، وارتفعوا على معارج المقربين، وصفا حالهم، وطاب أنسهم. وإذا حصلت بينهم النفرة لاختلاف مشاربهم، وحسن كل واحد منهم حاله، وقبح حال أخيه، كان ذلك داعية إلى وقوفهم عن السير، واحتجابهم بتلك الأهواء والحظوظ.

وعمل الصحابة عليهم رضوان الله هو الحجة البالغة والمحجة الواضحة.

ووسعة المرشد تقضى باختلاف مشارب السالكين، وتفاوت مقاماتهم وأحوالهم، وكلهم على خير ما كانوا رحماء بينهم، فإذا فقدت الرحمة من بينهم وجب عليهم التوبة والإنابة والاستغفار.ومقتضى الوسعة يوجب الشكر والثناء على الله الذي أفاض على العوالم تلك الأنوار، وقربهم إليه من معارج أسمائه وصفاته، وكل واحد منهم بحسب ما تجلى له من معاني الأسماء ز نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا رحماء بيننا، وأن يحفظنا من الجدل ومن المعارضة، وأن يحببنا في بعضنا له، وينزع ما في صدورنا من غل إنه مجيب الدعاء، وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

معارج القرب:

عكوف البدن في البداية على عمل الصالحات. كمال التسليم للحكم والآيات. صفاء اللب حتى تكون له لوامع أنس عند نوم العينين. الرؤية الصالحة. الحب الخالص للرجل في الله بجميع لوازمه من إطاعة وانقياد وبذل. صفاء السريرة عند التأثر بالحظوظ والأهواء. عكوف السر على الجناب العلي. التوجه بالكلية إلى حضرة الألوهية بحسن اليقين وكمال التمكين على سنن مرشد كامل. مواجهة معانى الصفات بسر صفا تجلعه متحققا بمعاني الصفات فيكون لوا محفوظا، منازلة من مقامات الجمال والجلال تجعل المواجهة بين الرهبة والرغبة، ثم التمكن في المقام والرهبة من المواجهة: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾[1] وهو مقام يواجه الله فيه أصحابه، وهم من عظمة المقام يغضون أبصارهم، لأن الله قد امتحن قلوبهم للتقوى، وهو مقام الخلة الذين اصطفاهم بعد أن اجتباهم، والله عندهم وهم العبيد، وبعد هذا لا معراج ولا رتبة ولا مقام، وهو سر:" لي ساعة لا يسعنى فيها إلا ربى"

غيب عن الأملاك والملكوت   خاف عن الأنوار واللاهوت
ـو لكل مراتب الأسماء قد   ـى به غيبى ونور نعوتي
ـب بمعناه العلى مقدس   كنز باطنه عن الجبروت
، لا يبدو لروح قدست   بمحق المحق عن مثبوت

(1) سورة الفتح آية 29.

ـالي أبـــوح بمـــا بـــه أنا ظـــاهر ـــلا أبحـــت بمـــا بـــه تشـــتيتي
ـــب عـــن الأسمـــاء في كنـــز الخفـــا بظهـــرن إلا لـــدى العظمـــوت
ـلبت مكانتـــه النعـــوت وأشـــرقت ـــس الصـــفات بســـرها التثبيـــت
ـــد التجلـــى فالمكانـــة في الخفـــا `ســـم يظهـــر منبئـــا بنعـــوت
ـــني وحـــالي فالمقـــام بـــه الخفـــا ـــني وحـــالي كشـــفه تلفيـــتي

الباب الثالث

المشاهدات والمنح الربانية وما يجب على السالك

الفصل الأول

المشاهدات والمنح الربانية

أولا: المشاهدات

أتكلم عن أهل الخصوصية، صارفا النظر عن أهل التقليد الذين يعملون العمل مجردا عن روح المشاهدات القلبية، فإنهم إنما يحاكون الحركات والسكنات، الرتبة التي اشترك الإنسان مع بعض أنواع الحيوانات فيها، فإن كثرا من أنواع الحيوانات يحاكي أعمال الإنسان، وقد تبلغ المحاكاة به إلى أن يتقن فنا من الفنون أو حرفة من الحرف أو خدمة خاصة.

إذا تقرر ذلك، فالمشاهدات بدايتها الخوف من عقوبة على فعل قبيح، أو الطمع في جزاء على فعل حسن، فيكون العامل متمثلا الجزاء عند العمل، فيتلذذ بالعمل ويأنس فيه لحسن يقينه بنوال ها الجزاء، فيداوم على العمل برغبة ونشاط، ثم يتمثل ألم العقوبة وضعفه عن تحملها، فينفر من القبيح وتمتنع نفسه عن إتيانه، فهذا حال المريد في بدايته.

ثم يترقى إلى مشاهدة السالكين، وهي أن أعمال البر والقربات والصبر عليها، وترك المعاصي والصبر على تركها، مما يزيد في ملاذه ونعيمه في الدار الآخرة. فيكون متمثلا تلك الملاذ وهذا النعيم الذي يناله بقدر المسارعة إلى

العمل، فيكون نشاطه أقوى وأنسه أكمل عند الأعمال، ولذته أعم، ويكون فرحه بعمل الحسنات لا يقدر، وحزنه على حصول الهفوات لا يوصف، لما هو ممثل له بفكره عن علم اليقين.

ثم يكاشف بمشاهدات أخرى يذوق منها لذة العامل بإتقان عمله، والقيام بما أمر به، مشاهدا حكم الأحكام وسر الأوامر، حتى يأنس من كل حكم بحكمته، ومن كل أمر بمقتضاه، فتشرق عليه أنوار العية، فيذوق حلاوة الأنس بالحاكم والآمر، وهي مشاهدة الأبرار.

ثم إذا قوى حاله عن علم اليقين حتى بلغ به عين اليقين؛ كانت مشاهداته في معاملته تلذذه بالأعمال لأنها خير، ولأنها بأمر الله، فيعمل العمل لفضيلته، ولأنه مأمور به، صادقا في عمله لله تعالى، محققا أ، ه بعض ما يجب لهذا المقام العظيم، وواهب الفضل العميم. ويقوى هذا الحال حتى تظهر له أنوار مشاهداته، فيرى عجزه وقصوره عن القيام لمولاه بحسن المعاملة. ثم ينمو حاله حى يتحقق بوحدة الأفعال، فتكشف له أسرار معية الحق له، ويكون مع الحق والحق معه، وهي مشاهدات أهل اليمين عن عين اليقين. ثم يحصل له التمكين في مقامه، فتكون مشاهداته عن التوحيد، فيكون مشهده كاشفا له حقيقة أنه لا إله إلا الله، وبها كل الأسماء، لا معطى إلا الله، إلى آخر الأسماء كلها، بيقين وتمكين، فيكون الحق أقرب إليه من كل شيء، فلا يشهد سواه، ولا يأنس بغيره، ولا يخشى أحدا

إلا الله، ولا يحب ولا يرغب ولا يطمع ولا يشتاق ولا يعتمد ولا يثق ولا يسأل ولا ينادي إلا الله، حتى إذا جاع طلب منه أكله لكمال مشاهدته، وحسن ثقته.

وهذه مشاهدات المقربين.

مشاهدات المحبوبين وأهل مقامات حق اليقين، فليس للعبارة فيها مجال، ولا للسان فيها مقال، لعلو مشاهداتهم عن أن تكشف بعبارة، أو تبين بإشارة، وقد تقدم الإيماء إليها في بعض مواجيدي نظما ونثرا، والله سبحانه ذو الفضل العظيم.

النسب الإلهى:

نسب به يقبل عليك، ونسبت به تقبل عليه، فإذا تجمل بهما الإنسان كان مع الله وكان الله معه، وصار محبوبا لله مرادا لذاته، وأي شرف أعظم وأكمل من اتصال نسب العبد بالله تعالى؟.

1. النسب الذي يقبل به عليك:

النسب الذي يقبل به عليك إقبال إمداد وإحسان ووداد وامتنان وشفقة ورحمة ورأفة، حتى يمنحك منه ما تشاء، أو يكون لك عنده ما تشاء، هو تحققك بحقيقتك، وانكشاف معانيك لك حتى لا تنسى من أنت نفسا ولا طرفة، فتكون بهذا الانكشاف دائم الاضطرار والتوكل عليه، والتفويض لجنابه العلي، والفقر لذاته الأحدية، فإذا تحققت بهذا النسب الذي هو حقيقتك، أقبل عليك بمعاني الربوبية، وقابلك بواسع الإحسان والعطية، فكنت ممتعا بالجنة العاجلة التي يعجلها لأوليائه،

لأنك باتصالك بنسبه العلي استحققت الولاية الخاصة، وخصصت بالكرامة والعناية، وهذا النسب الإلهي إذا انكشف لك فأدم شكر الله عليه، وأدم صلته بما به يكون متصلا، وبره بما به يكون دائما، فإن المتحققين به قليلون، والمتجملون به أفراد لله مرادون، والتفصيل سهل فهمه عليك.

1. النسب الذي تقبل به عليه سبحانه:

النسب الذي تقبل به عليه سبحانه، لا يتحقق إلا بعد أن تصل النسب الأول به سبحانه، فإذا تجملت بنسبه الذي يقبل به عليك؛ سهل عليك أن تتحلى بنسبه الذي تقبل به عليه سبحانه، وهو التخلق بأخلاقه الإلهية في المضايق التي تدفعك بقوة إلى التخلق بأخلاقك الحيوانية، أو الأخلاق الإبليسية، عند ذلك تجاهد نفسك في ذات الله، وتتخلق بخلقه الكريم عند مقتضى ذلك، مقبلا به عليه سبحانه، لأنه سبحانه يحب صفاته، ويحب أخلاقه، خصوصا إذا ظهرت في شخ يمكنه أن ينفذ مراده السيء، وموجب خلقه القبيح، بدون أن يحصل له من ذلك مضرة، فيكون تخلقه بخلق ربه في هذا الموطن رفرف أعلى للدخول على حضره العلية بدون حاجب ولا مانع، ولم يترق مقرب على سلم أقرب من هذا النسب، فإن نفسا واحدا يتنفسه الرجل متخلقا بخلق من أخلاقه سبحانه وتعالى بمقتضاه، يكشف عنه جميع الحجب حتى يتشرف بالمواجهة والشهود. والتخلق بأخلاق الله تعالى لا يتحقق إلا عند مقتضياتها مع الزهد والورع والإخلاص والصدق، حتى تحصل المشابهة في تخلقه، فيكون عفوه عن قدرة، وإحسانه ولو إلى المسيء، وصلته

ولو للقاطعين، وإكرامه ولو للمهين، والتفصيل يعلمه أولو الألباب والمثل والشواهد لا تخفى، وقد سبق تفصيل لبعضها.

النظر وعين اليقين:

إذا كان الناظر باحثا عن شك اعتراه، وريب خالج قلبه ليرجح أحد الطرفين، فهذا سالك في أخوف المسالك، وسائر في غير أمن. أما إذا كان الناظر بعد كمال اليقين بأركان الدين وإنما نظر مفكرا، وبحث متدبرا، فهو على مزيد من اليقين، ويدوم مزيده حتى يطمئن قلبه بعين اليقين، وهو سبيل لعروج أهل الخلة، المطلوبين للجناب العلي، الذين كوشفوا بملكوت السماوات والأرض، بعد العبرة والفكرة والتدبر في كل شيء، حتى بلغوا مقام اليقين بنور التمكين، وبداية هذا المقام اعتقاد بما وصل إليه علما بتسليم، ثم تبين له في الآفاق الآيات، فيذوق بوجد حلاوة قوة الحجة على ما اعتقد، حتى يزداد يقينه بمشاهدة تلك الآيات الظاهرة في الأرض والسموات، ثم ينتقل إلى نفسه فينكشف له فيها من معاني الصفات، وجمال الهبات، ما به يكمل يقينه حتى كأنه يرى ويسمع، إلى حال يتحقق بالمعية عن عين اليقين، فيشهد فيه وفي الآفاق أسرار بديع خلاق قريب رزاق قدير عليم، فلا يقع نظره بعد ذلك إلا على معاني الأسماء، ظاهرة في الآلاء، ويسبح الله تعالى ويحمده ويكبره وينزهه، ويدوم عروجه، ويستمر رقيه إلى أن يفنى عن مقام المعية، فتلوح له فيه معاني بارئه، فيسمع به، ويبصر به، ويتكلم به، ويبطش به. بمشاهدات عن يقين حق بعد التمكين في مقامات التوحيد، وأسرار التشريع، وفقه حكم الأحكام، وإدراك مراتب الوجود من تدل وصعود، ثم يترقى

إلى محو المراتب والمقامات، باتصاله بالنسب الحقي من مقام حق اليقين، فيكون العبد بأكمل معانيه قائما لسيده بسيده، عملا له به، كملت معانيه، وجملت مبانيه، وخفيت عن الأرواح مشاهده، وعن العقول رقائقه ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[1] والله ذو الفضل العظيم.

مشاهدات الموحدين:

تتفاوت مقامات الموحدين بالنسبة لطمأنينة القلب، وانكشاف أسرار تعلق الأسماء والصفات بمقتضياتها. والمشاهد إما أن يكون في مقام تمكين، أو مقام تلوين. أما أهل مقام التلوين فتكون مواجيدهم داعية إلى محو السبب، لأنهم مجذوبون للحضرة بحال التجريد والتخلية، وتنزعج نفوسهم إذا ظهر السبب لانصبابهم بكليتهم إلى المسبب الأول سبحانه، ومجاهدتهم أنفسهم لذوق حلاوة التوحيد، وكشف أسرار الواحد، حتى تراهم . لما انبلج في قلوبهم من نور المحبة والشوق في بدايتهم. يكادون يحجبون الكون عن عيون بصائرهم، وتشير ماعنيه لهم لما فيه، حتى يتسع أمامهم ميدان الفكر، فتجول عقولهم الموهبة لهم في أقطار السماوات والأرض، مشاهدة لمعاني الاسم الظاهر آنسة بما ظهر فيها من آيات الأسماء، وربما دعاهم هذا الحال القوى إلى ترك الأسباب الضرورية فرارا من الشرك لنظر السبب، وهو حال عن توحيد وتلوين وفقه للحكمة وصدق تلقين، وبهذا

([1]) سورة البقرة آية 269.

الحال تزكو النفس، ويتسع القلب، فيجهل السالك معارفه، وينكر أقاربه، ويكره عوائده، ويستوحش من أحبابه ومألوفاته.

عجبا!! ولم تسبق له رياضة ولا سياحة ولا عبادة، ولكنه فر من مفهوماته ومعلوماته وعوائده ومألوفاته وأخلاقه وصفاته وصار عالما آخر. ومشاهدات أهل هذا المقام قاصرة على الأنس لاستحضار معاني الحكمة في عالم الخيال، واشتغال قوة الكفر في الآيات الظاهرات والمعاني الخفيات، وتشرق عليه أنوار يرى منها بعين بصيرته قدر المقصد عزة وعظمة، ومقام المطلوب كبرياء وكمالا، فتعظم في عين قلبه الوسيلة ويأنس بها، حتى ينخطف قلبه إليها، لما يأنس به من وجوده مع الوسيلة من استحضار أنه أدرك بها المقصد،

حتى كأنه مشاهد للمقصد، وفي هذا المقام يكون المريد السالك بقدر بدايته حبا واصطلاما وفناء وغراما، وبقدر فراغ قلبه مما سوى المقصود الأعظم وسلوه لمن سواه، وإقباله عليه بكليته، فإذا صحت تلك المعاني وتجملت بها منه المباني، ووجه مواجهة محبوب أو مواجهة محب، وكل منهما مقام معلوم، فإذا حصلت المواجهة صحت المنازلة، فيقف العبد في مقام المنازلة وقفة حيرة، فيشتاق لطمأنينة قلبه، ناظرا بعينه، وبينهما بون بعيد فعين تشهد السبب، وعين أشرقت عليها أنوار المسبب.

ومشاهد التوحيد تمحو الأسباب وتخفى النسب، ومقام العبد يثب الوسائط ويشهدها، ليتمكن من مشاهدة معاني الأسماء والصفات، فإذا انبلجت

عن مشاهد التوحيد نور إيجاد أو إمداد ولم ينكشف له كيف انبلجت، ولم يتضح له سبب انبلاجه؛ وهو مقام العبودية بانكشاف السبب ليطمئن القلب ويشهد تنزلات الرب، فإن معاني الأسماء القائمة بالآثار لا تنبلج أسرارها إلا لمن علموا كيف تعلقت، ولذلك فأهل التمكين الأكبر من أولى العزم كانت مواجيدهم القلبية وأحوالهم القدسية داعية لطلب المزيد من كشف الكيفية، أو من تمكين الرؤية، أو إظهار آية للطمأنينة عند الإخبار بما عدم سببه. ولم يكن ذلك منهم صلوات الله عليهم لضعف إيمان، ولكن لمزيد الإيقان. ولذلك فأهل مشاهدات التوحيد - عند انكشاف مشهد من المشاهد القلبية القدسية - تتشوق روحهم القدسية إلى كشف السبب بالكيف أو الرؤية بانزعاج شديد وخوف وخشية، حتى لا يكون لهم مشهد إلا وقد اطمأنت به قلوبهم، وسكنت إليه أرواحهم، وتحققوا فيه بمشاهدة معاني الأسماء، وكيفية قيام الآثار بها، وهذا مقام التمكين.

هذا الكليم صلوا الله عليه، لما رأى عصاه كأنها جان ولى مدبرا، وهو في مقام أمين، لأنه لم يشهد سببا واقيا له محسوسا بعينه، فكان هذا المشهد التوحيدي الذي هو الحفظ بلا سبب من أضر ضار مزعج، حتى أطمأن بظهور السر في ذلك. وهكذا لكل مشهد من مشاهد التوحيد في قام التمكين من الحيرة والاندهاش والانزعاج ما لا يوصف ولا يعير عنه. ومشاهدات الرسل عليهم الصلاة والسلام في القرآن الشريف، خمر لأهل هذا المقام، ونور يبين هذا السبيل. فإذا كان أهل هذه المقامات العلية - مع كمال تمكينهم - يتشوقون إلى شهود الكيف، ويطمئنون بالوسط فيما لم ينجل سببه ولم يظهر كيفه - وهم أهل هذا

المشهد . فكيف يباح هذا المشهد لغيرهم ممن انطمست بصائرهم أو احتجبت سرائرهم ؟ ولأهل هذه المشاهدة مشهد، تفنى الآثار في أعينهم والآيات في أنفسهم، والأسماء والصفات في معانيهم، ثم يفنون هم فيحتجب بفنائهم كل اسم ومكل صفة، حتى يكونوا في مشهد لم يكن فيه إلا "كان " نسأل الله سبحانه وتعالى أن يمنحنا ما به تطمئن قلوبنا، وتسكن إليه نفوسنا، من مزيد العلم وانكشفا الأسرار ومشاهدة الأنوار، ويحفظنا من شواغل تحجبنا أو تسل يقطعنا، ويحصننا بحصون حبيبه مُحَمَّد ﴿ﷺوآله﴾آمين.

مقاصد القلوب وهممها:

قال ﴿ﷺ وآله﴾: ﴿إن الله لا يقبل على كل كلام الحكيم، ولكن يقبل عل همه وهواه﴾ الحديث. لما كان القلب محل نظر الحق سبحانه وتعالى، ومنه تنبغث الأوامر للأعضاء فيصرفها حيث شاء، وقد ينبعث منه الأمر بالخير وهو يقصد الشر كما يفعل المنافق أو المتملق أو المخادع أو المخاتل، فإن جوارحه تتكيف بكيفية حسنه تعين على مراده، ولكن القلب مخفى فيه غير ذلك، وقد تتكيف الأعضاء بصورة تنفر الناظر وتخيفه وتغضبه، والقلب مخفى فيه كل خير، ومكنون فيه الرأفة والحنانة، كما يحصل من الوالد الشفيق أو الأخ الرفيق عند نصحه ولده أو صديقه، أو نهيه عن قبيح حصل منه، فإن بواعث الشفقة والرحمة إذا اندفعت من القلب قض على الجوارح بالشدة والقسوة، فالحكيم قد يهتم قلبه بعمل لله خالص، ويميل هواه إلى مراد لله، ولكن يدعوه مقتضى الوقت أن يعمل

هذا العمل بحالة ربما ظن منه الجاهل بها أنه منافق أو مراء، أو مخالف للشرع، وحكم عليه بذلك.

وهو في عمله هذا من المقربين إلى الله المحبوبين لله، وإن كان ظاهر عمله يومئ إلى مخالفة باطنه، فإن الحكماء قضت علهم أنوار الحكمة أن ينشروا الخير بين الناس، ويظهروا الفضيلة ويدلوا الناس على مناهج البر و موارد الوصول، بالأساليب التي يرون نجاحها، مادامت مباحة شرعا ولو كانت مبتذلة عرفا، غير مبالين بما يلم بهم من لائمة الخلق؛ مادامت مقاصد القلوب وهممها إعلاء كلمة الله، والمحافظة على حدوده. وهو مسلك من المسالك التي ينبغي لكل مرشد كلمة الله، والمحافظ على حدوده. وهو مسلك من المسالك التي ينبغي لكل مرشد أن يتجمل به، بحيث أنه يراقب قلبه سرا وعلنا، ويحاسب نفسه في أصغر الصغائر وأكبر الكبائر، ويجاهد هواه في ذات الله تعالى، مجاهدة تجعل قلبه لا يهم إلا لله، ولا يهوى إلا لله، مستصغرا كل حظ لغيره، مستهينا بكل هوى لغيره، وعليه ـ مع هذا الصفاء الذي يحصل لقلبه ـ أن يكون حكيما في صفائه، فيحتاط من الناس بظاهره، خشية من حصول الوحشة بينهم بسوء ظن أو بسوء عمل.

وتلك الحيطة تكون بظاهر الأعضاء، مع سلامة القلب من الأحقاد، وحفظه من الغلول، وتطهيره من المنافسة فيما لا بقاء له من العرض الزائل، فيجعل أخاه كنفسه إلا أنه شخص آخر، يحب له ما يحب لنفسه، باذلا له ما يحبه من ماله، زاهدا في جميع ما معه وما عنده، محافظة على إخائه، حتى يتحقق هو لك

بمثل ما تحققت به، فإذا تحقق بذلك قبلت منه ما تشرح صدره بقبوله منه، وبذلت له ما يشرح صدره بقبوله منه، ملاحظا في ذلك الحيطة بالمحافظة على إخائه، فلا تسلك معه مسلك ظنه، ولا تمكنه منك في حالة ربما أدت إلى سوء ظنك به، حتى يدوم الإخاء في الله تعالى، ولا يكون ذلك خالصا لله تعالى إلا إذا بذلت له كل ذلك للقرب إلى الله، ونوال فضل الله ورضوانه سبحانه، لا لغرض آخر، فإن الأخ إذا صفا لك وصفوت له لله تعالى؛ كنت به في معي الله تعالى، وبلغت به منازل المقربين بما تبذله لله، وما تقدمه لله في ذاته، والله أعلم.

إن الذكرى تنفع المؤمنين:

أيها الإنسان: إن الله الذي خلق لك ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه، وسخر لك كل مخلوق خلقه، شهدت ذلك بعيني رأسك، وعاينته بنور فكرتك، والحمد لله قد ذقت حلاوة الإيمان بانفراد مولاك بعمل كل شيء، إذ لا شريك له في ملكه، وتحققت أنه سبحانه فاعل مختار ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [1] وتحققت أنه سبحانه قدر عليك وقضى لك قبل وجودك في هذه الدار الدنيا كل ما هو لك من عمر ورزق وعلم وعمل وجاه وشرف وإيمان، وغير ذلك مم يلائمك ومالا يلائمك، وبين لك سبحانه ما هو مطلوب منك مما أوجبه عليك من الإيمان به سبحانه إيمانا خالصا لا يشوبه شك ولا شرك، والعبادات التي بينها سبحانه، والمعاملات التي أمر بها، والأخلاق التي حث على التجمل بها.

([1]) سورة الأنبياء آية 23.

وكلفك سبحانه بأن تثق بما عنده أكثر من وثوقك بما تملك بقوله تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللهِ بَاقٍ﴾[1].

كل ذلك دعاك إليه سبحانه، وشهدت أن كل شيء يزول ويفنى، وعاينت أن كل شيء اعتمد عليه الإنسان ورتبه ووثق به؛ كثيرا ما يخلف ظنه، ويكون مآله على غير ما يريده المدبر المرتب، وقد جربت هذا الأمر كثيرا وشاهدته من كثير من إخوانك. حتى صار كل شيء يحكم به الإنسان قد لا ينتج النتيجة المقصودة، فتحقق الناس أن كل ذلك ظن وزعم إلا ما دلك عليه ربك سبحانه، فإنه كائن لا محالة ومحقق الحصول.

فما بالك أيها الإنسان تنبهك الدنيا بغرورها وتلفتك إلى مكرها وخداعها، وتتزين لك فتشتاقها، وتنسى كمالاتك وفضيلتك وشرف نفسك ورتبتك بين العالم.

الخلق جميعا عبيد مثلك، لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا، فكيف يملكون لغيرهم؟ تطمع فيما ملكته لكان ضرره عليك أعظم من نفعه لك، تسعى في نوال حظ عاجل يعقبه الحسرة والندامة، يسرك أنك ذو مال وذو جاه وعلو في الأرض، وكل هذا يزيدك غرورا وطمعا وفسادا وتجافيا عن الحق وأهله، واشتغالا بالباطل وأهله، وكل ذلك تزول لذته، وتبقى حسرته وندامته يوم القيامة.

([1]) سورة النحل آية 96.

وأنت أيها الإنسان تعلم ذلك علم اليقين مما تشاهده بعيني رأسك كل يوم في الوجود، من الحوادث التي توقظ الغافل وتنبه الساهي، فهل جهلت أو تجاهلت؟؟.

فعليك أيها الإنسان بالقيام بحقوق ربك، والمحافظة على أوامره، والسعي فيما يرضيه بكل جهد، غر ملتفت إلى الحظ العاجل واللذة الفانية، واعتبر بما تشهده من الآيات وتعلمه من الآثار، وتدارك نفسك قبل فوات الوقت، فالإنسان لا يعلم أجله ولأن تتمسك بالحق ويطول عمرك في عمل البر؛ خير من الأمل والغرور بأنك تمهل وتواب بعد فما تدري لعل الأجل قريب، وها هو كاب الله تعالى وسنة نبيه ﴿ﷺ وآله﴾ وضحت وبينت.. والمغرور الذي يتباعد عن النصيحه كأن في أذنيه وقرا.. والمطلوب من إذا نبه تنبه، وأقبل بقلبه ولسانه وجوارحه على الحق حتى يصل الى الله تعالى.

واعلم يا أخي أن لذة التقوى وحلاوة الإيمان متى باشرت قلبا نورته نورا ينشرح له الصدر، ويزول به الكرب، وتطيب به الحياة، وتأنس به النفس الطيبة، وتطمئن به القلوب الصادقة. فجرب يا أخي وذق معي لذة الإخلاص لمولاك ﷻ، وحلاوة الإقبال عليه، تجد من لذة الأنس وحلاوة اليقين ما يجعلك ملكا من الملوك في نفسك بالنسبة للخلق من جهة اليقين والطمأنينة، وتتوارد عليك الكمالات والعزة، حتى تتمكن في مقامات العبودية، فتكون عبدا صرفا لذات الله، خالصا من العبودية لغيره، وتكون ملكا مطلقا بالنسبة لغيره، ولديها تحمد الله تعالى، متحققا

بمقام الحامدين، واصلا إلى رب العالمين، ومن كان عبدا حقا لله سبحانه دخل في حصون العناية، وتولاه ربه بعين العناية، حتى صار من أولياء الله تعالى المحفوظين من الشيطان الرجيم لقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ (1) جعلنا الله تعالى من الذين تولاهم الله سبحانه بولايته الخاصة إنه مجيب الدعاء، وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

(1) سورة الحجر آية 42.

1. الحضور:

الحاضر من علم بنور فطرته مبادئ الدين، وذاق بلطيف فكرته حلاوة التسليم، فآمن بالغيب وتيقن بالحق، ومال لأهل التقوى، وسار على العروة الوثقى، وانتظم في عقد الموحدين، وفي معية المخلصين، وعامل مولاه سرا وعلنا، وراقبه مراقبة من شاهد، واستحضر عظمته استحضار مكاشف متحقق، فرغب ورهب، وأيقظت قلبه الحوادث الكونية الدالة على فناء ماسوى الحق، ورققت لطيفته الآيات الظاهرة في الآثار: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ (1) وتعاقب الأدوار، حتى ثبت يقينه ولم يغتر بزهرة العاجلة، ولا بمقدمات خيالاته الفاسدة، وأوهامه الضالة، ولم يقهره عامل مقتضيات شهوته، ولا باعث حظه، ولا داعي أمله، بل تجردت نفسه من أدرانها، وتخلت من أوحالها، بما توالي عليها من العبر، وما اطلعت عليه في السير، وأشرق نور الإيمان في أفق قلبه، وسر الإيقان في فؤاده، فآب إلى مولاه، وعادى من عاداه، فرارا من الكفر بنعمة المنعم، والجحود بالحق البين، وحاسب نفسه وهواه، وجاهدها في ذات الله، فقرب قرب الولاية الربانية، لأهل الصفوة من خيرة البرية، وكوشف من نفسه بأسرارها، وفتحت له كنوزها عن غيب آمن به تسليما، وسر سلم به مطمئنا، فكمل يقينه، وتحقق تحقق من شهد العين بعد الأثر، وتيقن بعلم مكانته من مبدعها، ونسبة

(1) سورة آل عمران آية 19.

نفسه إلى موجدها، حتى تحقق بالحضرتين، وتناول من الشرابين، وتولاه مولاه سبحانه وتعالى بولاية التخصيص، وأخرجه من الظلمات إلى النور، نور التنزيه عن الإدراك، نور التحقيق بالعجز عن التحديد والكيف، نور اليقين والاطمئنان لديها زال اللبس، وانمحى الوهم، وكوشف الملكوت، ولوحظ بعين العناية، ويد المعونة، فحضر حضورا لا غيبة بعده، وقرب قربا دون إدراكه عجزت العقول الكاملة، فهو الولي له سبحانه، والله سبحانه هو الولي له.

2. الغيبة:

متى ظهر لذي لب يفقه مقام الحضور، ورفعت ستور الحظ الحاجبة للنور، ورقت لطيفة مطلوب، وهامت روح محبوب وغاب عن القيود مريد، وسبح في الملكوت الأعلى مراد بعامل الحسنى السابقة، ويد المعونة المقدرة ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾[1].

أما الذين شقوا فهم في سجن شهواتهم يعمهون، وفي حجب غيهم ساهون، طالت عليهم الشقة، وحجبت عنهم المحجة، أخلدوا إلى أرض طبعهم، وأذلتهم أهواؤهم، فعميت عيون أفكارهم، وانطمست بصائر مداركهم، حتى أظلم في وجههم طريق الرشاد، وكسفت في أعينهم شمس التحقيق، فخبطوا في بيداء الوهم خبط عشواء، وتخبطهم الشيطان من المس فهم لا يعقلون، قبحت محاسن الأخلاق لديهم، وتجهمت معالم العبادات عندهم، فاسحسنوا ما ناسب حظهم

([1]) سورة الأنبياء آية 11.

العاجل، وركنوا إلى الحياة الدنيا واطمأنوا بها حتى كان الموت لا يخطر لهم على بال، ولا الآيات الظاهرة في الآثار تنبه منهم غفلات، ولا الحوادث المتوالية في كل نفس تلفتهم إلى الحق فيرجعون إليه ويتوبون، يزيدهم الإمهال غرورا وطغيانا، والانتقام في تلك الدار الدنيا يأسا وقنوطا، قفلت عن الحق قلوبهم، وصمت عن العظة آذانهم، ورمدت عن شهود الآيات أبصارهم ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[1] وقفوا عند عقول قادها الضلال فاعتقلوا الضلال فاعتقلوا بها، لا بالغيب يؤمنون، ولا بأنوار الشريعة يهتدون، إذا ذكروا هزوا رؤوسهم، ولووا أعناقهم، وقالوا: العقل أولى أن يتبع.ولو أنهم ذاقوا حلاوة الأنس بالعقل الكامل ووزنوا أنفسهم؛ لتحققوا أنهم كالحيوان أو أضل، غابوا عن نور الإيمان، وبعدوا عن لذة التسليم، والله سبحانه وتعالى يمنحنا وإياهم الهداية لسبيل الهدى ن ويدلنا على الحق دلالة يكمل بها اليقين إنه مجيب الدعاء، وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

تطهير القلوب:

إذا طهر القلب من الأغيار؛ صار بيتا معمورا بالأنوار، تطهر القلب قد يتحقق عند قوم في آنات مخصوصة، حتى لا يشك المشاهد لهم في أنهم أهل مقام مع الحق سبحانه، حتى إذا فتنوا بالخير أو بالشر انكشفت حقيقتهم لخاصة الناس، وهؤلاء ليسوا أهل صفاء ولا أهلا للإقبال على الحق، لأن أهل الإقبال على الحق

([1]) سورة الكهف آية 14.

من صفاتهم أنهم عند الابتلاء بالخير أو بالشر يسكنون إلى الله تعالى، كسكونهم إليه سبحانه في غير تلك الأحوال أو أعظم، تارة بالصبر لأهله، وآنا بالرضا لأهله، ومرة بالشكر، لأن أهل الاجتباء حاضرون بمعية مولاهم، فلا يغيب عنهم جماله وجلاله، ولا تنفك قلوبهم عن مشاهدة كماله سبحانه وتعالى في جميع تجلياته، مشاهدة تجلعهم لا يتأثرون بتغيرات الآثار، ولا بتعاقب الأحوال، إذن فأعمالهم برهان على طهرة قلوبهم مما سوى الحق سبحانه، حتى صار القلب بيتا معمورا بالحق، ومن لم يبرهن بأعماله على ما تكنه سريرته فهو مدع مغرور بنفسه، يحسب أنه يحسن وهو مسيء.

فطهارة القلب عما سواه مقام من المقامات العالية التي ينتج عنها التوكل ببدايته ونهايته، والرضا عن الله سبحانه بأجلى حقيقته، حتى يكون بمواقع البلايا أعظم سرورا، لتحققه أن الفاعل هو الله سبحانه، فيخشى أن يكره عملا من أعمال سيده ومولاه، أو يسخط قضاء قضاه خالقه وبارئه، إلا أنه في مثل هذا الحال يخاف عظمة العظيم أن يتلقى جلاله بفرح وسرور، فيغضب الحق سبحانه، فيتلقاه متبتلا بتبتل وتضرع وتذلل ومسكنة، وفزع إليه سبحانه، واستعاذ به ﷻ في دفع هذا البلاء، معتقدا أنه سبحانه هو الفاعل، وهو سبحانه المغيث الحفيظ، فلا يهلع ويلوذ بالخلق، ولا ينسى عقيدته ويقينه بالله سبحانه، وإذا أنعم الله سبحانه وتعالى عليه بنعمة من العلم أو الكرامة أو الجاه أو الدنيا فإنه يرى ذلك بلاء من الله تعالى، فعليه أن يلازم الشكر والمحافظة على مقام العبد، ويعتقد أن الله سبحانه

وتعالى هو الذي تفضل عليه بمحض فضله، وأنعم عليه بإحسانه، وبذلك تدوم النعمة عليه وتتوالى أيادي الفضل إليه.

الأمر الجامع والأمر الخاص للإخوان:

الأمر الجامع ما استوى عليه عامة المسلمين وخاصتهم، والأمر الخالص ما كان خاصا بخصوصية الإنسان من تواجد وغيره، لأن رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ كانت له خصوصية مفهومة، ومعه فلان وفلان من الصحابة، وكل منهم له خصوصية هذا بتواجد، وهذا بذوق، وهذا بفكر، وهذا بذكر، وكل منهم على قدر ما عنده ﴿وَاللّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[1] وفي الأمر الجامع يجتمع كل رتبة من المراتب، فكل طبقة بطبقتها تجتمع بالأمر الجامع، وبعد فراغهم من ذلك الجامع يتفرقون عن بعضهم، لكل أناس بحسب مشربهم، وكل خاصة بخاصتها من فكر ووجد، فأحوال الشريعة تجتمع في الأمر الجامع، وأحوال النبوة تظهر في الخصوصية، لأن لهم خصوصية معلومة لهم بحسب وارداتهم وتواجدهم وغيره ﴿وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

الوجهة:

الأعمال البدنية مشهد الخلق، والأعمال القلبية مشهد الحق، فكل عمل بدني لا يخلو من دسيسة يتأولها من يراها من الخلق، ويزنها من يفهم الباعث عليها فتحل محل القبول من الكاملين أو محل الرفض منهم، لأن أهل الغرة بالله تعالى لا

([1]) سورة البقرة آية 15.

يقبل منهم حكم على أحد في دين ولا دنيا لأنهم يميلون مع شهواتهم، ولأنهم يكرهون الأعمال الصالحة ويكرهون الموفق لها، لأن كل عامل يحب أن يشابهه العاملون، كما أن أهل التقوى يكرهون السيء من الأعمال، ويكرهون مرتكبها، ويحبون التودد إليهم ليقتدوا بهم دعوة لله تعالى، فالمعتبر عندهم حكم أهل التقوى، فكل عامل ببدنه لا يخلو من شبهة في عمله، إلا إذا صدقه قلبه، وساعده سره، وأخلص في عمله لسيده ابتغاء مرضاته، لأنه سبحانه لا يقبل على عمل البدن ولا ينظر إليه إذا تجرد عن الصدق والإخلاص وحسن الاتباع للشرع المحدود، بدون مخالفة لصغيرة ولا لكبيرة.

وعلىهذا فالعامل يلزمه العلم بكيفية العمل، علما صح سنده، وتواتر نقله، واتفق على صحته المقتدى بهم من أئمة السلف، ويلزمه العلم بمكانة المعمول له، ومكانة العامل منه سبحانه، ومكانة التكليف بالعمل، ليكون حاضر القلب عند العمل، مستحضرا وجود الحق معه عند العمل، إما بعلم اليقين أنه يسمعه سبحانه ويراه سبحانه، أو بعين اليقين من ﴿إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[1] شهودا منزها عن حدقة الباصرة، مشبها لنور البصيرة، ذائقا حلاوة الألفاظ الواجبة، والحركات اللازمة، مما يعين مكانته لقلبه تارة بالذل للعظمة والعزة، وتارة بالإبتهال عند الحاجة للمنعم المتفضل، وتارة قياما بالأمر للملك المطلق، وآونة

([1]) سورة النحل آية 128.

بالأنس بنسبة أن العامل عبد واقف أمام سيده يناجيه، ويكلمه بكلامه من مقامات اليقين، ومراتب القرب، و منازل الحسنى وزيادة.

هذه هي الوجهة التي يكون بها العمل حيا لصدوره عن الحي بالحي، قائما لتحقق العامل بقيومية الموفق لعبادته، وهذا العابد هو العبد المتمكن في مقامات العبودية، الملحوظ بعين العناية، المخصوص بالحظوة، الفرد للأحد.

أما أعمال الأبدان المجردة عن تلك الأسرار يقال لها: التكلف والتواجد، ليجد هذا إذا لم يسبقها باعث لشهوة أو غرض من الحظوظ النفسانية والأهواء الكونية، وإلا بهذا تكون لغير الله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ [1] كل هذا لأن العامل لم يوفق لصحبة أهل اليقين. وقد يحصل لكثير من العمال الغفلة عن ملاحظة الأسرار التي تضمنتها أجسام العبادات، وعبارات التكليف، مع سبق علمهم بها بالتعليم، ولكن لما لم يباشر اليقين قلوبهم كما باشرها الهوى والحظ، صرفوا تلك العلوم في جلب الدنيا وطلبها وفتح أبواب العاجل منها، وحب الجاه والشهرة والسمعة، غفلة عن الدار الآخرة، ونسيانا لأيام الله تعالى، ولذلك فالعلم لا يبعث على التوفيق إلا إذا وافق توفيقا من الله تعالى، ومعونة منه سبحانه، بتلقيه ممن سبقت أنوارهم أقوالهم، وعزائمهم أعمالهم وأحوالهم ومقاماتهم، فيكون تلقى العمل قبل العلم، واليقين قبل الجدل، والشهود قبل الشك. في الأثر: "الجدل علامة سخط الله تعالى" ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ

([1]) سورة الفرقان آية 23.

هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾[1] وفي الحديث ﴿من يترك المراء وهو محق بنى له بيت في أعلى الجنة، ومن تركه وهو مبطل بنى له بيت في وسط الجنة﴾.

فالوجهة هي الحالة التي يعمل العمل لأجلها وإليها، وتكون الباعث عليه، وبحسبها يكون مقام العامل ونزله ومكانته عند الله تعالى، لأن الله سبحانه وتعالى لا ينظر إلا إلى القلوب ووجهتها وحضورها كائنا ما كان العمل، نسأله سبحانه وتعالى أن يطهر قلوبنا، ويجملها بمعرفة المعرفة المشربة بكمال استحضاره وكمال عنايته بنا، وحفظنا من الخل والخطل والزلل والبهتان والغفلة والنسيان، وأن يمنحنا مراقبة تصحبها مكاشفة، ورغبة يصحبها قبول، ورهبة تصحبها ألطاف، وحنانة ورأفة إنه مجيب الدعاء، وصلى الله وسلم على مفيض المعارف الإلهية، وغيث اللطائف الربانية، وباب الوصول إلى حظيرة القدس الأعلى، وعلى آله وصحبه وسلم.

صفات الرجل:

إن الأسرار الحقيقية والأنوار القدسية هبات إلهية، ومزايا ربانية، يختص الله بها من يشاء ممن أهلهم لسابقة الحسنى، وفطرهم على الإحسان، حتى أنه سبحانه حصنهم بحصون العناية عن الميل إلى مقتضى البشرية، ولو إلى ما لابد منه لقوام الهيكل الإنساني، مما يلاحظهم به من مواجهتهم بأنوار جمالاته، فيكون الرجل لشدة حضوره الفطري قبل الكشف أقرب الناس إلى مكارم الأخلاق، وجميل

([1]) سورة الزخرف آية 58.

الصفات التي هي من شيم العبد الكامل، بدون وازع ولا باعث إلا أنوار الفطرة المودعة في جبلته، المجبولة على الخير بسابقة الحسنى، وتراه ممزوجا من صغره بالرحمة والشفقة والحنانة بجميع الخلق، وخصوصا لأقاربه وذوي رحمه، مسالما للناس، يكره ما يؤذي الخلق كما يكره أن يؤذيه الخلق، لا وجهة له في ذلك إلا سجية وعاطفة إلهية.

حتى إذا كشف له عن عوالم أسرار الملكوت، وغيب مشاهد الجبروت، كان على أكمل خلق وأتم وصف، لا يمنعه خلق إبليسي ولا وصف بهيمي عن تمتعه بمظاهر الأسرار الربانية، فيكون كامل الرياضة، مستوفى المزايا، فيترقى إلى مكانات الأبدال الذين بدل الله سبحانه معالمهم بمعالمه، ومشاهدهم المقيدة بمشاهداته المقدسة، حتى تنجلي تلك الصفات الكاملة في المرآة الكاملة، فيترقى إلى مقامات الأفراد الذين أفردهم الحق لذاته، بدون خطور أقل خاطر لسواه على قلوبهم، ولا شهود كائن ما غيره. ويترقى إلى مقامات وراثة الرسالة﴿إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً﴾[1]

والمتمكن في هذا المقام هو ميزاب الرحمة، وباب الهداية، ومفتاح الأسرار، وهو الذي يسميه الأبدال بالغوث الفرد، الذي يغيث الله سبحانه به عباده المؤمنين، ليبين لهم غيوب العلم المكنون الذي هو العلم بالله تعالى، ويكشف لهم عن أسرار الآيات والأحاديث، ويومي لهم إلى أسرار الكون وآياته الظاهرة، وما

([1]) سورة الأنفال آية 29.

يشير إليه باطنه، وهذا هو الرجل الصديق الأكبر الممنوح الهداية والتوفيق ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[1]

الزمن:

الزمن هو حظ المؤمن الذي يجد فيه ليتحصل على نوال السعادة الباقية، فالنفس الواحد عنده أغلى من النفيس، وأعظم من النفس، فهو يجود بما سواه، ويبخل به أن ينفقه في غير فائدة تناسبه، من قربة أو مكرمة أو مبرة أو عمل صالح أو ذكر أو فكر أو علم أو إصلاح أو مساعدة أو صلة رحم، لإنه يعلم قدر الوقت، ويعلم أن كل ما يملكه لا يحاسب عليه إذا أنفقه في صلاح. ولكن الزمن هو لوح الأعمال التي تطويها الأنفاس، وكل شيء ذهب يعود جوازا إلا الزمن، فإنه متى ذهب استحال عقلا رجوعه، فهو الصحف التي تنشر يوم القيامة إن خيرا أو شرا.

فالمؤمن أحرص الناس على زمنه، وأحزن الناس إذا اذَّكر نفسا خرج بدون أن يربح فيه قربة أو فضيلة، أو يشهد فيه آية توقظ قلبه، وتحرك فكره، وتنبه خاطره، وتذكره ربه فهو على عدد الآنات يترقى رتبا سماوية، ويشهد مشاهد ملكوتية لا ينقضى زمن بأسراره إلا أقبل عيه آخر بأنواره، فهو المنعم ليلا ونهارا الحاضر القلب، اليقظ الفكر، روحه في فترة الأعضاء سابحة في الملكوت، آيبة بمكاشفات الآيات، وفي يقظة الجسد قائدة لجميع الأعضاء العاملة للخير، فتذوق

(1) سورة هود آية 88.

من كل مشهد أو عمل سرا خفيا فيه، وآية اندمجت فيه، هي متلذذة سرا وعلنا، والأعضاء مصائد لها لا تخرج عن طاعتها لأن الأعضاء تطهرت من الحظوظ النفسانية، وانقادت لقوى النفس الملكية. وهذا هو العبد الحاضر المنعم بجنة الشهود.

فاحفظوا الزمن وقوموا بحقوقه، وأنفقوه فيما به تكون سعادتكم، ولا تضيعوه في لهو ولعب أو مباهاة أو مجادلة أو قبيح من القول والعمل، فينصرم العمر وتطوى صفحه مسودة، وتنشر يوم القيامة بعدد الأنفاس واللحظات، ويزول هذا الحظ واللذة والأنس، ويغقبه الحساب والعذاب: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[1].

الزمن مطية الوصول، ومعراج القرب، وسراج الهداية، الزمن عرفه من عرف، وجهله من جهل، الأنفاس معدودة، واللحظات محسوبة، والحاكم هو الله تعالى، والشاهد عليك أعضاؤك، والنبي ﴿ﷺ وآله﴾، والصحف منشورة، والأعمال ممثلة للعين، والندم لا يفيد، فادكر وتنبه تحظ بالسعادة الباقية، نسأل الله تعالى أن يمنحنا جميعا رضوانه الأكبر، وإحسانه اعم، وفضله الواسع، وإخواننا والمسلمين آمين.

([1]) سورة المؤمنين آية 115.

الحظوظ والشهوة الخفية:

الإنسان بحسب فطرته الآدمية ـ قبل أن تسرى فيه نار العامل الإبليسي التي توقر في الآذان، وتحجب القلوب بما يحيط بها من دخان الأخلاق والأهواء الإبليسية ـ هيكل نوراني، سهل الميل، قريب الوصول، لا مبدأ له ينهج عليه لغاية يقصدها أو مزية يطلبها، بل هو مسجى في تيار التقلب في نهر المشاهدات، لا يؤاخد بجريمة ولا يكافأ بفضيلة، لأنه منقاد لما يشهد، ومنفعل بما ينظر، بدون أقل تدبر أو شعور بنتيجة عمله، فإذا نما هذا الهيكل وقوى عامل الإنسانية فيه على غير أساس سماوي نشأ كالحيوانات المفترسة، خلقه بهيمي، وعمله جنى، يقوده الحظ، ويحكمه الهوى، لا يردعه عن ذلك إلا سوط القصاص، ورادع السلطة، فإذا حجب عن ناموس السماء، ولم يردعه قانون النظام لأسباب اقتضت ذلك: كان أضر على نفسه من النار، وعلى الناس من الشيطان: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾[1] حكم دبرها الحق سبحانه، وأمور قدرها ليكمل النظام، ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾[2]. ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[3].

ومن تدبر في حكمة بعثة الرسل وانتشار الدين، تارة بالمعجزات الباهرة، وآونة بالسيف، وأخرى بالآيات، وتأمل في وضع الشرائع ووجوب القصاص، لعلم حق العلم أن الإنسان ركب من جبلة الميل إلى المفاسد والشهوات، وانبثت في

([1]) سورة البقرة آية 25.

([2]) سورة هود 15.

([3]) سورة القمر آية 49.

جسمه نار الهوى التي حجب دخانها أنوار لطيفته الحقية، عن شهود الأسرار الربانية، وعلم يقين مكانته العبدية: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[1].

هذا هو الباعث القوي على بعد الذين شقوا وتولوا عن سماع الهداية وقبول الإيمان، وأبعدهم الحق عن حضرة لقرب ومقام التسليم والإسلام.

أما من أسلم وآمن فهو الذي تطهرت صفاته، وتبدلت سيئاته، وأشرقت في باطنه أنوار المعرفة بمكانته، ومقامات الربوبية، فرغب في جمال الحق، ورهب من جلاله وعظمته، فهداه بتوفيقه ومعونته إلى الصراط المستقيم، والمنهج القويم، فسلك بحوله سبحانه وقوته مسلك أهل الصفاء حتى تحقق بالوفاء، وتفضل الحق سبحانه فمنحه سوابغ الإحسان الأخروي، على جميل ما منحه من الإحسان الدنيوي ﴿أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾[2].

أما من بقى في باطنه فحمة جمر نيران الحظ، وخامد نيران الشهوة، فهو الغافل عن شهود مرتبته، الذي دفعته نار الملاذ وقوة الشهوة على ارتكاب المعاصي، وساعده على ذلك الجدة والعافية، وإخوان السوء، وهو القريب الودود الصافي لو نصح، فإن وفق الله مثل هذا ورده بنصوح صادق، وأمده بميل وهوى موافقين، فحل النصح قلبا خاليا، وأذنا صاغية، فارتدع وارعوى، وحل الخوف في

([1]) سورة سبأ آية 13.

([2]) سورة القصص آية 54.

قلبه والوجل، ودفعه الحياء والخجل، فرجع بتوفيق ربه له، ووصل بعنايته لحضرته، فاهتدى السبيل ووفق لخير العمل: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾[1]

([1]) سورة الفرقان آية 7.

ثانيا: المنح الربانية

1. الإيمان:

يقين عن تسليم يباشر القلب، فيتسع له جويفه حتى يمتلىء اعتقادا بما ورد به القرآن الكريم، وقررته السنة المطهرة من عقائد تزيل الشرك والشك، ويطمئن به طمأنينة تبعث من كمال يقينه انشراحا يعم كل الأعضاء، فيكون المؤمن على بينة من ربه، ويقوى هذا الانشراح بقوة الإيمان فتلين جميع الأعضاء للقيام بحسب الاستطاعة عن توفيق الموفق سبحانه للقيام بجميع الأوامر الشرعية بسرور ولذة وحبور، لا يشوب ذلك ملل ولا تهاون، لما يلاحظه عند القيام بالطاعات من علم الإيمان، وفهم الأركان، وبهذا يزيد إيمانه حتى يكمل الإيمان ظاهرا باتباع الأوامر، والقيام بالواجب، وباطنا بحسن اليقين والتصديق.

وعلى ذلك فليس المؤمن من اعقد الحق حقا وخالفه في أمر مع استطاعته، سواء كان الأمر صغيرا أو كبيرا، لأن الإيمان اعتقاد بانفراد الله سبحانه وتعالى بالألوهية، بدون شريك ولا نظير ولا ند ولا شبيه ولا والد ولا ولد، مع تنزيهه سبحانه عن الاحتياج إلى مخلوق، وغنائه عن كل من سواه، وأنه سبحانه هو الخالق لجميع الخلق، ولأعمالهم، بدون مساعدة منهم، ولا معين من غيرهم، وأنه سبحانه خلقهم لا لحاجة إليهم، بل لحكمة اقتضتها كمالاته الذاتية، وصفاته الربانية، ليكونوا عبادا متجملين بأخلاقه، قائمين لجنابه العلي بالعبادة بتوفيقه ومعونته سبحانه. وسن سبحانه لهم سننا وشرائع أمرهم باتباعها لينالوا الخير في دار الدنيا والآخرة، فإن الشرائع جمعت للسعادتين.

هذا القرآن الكريم، جمع ما بين سعادة الدنيا العاجلة والآجلة، فمن اعتقد ولم يتجمل بما أمر الله به سبحانه من الأخلاق والأعمال والمعاملات، نقص إيمانه بقدر ما تساهل فيه، حتى يتوب ويعمل الصالح، ولا يذوق لذة القرب ناقص الإيمان، ومن أكمل أدلة الإيمان الإخلاص لله سبحانه، ظاهرا وباطنا في كل قول وعمل ونية. ومن علامة الإيمان اشتغال العبد بعيوب نفسه، ودوام مراقبتها في سرها وعلنها، حتى لا يهم إلا بما هو لله سبحانه خالصا.

2. التوفيق:

قال ﷺ: ﴿قليل التوفيق خير من كثير العلم﴾[1] والتوفيق عند الصوفية هو العمل بما علمه الإنسان، بحيث لا يترك علما علمه بدون أن يعمل به عند مقتضياته، ولو دعا ذلك إلى ذهاب المال والنفس، وزوال الجاه والشرف، أو نفور الخلق، لأنه على يقين أن عمله بما علم رضاء لله تعالى ونوال لثوابه، ومن رغب عن رضاء الله تعالى وحسن ثوابه بحفظ نفس، أو بخل بمال، أو حفظ لمنزلة، أو رغبة في شرف، فقد هلك ونقص إيمانه، ومتى عمل بعلمه راغبا فيما عند الله تعالى، زاهدا فيما في الدنيا، نال الحظ الأوفر، وثبته الله تعالى بالقول الثابت، وكشف له من أسرار العلوم الربانية والمعرفة بالله تعالى، مالا يتحصل عليه بمزاولة العلوم ومدارستها

([1]) هذا الحديث أورده السيوطي بلفظ العقل بدل العلم، ورواه الإحياء، وذكره الغزالي في الأحياء، وله رواية أخرى عن ابن عمرو بلفظ:"قليل الفقه خير من كثير العبادة" كشف الخفا جـ 2 ص 146.

أحقابا عديدة، قال رسول الله صلى الله عيه وسلم: ﴿من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم﴾[1].

وليس المراد بالعمل أن يتعرض الإنسان ليعمل بعلمه في الفتاوى والقضاء، وإجابة العامة في أحوالهم الشخصية، بل المراد بالعمل بالعلم العمل بعلم العقيدة، من الثقة، والتوكل، والاعتماد على الله تعالى، والصدق في معاملته سبحانه، والإقبال عليه، وتعظيم شعائره، والقيم بحقوقه التي أوجبها على الإنسان بهمة ووجهة صادقة وعزيمة، فإنه بهذا يكون مجاهدا، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[2] والعمل بأوامره، فإن العلم علمان: علم بالله تعالى، وعلم باوامره، فالعلم بالله تعالى تقدم الكلام عليه، والعلم بأوامره علم العبادات والمعاملات والأخلاق، فالعمل بها تأدية العبادات بأكمل أركانها وآدابها في أوقاتها متابعا للسنة والكتاب والإجماع. والمعاملات أن يعامل الخلق بما يحب أن يعامله الخلق به، ويطالب نفسه بالواجب لهم عليه، غافلا عما يجب عليهم له، ابتغاء مراضاة الله تعالى. والأخلاق أن يجعل نصب عينيه أصله، وأنه من المنى، ومآله إلى التراب وهو فيما بين ذلك حيوان محتاج إلى الهواء والماء، لا غنى له عن ذرة من ذرات الكون، فكيف يكون غنيا عن بنى نوعه والأنواع الحية ؟ فيعاملها بما تقتضيه منزلته من التواضع والذل والاحتياج، حتى يتقرب إليهم بمصالحهم الخاصة بهم، ويتقرب إلى من أنشأه من العدم في مصالحه الخاصة به، فيحبه الناس لزهده فيما

([1]) هذا الحديث رواه أبو نعيم عن أنس. كشف الخفاج 2 ص 365.

([2]) سورة العنكبوت آية 69.

في أيديهم، ويحبه الله تعالى لدوام توجهه إليه ومراقبته، والإلحاح في دعائه سبحانه لأنه يحب العبد المقبل عليه، وهذا هو التوفيق في رتبة الإيمان.

والتوفيق في رتبة اليقين، جذب العبد بعناية الحق لا باختياره، بل بأن يملأ قلبه يقينا يباشر القلب فيعم جوارحه، وتشرق أنواره على جميع وجه العبد، فيذوق لذة العبودية للذات الأقدس، ويمنح مشاهدة عين اليقين من حضرة التجلي العام بمعنى الأسماء والصفات، فتمنحي كل الآثار بشدة نور المؤثر سبحانه، فيكون جل جلاله معالم لهذا المراد، لا يغيب عنه، فتشتد مراقبته للرقيب الحسيب، فيعطى بمعونته كل زمان ومكان حقه الواجب شرعا لشدة الشهود، وهم المحفوظون بحفظ ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[1]

وهذا هو العبد حقا، الموفق صدقا، والتوفيق في هذا المقام هو التوفيق حقا.

3. الصدق:

الصدق نورمن نور مقامات الإحسان، يذهب ظلمة الشك والريب من قلب السالك، فلا يتحقق بالصدق سالك له أقل ميل في سيره لغير الله تعالى ورسوله ﴿ﷺ وآله﴾، ومن علامة غير الصادقين نقصان الثقة عند الحوادث، وكمال الثقة عند توالي النعم، ومثله كما قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ

([1]) سورة العنكبوت آية 69.

عَلَى حَرْفٍ﴾ [1] الآية. فكذلك السالك قليل الصدق، أي الذي يعمل ويضل لعلة خفية، وغرض نفساني ربما خفى عليه، تراه مترددا في أمره، لا يثبت على حال من الأحوال، إن أصابه إقبال من الخلق، وتوالى نعم منهم أو على من يتبعه زاد نشاطه، وإلا تكاسل وانقلب على جهه، فعلامة الصدق إقبال بقلب لوجه الله تعالى، وتوجه إليه سبحانه، لا يساوي بإقباله على الله تعالى منة ولا نعيما مقيما، ولا دنيا، ولا شهرة، ولا سمعة، بل لم يجعل لله كفوا أحد.

هذا هو الصادق حقا، الذي يرتقي ليتحقق بمقامات اليقين الكامل والإخلاص، ويذوق حلاوة الأنس بالله تعالى، وحلاوة التسليم لرسول الله ﷺ وآله﴾، ويتلذذ بحقيقة الرضا عن الله تعالى، كما يتحلى بنعمة الرضا من الله تعالى عنه، وغير الصادق كالحجر الذي لو رفعته انحط إلى الأرض، وأخلد إليها، واتبعه الشيطان. والمرشد الكامل ـ وإن علم كذب المريد، وتيقن إقباله لعله وغرض، وتحقق عدم قبوله ـ فليس له أن يهجره، ويصد عنه، بل يلزمه أن يلاحظه بمكارم الأخلاق، وأن يدوم معه على الإقبال، فربما مات على الإقبال فنجا من الشرك، ولا ينبغي للمرشد الكامل أن يتحقق صدق مريده تحققا جازما، حتى يبيح له من المقامات عند ظنه بحسن عمله وإقباله، فإن الفتن الكونية أشهد إظهارا لسرائر السالك فليصبر عليه، ويمتحنه تارة بالشهرة، وأخرى بالمدح والثناء، وآونة بالمحنة، حتى يتبين الصادق من غيره، والله يتولانا بالولاية الخاصة آمين.

---

(1) سورة الحج آية 11.

4. الاستقامة:

الاستقامة سر يتعلق بالصفات الحقية باطنا، والصفات الخلقية ظاهرا، بعد تطهير الصفات البشرية عن شهود المتابعة الإبليسية، تطهيرا يصدر عن رياضة البشرية بحسن الأعمال والطاعات، ويصدر عن رياضة روحانية، وصحبة الكمل من العارفين، وتلقى الأسرار الإلهية عنهم، المزيلة لحجب النسب والعلل، التي تنجلي بها مرآة عرش الرب، حيث تظهر فيها صرو الحقائق الرحمانية من أفق اتباع الشريعة، فيكون عند ذلك ناظرا لله، سامعا من الله، ساعيا إلى الله، موجودا حيا مرزوقا كل ذلك بالله، فلا يغفل طرفة عين ولا أقل عن شهود الحق، وبذلك يفوز بالتوبة الخالصة، ويحظى بمعية سيدنا مُحَّد رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، ويشرب من رحيق: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ [1] ولدى سماع هذا الخطاب المقدس يتوج بتاج الرهبة الجبروتية الجلالية العظموتية، راغبا راهبا عبدا مستقيما متحققا بشهود من صار بمعيتهم: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [2] وفي هذا المقام يفنون عن أحوالهم وخواطرهم وارداتهم ومقاماتهم بالتوبة والأوبة والإخلاص والصدق، موصوفون هم ومن معهم ببشارة:﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ لاَ يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [3] وفي هذه المنزلة تفاض عليهم الكمالات الإلهية، بعد أن يفنوا عن الجمال

([1]) سورة هود آية 112.

([2]) سورة التحريم آية 6.

([3]) سورة الحجر آية 47. 48.

والجلال، وتكون عندها العقول قاصرة عن حصر ما يفاض عليهم من الكرم الرباني: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (1) ويحصنون بحصن منيع مُحَمَّدي صادر عن حيطة: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ (2) وهؤلاء العبيد المستقيمون الذين: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (3) وليس لهم ذكر إلا قولهم: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ (4) وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

5. المطلوب ينادي من مكان قريب:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ﴾ (5).

إن الله تعالى خلق الخلق إظهارا لقدرته، وبرهانا على علي عظمته، وتبيانا لجلاله وجمال أسمائه العلية، فمنهم الذي ظهرت فيه أسماء التوفيق والهداية والدلالة، ومنهم من ظهرت فيه أسماء جماله، ولاحظته عيون الودود، وأهله لتلقى الأسرار

---

(1) سورة السجدة آية 17.

(2) سورة الحجر آية 42.

(3) سورة يونس آية 64.

(4) سورة فاطر آية 34 . 35.

(5) سورة المائدة آية 83.

ونيل الأنوار، ونعمه بالنظر إلى جمال غاب عن المحجوبين، وظهر في الكائنات. ومنهم المحجوب بحظه المبعود بحسه، مظمره الضلالة، ولسان الغواية، منكر الحق ومعارض أهله، إن سمع فتنة أجج نارها، وأسعر شرارها، وإن دعى إلى الحكمة نفر سمعه وشمخ أنفه، وكان حربا لأهلها سلما لأعدائها: ﴿أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [1] ومنهم من يقبل بلسانه ويدبر بقلبه، ولا يدوم إقباله إلا وقد انقلب على وجهه: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُواْ آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ [2] ومنهم المسلم الصادق سليم القلب، تشرق الحكمة على أرجاء قلوبهم، فيميلون مع الحق حيث كان.

فالمطلوب للحق من نودى من مكان قريب، أي من سمع الحكمة وصادفت قلبا مستنيرا بنور الإيمان، فقلبها كالأرض الخصبة التي تقبل الغيث فتهتز وتربو وتنبت الكلأ كما أخبر السيد الصادق ﴿ﷺ وآله﴾، فإذا قبلها اتسع القلب لها فنور واتصل بالعالم الأعلى، فشهد بعيون قلبه أسرار الكون ونور المكون، فغلب عليه حاله، وقوى باعث الشوق إلى هاتيك المنازل القدسية، فلم يقو على حفظ وجده، فباح واستراح وهو المطلوب، ولا يزدد في كل نفس إلا وجدا. ولم يكن المرشد إلا كمن يخبر عبدا لسيد منعم عظيم بما عليه سيده من الفضل والكرم والإحسان، فيتنبه إن كان ساهيا، ويقوى وجده إن كان حاضرا، ويتوجه إلى سيده

([1]) سورة فصلت آية 44.

([2]) سورة المائدة الآية 41.

بصدق وإخلاص، فيفيض عليه هذا السيد مزيد الإحسان ووابل الإكرام، ويجدد توالي نعمه عليه، وسوابغ إحسانه إليه فضلا وكرما.

أما الذي بعد عن السيد ولم يشهد تلك النعم منه، وحجب بنعمته عن شهوده، لا يلين قلبه، ولا يتنور فؤاده، بل يكون في ظلمات بعده وحضيض جهله، وللعاقل في تاريخ الصديق ﷺ وتاريخ أبي لهب تذكرة لمن تذكر فهذا دعي من مكان قريب، وذاك دعي من مكان بعيد، وكلاهما شهد آيات الإعجاز وأحوال النبوة، ولكن: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاء﴾ [1].

فالمطلوب للحق لا يرى كفءا لمطلوبه، فالجنة ونعيمها والدنيا وزينتها دون ما يريد من نوال الحظوة والرضا من الله سبحانه، ومن رسوله ﴿ﷺ وآله﴾، وبقدر ما يكون الله سبحانه وتعالى منك أيها المريد بقدر ما تكون منه سبحانه وتعالى، نسأله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من المقبولين المطلوبين لرضاه وإحسانه آمين، وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وورثته والتابعين آمين.

([1]) سورة آل عمران آية 74.

علم الغيب

الغيب إما كونيا مقضيا أو مقاما خفيا

1. الغيب الكوني:

فالغيب الكوني هو بسر القدرة الذي هوكمال مقتضيات الأسماء والصفات الربانية، من حيث ظهور تجلياتها بعوالم العلويات وغيرها، سر كل اسم من الأسماء، ومعنى كل صفة من الصفات، وهو علم خفى على النفوس الإنسانية مهما أهلت واستعدت، وإنما يخيل لذى العادة أنه يحكم عل ما يكون بحسب مقدماته الكسبية من التخمين أو التجريبة، حكما يتوهم أنه يقين، والحوادث الكونية إما إثبات أو نفي، فقد يسبق القضاء بحقيقة ما توهمه تارة، لا يسبق تارة أخرى، فيتحقق هذا المتوهم أنه علم الغيب الذي يكون، مع أن الغيب لا يدرك بالحواس، وهو أن يعلمه الله تعالى بوحي، أو رؤيا صالحة، أوطمأنينة قلب، أو وجد صادق يفنى به عن القيود الكوينة، حتى يلتحق حكما بالعالم الأعلى، ولا يظهر الغيب بحال صحو إلا لرسول أمر أن يخبر به من صدق من أهل الاصطفاء، كما حصل من إخبار رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ لبعض أصحابه بالفتن التي تكون بعده عن إعلام الله سبحانه له ﴿ﷺ وآله﴾، وإخفاء ما يكون عن الخلق لحكمة اقتضتها الإرادة الإلهية، ليتم ما أراده سبحانه وتعالى على جميع خلقه.

2. غيب المقامات:

وغيب المقامات علو وسمو وعظمة عن لطائف الأرواح الكاملة، والنفوس العالية. غيب حد وكم وكيف، لا غيب يقين بنعوت وأسماء، وهذا هو الغيب

المصون وإن رفع قدرا عن الكشف والعيان، فقد لاح جهرا لعيون البصائر حتى تحققت بمشاهدته تحقق يقين لا يشوبه شك ولا ريب، تحققا فوق تحقق المشاهد برأسه، لما باشر السريرة من نور اليقين الحق والإيمان الصادق، ولا يزداد صاحب هذا الشهود حتى يكمل يقينه ويتم نوره.

وغيب المقامات هو غيب مقامات الأسماء والصفات الإلهية عن الأحداق والمقل، وغيب حضرة الذات الأحدية المقدسة عن إدراك حقيقتها للبصائر والأرواح المطهرة، فهذا هو الغيب عن غيب الغيب: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ (1) ولكن قد يقوى عامل الوجد على العبد المراد حتى تفنى معالمه الكونية، بشدة شهود أنوار المكون، فيغيب عن الكون غيبة مشاهدة للمكون، فتلوح له أنوار المقام من خلف حجب الجمال في حال الشوق والرغبة، فيرى الوجه في الوجه، ويلوح له النور في النور، والديهور في الدهور، وهو هو ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (2) ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (3) يافتاح ياعليم يامعطي ياوهاب.

---

(1) سورة الزمر آية 67.

(2) سورة الأنعام آية 13.

(3) سورة الجمعة آية 4.

معاملة القلوب لعلام الغيوب:

الأعمال البدنية التي اعتادتها الأعضاء في آنات مخصوصة بدون ملاحظة قلبية، ولا استحضار لموجب بعث على عملها، برهان على غفلة العامل، حتى يتنبه القلب بما يرد عليه من نور العمل بسر مراد الآمر سبحانه وتعالى في أحكامه، ويباشر اليقين لطائف القلب مباشرة تجعله مشاهدا حكما، بحيث لو كشف الحجاب لما ازداد. ولديها يكون العمل عن وجد وحضور ويقظة قلب، ويقين بمقتضى واجب الوقت، وعندها لا يلتبس عليه عمل لصدور الأعمال عن القلب المتلقى عن الرب، المنكشفة له معيته سبحانه وتعالى، فلا ينبعث عن هذا القلب إلا ما يرضيه جلت قدرته، كان في ذلك لذة العامل أو ألمه.

ولذلك نرى لأهل القلوب عند تمكنهم من هذا المقام أعمالا اقتضاها الوقت نتجت إما عن حال دعا إليه التمكن من مقام العبودية، يخيل لمن رآه أنه مخالف للقيود الشرعية، أو أصيب في عقله مثل: خروج الرجال عن التسبب، وميهلم لى التجريد والتخوشن، حتى يكون مبتذلا في أعين الخلق، فيطيب وقته مع الله تعالى. وإما نتج عن خوف من غفلة يدعو إليها مقامه، مثل من يخرج عن حد الاعتدال الشرعى والوسط أمام من عهدوا منه الكمال، لينفر الخلق عنه خشية إدخال الغرور عليه، وحرمانه من الود الإلهي، فيقع في الشر الذي يسهل الخروج منه، خوفا من الوقوع فيما هو أشر منه، الغفلة والغرور.

وهكذا، لأهل القلوب ممن يقهرهم حالهم قبل تناول الشراب الطهور من الرب سبحانه شراب وراثة الرسل عليم الصلاة والسلام. لهم ملاحظات في أعمالهم، يحفظون بها حالهم مع مولاهم سبحانه وتعالى، وإن كان في ذلك محاربة للقوى البشرية لحبها للشهرة والسؤدد، وحرصها على جمع الدنيا وهو أخفى الجهاد وأكبره، أما الوارث فهو. لتمكنه من حاله تراه دائما مجملا ظاهر بالحلل المحمدية، مألوفا لأنه يخالق الخلق ويداريهم، لأنه انكشفت له سيما الخلق فينازلهم عل قدر عقولهم.

وأهل القلوب يحنون إلى النفس الواحد يتنفسونه في خلوة عن الناس، بفكر أو ذكر أو عمل بر أو قربة، فإذا اجتمع الخلق ستروا أعمالهم وأحوالهم إلا ما وجب شرعا، وربما توسعوا في المباح، وربما وربما مما به تنوير قلوبهم، ودوام مشاهدتهم، وليس ذلك بتكلف، إذ المتكلف بعيد عن العلم، فكيف يكون مشاهدا؟ والمتكلف إما مرتكب كبيرة، وهو الذي يتكلف أعمال الرجال ليقال إنه رجل، أو هالك ملعون وهو الذي يتكلف أعمال الرجال التي تقرب إلى منازل الوصال، ليجمع ما يزول من الأموال وتكون له السطلة والعلو في الأرض بغير الحق.

إنما أهل القلوب من لم تقع أعين بصيرتهم إلا على نور المكوان، حتى . لشدة شروق نوره من على عظمته وكبريائه . صغرت في أعينهم الدنيا والآخرة، وصار ما هو لذة لغيرهم ألما لهم، وما هو ألم لهم لذة لغيرهم، فإن فتحت لهم كنوز السماوات والأرض، وتزينت لهم الفردوس الأعلى، لبخلوا أن يلتفتوا لاستغراقهم في

شهود مولاهم، اللهم إلا إذا ألفتهم غلهيا به فشهودها بعهده، وشهدوه فيما، فكيف يكون هذا تكفا؟ أو باب شر يلجه أهل الغرور ؟

إنما هذا فضل الله يؤتيه من يشاء.فمن فتح الله له بابا من أبواب معاملة القلوب؛ فليتسيقظ، فإنه على صراط أحد من السيف، وأدق من الشعرة. وليحاسب نفسه محاسبة من يعتقدأنه لو غفل نفسا لهلك أبدا، وملاحظته لنفسه أن يبحث عنه وهواه، فإن كان في مرضاة الله تعالى فبها، وإلا رجع لعمل الجوارح والاجتماع بالخلق وتزكية نفسه، والله الموفق.

المعاملة:

المعاملة مراقبة تحث على استحضار نتائج الأعمال بالنسبة الصادرة له ومنه وبه، حتى تتمثل النتائج قبل العمل فتدفع إله أو عنه، ويكون العمل مكسوا بحلل الكمال مع السرور والفرح به، لا من حيث أنه صادر عن العامل، بل لأنه محبوب للحق سبحانه، منتج مرضاته، ويكون الترك للعمل لكراهته وبغضه، لا لأنه عمل، بل لأنه منهى عنه مبغوض للحق، ويكون العامل في أرقى مراتب المجاهدة، وأسمى مقامات المشاهدة، إذ لا تطيب المجاهدة إلا لأهل المشاهدة.

ولما كانت المعاملات منها البين في الأمر أو النهي عنه، والخفى الذي يدق عن إدراك المستبصرين من دقائق المعاملات، وخفيات الأخلاق، ودسائس الحظ والهوى، وجب على العامل الذي يريد النجاة والسلامة، أو الرضا والكرامة، أن يكون متمكنا من معرفة الأحكام الشرعية، التي لاغنعنها له، من حيث العقيدة

والعبادات والأخلاق والمعاملات، ثم لا بد له أن يتباعد عن عمل كل مالم يستبن له فيه وجه الحق، من حظر أو إباحة. فإذا تزكت نفسه وصح حاله، لزمه أن يتلقعن قلبه بعد صحة القصد وإخلاص النية لله تعالى، فيترك ما يريبه إلىمالا يريبه، ولديها يعامل مولاه في معاملته لنفسه وأهله ووالديه وأقاربه والناس أجمعين، بل وفي كل حي، فيخاف الله في خلقه بما فيهم نفسه، ويرضيه سبحانه فيهم، ويتقرب إليه سبحانه فيهم، بحسب ما تقتضيه حالة القربة، من إكرام، أوإقامة حد، أو ماأشبهه. وهي المعاملة الكاملة التي يكون فيها العامل ربانيا، وينال حظوة معية الله سبحانه له، بعد تحققه بمعيته لله، وهو القريب من القريب، المجيب للمستجيب لله، المخلص.

ولما كانت خفيات النفوس ودقائق الحظ مبهمة على المستجدين، لزم للسالك أن يصحب عارفا بالله تعالى، عالما بالشبه الخفة ورعونات النفس، وببواعث الحظ والهوى، وبنفثات الشياطين، حتى يتلقى عنه أسرار الحكمة، ويستبين له به سبيل الرشاد، حتى يحفظ في سيره وسلوكه من مزعجات النفوس وحاجبات الأنوار عن القلوب، ومنأوهام السوء الباعثة عن الأمل القاطع والحظ الحاجب المنصبغ بصورة الحق، وبذلك يترقى في معارج الوصول ن وينشل من أوحال التوحيد، ومن الرياء في العمل، ومن البعد بالأمل، حتى يكون عبدا صرفا لذات الله، عاملا من عمال الله سبحانه وتعالى، راغبا فيما عنده، راهبا من عظموته وجلاله على صراطه المستقيم ومنهج شرعه القويم، وسنة حبيبه المصطفى ﴿ﷺ وآله﴾.

الرفيق في الطريق:

أيها السالك مسالك الوصول، الساعي بتوفيق الله تعالى إلى مقام الشهود، عليك بالأخ الصادق المخلص في الطلب، المجد المحافظ على الأدب، واجعل سريرتك صافية من جهته، وكن له كما تكون لشيخك، فإن الشيخ أيها الإنسان يحجبك عنه هيبته، وعزمه في نصيحتك على الهفوات والصغائر من كماله وحسن أدبه. فكن في سيرك الأول متوجها لأخ سبقك في صحبة هذا الشيخ، لعلمه بما يحبه منك وما يبغضه، ولا تنتقد علىهذا الصاحب في عمل تراه، خصوصا بالنسبة للشيخ، فإنه أعم منك بما يحبه الشيخ، بل سلم له جميع ذلك، وإياك أن تعاتبه أو تعاقبه، أو ترفع شكوى فيه للشيخ، أو تخاصم أحدا من إخوانك، أو تعادي منهم أحدا، أو تفهوه بإشهار عيب من عيوبهم . خصوصا أما الشيخ . وتكلف ستر عوارتهم، وغض الطرف عن عيوبهم، وخذ منهم ما تراه من جميل الصفات وكامل الأخلاق، وكلما قدمك هذا الأخ أمام الشيخ، فاحفظ أدبك معه، واجعله أرفع منك مقاما، فللمشايخ أحوال يمتحنون بها أخلاق مريديهم، ويفيضون المدد للمريد على قدر أخلاقه، والله سبحانه وتعالى أعلم.

الفصل الثاني

ما يجب على السالك

أولا: ترك النفاق

النفاق داعية القطيعة، ومطية البعد، ورسول الغضب، وعلامة السخط، ومرض القلب، وفساد العقيدة، وسوء الخاتمة.

والنفاق علمي وعملي، ووجوهه تدق خفاء على الكمل من الرجال، ويخفى ظاهره على السالكين من العلماء لأن مصدره القلب المنفعل بمشاهدة الحواس، الممتلئ فسادا من دسائس الحظوظ والأهواء وطلب العاجل من الكونيات.

1. النفاق العلمي:

النفاق العلمي ـ أعاذنا الله تعالى منه ـ هو فساد يعتري العقيدة الحقة فيزلزلها، ونور الإيمان فيطفئه، وشمس اليقين فيكسفها، وذلك غالبا يكون من تعلق القلب بالباطل، وملئه من الضلال، وازدحام أرجائه بالشبهات، فيضيق عن قبول الهدى والحق، ويكون صاحبه ـ والعياذ بالله ـ آفة على المؤمنين، إن لم يكن مقهورا على أمره مخفيا لعقيدته.

ومن هؤلاء من كانوا على عهد رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، من المنافقين الذي كانوا يخفون أمرهم خشية المؤمنين، وهؤلاء لا يخلو منهم زمان ولا مكان، فإن قويت شوكتهم أعلنوا ما أضمروا، بأدلة وبراهين محلاة بالأباطيل، ولهم أعوان

وأخدان، فإن قهروا أسروا بأسرارهم إلى مرضى القلوب، الذين لم يذوقوا نور الحكمة، ولم يتمكنوا من علم اليقين بالحق سبحانه، فتراهم يظهرون أمام أهل الحق بأنهم منهم، ولكنهم يعرفون لأهل القلوب، ويعلمون بلحنهم وقولهم.

ودواؤهم صعب من أكمل مرشد، إلا أنهم لم يشتهروا بين الناس بأنهم منافقون وإن لم يعلنوا ذلك لأحد من خاصتهم، إن لم يرجعوا عن عقائدهم ومعلوماتهم.

وينتج عن هذا النفاق العلمي أمور منها: الخروج على الخلفاء القائمين بإحياء سنة النبي ﴿ﷺ وآله﴾ وتنفير قلوب المؤمنين، وتفرقة كلمتهم وجماعتهم، والسعي بهم إلى أعدائهم، والإنكار على أولياء اله تعالى أحياء وأمواتا، وتنقيص مقامات الأنبياء، والعبث ببعض الأحاديث الواردة في فضائل الأعمال ومكارم الأخلاق ومدح العمال، والميل إلى حب الجاه والسؤدد وضياع الوقت في التشويش على العامة، وزلزلة عقائدهم والمهانة بالسلف الصالح، وتهزئ آرائهم، وتقبيح اجتهادهم، كل ذلك بعض ما يكون عليه المنافق علما. أعاذنا الله تعالى وإخواننا من شر أعمالهم ومعتقداتهم وأقوالهم وأحوالهم، إنه مجيب الدعاء، وهؤلاء لا يصلي عليهم المؤمنين ولا يقومون على قبورهم.

2. النفاق العملى:

النفاق العملى مرض يعتري الهمة العلية، ويقود العزيمة الصادقة فيمنعها عن القيام بواجب فرض أو مرغب فيه أو محبوب، بشرط أن يكون التساهل ناشئا عن

ميل القلب عن إطاعة الأوامر، والتهاون بأمره، وعدم العناية به، شاعرا بذلك من نفسه، منشرحا بتساهله، أو عاملا بغير ما أمره، أو عاملا عملا آخر مطمئنا به منشرحا بعمله، كل ذلك من النفاق العملي، وصاحبه في الحضيض الأسفل من المراتب، يتلاعب به الشيطان، وربما قوى عليه فجعله شيطانا إنسيا، يقود الناس للضلالة والقطيعة، كما كان يعمل المنافقون في عهد رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ من التأخير عن الصلاة بالتجارة، أو يحضرون الصلاة ومعهم الأصنام، أو يتأخرون ليعموا عمل اليهودية أو النصرانية، وتمنى رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ أن يحرق عليهم بيوتهم إذا تأخروا عن صلاة الصبح، وربما نال المنافق ما به يكون وعاء للعلم غيرعالم بأسراره، فيدفعه هذا الحظ إلى النفاق كما فعل مسيلمة بعد أن أسلم وتعلم القرآن، خرج وادعى النبوة، وجعل له قرآنا، وأنكر رسول الله﴿ﷺ وآله﴾، وخرج ومعه قوم صدقوه.

وهكذا كل زمان به من المنافقين من العلم والعمل كثير، يخرجون على الخلفاء والأولياء والمخلصين من عباد الله تعالى، واضر نفاق عملي أن ترى نفسك خيرا من الموجود، أو تتحقق أنك نافع، أو تزاحم أخا لك لتنال منزلة في قلوب الناس، أو منزلة من الدنيا، أو تذم أخا لك على قبح لتنقصه في أعين الخلق، مع قدرتك أن تنصحه في خلوة بالتي هي أحسن.

ومن أشد النفاق أن تدعي ما ليس لك من الأموال والنسب والعلوم والأعمال، لتظهر في أعين الناس. ومن النفاق الموجب لسوء الخاتمة كفران نعمة

المنعم من الوالدين والمعلمين والأمراء، ومن له فضل عليك في دين أو دنيا، أو إرشاد للخير، أو سعي للخير أو مساعدة. ومن النفاق القبيح أن تشيع الفاحشة أو تنشر ما ينقص مؤمنا، أو تتعرض لإساءة مسلم بسؤاله، أو معارضته وتكذير خاطره. ومن النفاق نقل الأخبار وإفشاء أسرار المجالس والسعى بين الخلق. ومن النفاق أن تظهر نفسك بحال ليس لك، ولكنك اكتسبته من غيرك وله الفضل عليك، فتخفى صاحب النعمة المباشر لك وتنكره، ومن النفاق حب جمع المال والبخل ببذله لأنه يضعف اليقين. ومن النفاق تحقير أهل الحكمة في غيبتهم وتعظيمهم في مواجهتهم، وهو سبب الحرمان. وأنواعه كثيرة تعلم لأهل القلوب المشرقة بنور المعرفة.

ثانيا: تزكية النفس

التوسط النوعي:

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾(1).

إن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق إظهارا لعظمته، وإشهارا لقدرته، لا على مثال سبق ولا مادة موجودة ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾(2) على مقتضى الحكمة الإلهية، وتخصيص الإرادة الصمدانية، أبدع الخلق من العدم، وبدأه على أكمل صورة وأجمل نظام، نطق بقدرته، وأشار بعظمته، ونزه ذاته، وأثبت صفاته، وجعله مرتبطا أعلاه بأسفله ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ﴾(3) فما من ذرة أو خردلة، إلا ولها خصوصية تكمل الوجود بها، أو مزية احتاج الكون إليها ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِأً وَهُوَ حَسِيرٌ﴾(4) حكمة حكمت، وقدرة أبدعت، وإرادة خصصت، فسبحان من تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير.

---

(1) سورة البقرة آية 143.

(2) سورة يس آية 82.

(3) سورة الملك آية 3.

(4) سورة الملك آية 4.

وجعل سبحانه تلك الأنواع الكونية مرتبة بمزايا ملكوتية، تتفاوت بها عن غيرها، حتى أن النوع المؤهل للكمالات . إذا قصر في إدراكها بغير مانع معتبر شرعا . تنقص قيمته النوعية، ويلحق بما دونه من الأنواع السافلة بالنسبة له ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[1] وللفطرة في ذلك عظيم تأثير، وليست الأنواع تتفاوت إلا بالنسبة إلى غيرها من الأنواع، فكلما كان الفرد أشبه بالأنواع التي هي أرقى منه؛ امتاز عن نوعه واتصل حكما بماتشبه، كبعض الحيوانات التي تشبهت بالإنسان في الاستئناس والمنفعة والألفة، فإنها ألحقت به حكما من العناية بها، وتعظيمها والمحافظ عليها عند الإنسان نفسه. وهكذا هذا النوع الإنساني إنما يمتاز في نوعه عن نوعه ويلتحق بالنوع الأعلى إذا قهر قواه النوعية، والتحق خلقا وعملا ومنفعة بالعالم الأعلى، فيكون منه حكما. ولا يكون ذلك ممدوحا كمال المدح؛ إلا إذا توسط الإنسان بين القوتين، حتى سخر القوى الحيوانية لرغائب القوة الملكية، مع مزاولته للأعمال الحيوانية، وطلب لوازمه الضرورية بالوجه التي تطلب بها، مستحسنا تلك القوة بباعث الأخرى. وإن كانت الرياضة لا بد منها في بداية الأمر، لتتمرن القوى الحيوانية وتتذلل، وتنقاد بسهولة لمحاسن الأعمال ومكارم الأخلاق، حتى تنصبغ بالصبغة الإلهية، وتتجمل النفوس بالأخلاق الملكوتية، وتصير لها فطرة وسجية، بدون جهاد غلبة الطبائع التي تحجب لطائف النفوس عن تلقي الأسرار الربانية، وعن مشاهدات الآيات والأنوار من الحكمة والتبيان.

([1]) سورة الفرقان آية 44.

ولذلك كانت القيود الشرعية والتكاليف في البدايات؛ رياضات ومجاهدات , وفي توسط السير وقرب طهارة النفوس وتزكيتها؛ قربات وأوراد. وعند النهايات؛ تعبدا ومشاهدات ومقامات. وتعرف الرجال بالخبرة في التمكين من عمل المكروه فترى المنهى يعمله لا يعلمه فطرة وسجية، ولا يلاحظ أنه تركه لشهود الحق في كل شيء، وتحققه من مراده عند كل شىء، فهو الحق والحق معه. وغيره من أهل البدايات يدعوه داعيان: داع للحق، وداع لغيره من قبل نفسه. فيجاهد نفسه في ترك الباطل، ويتلذذ بقهره لنفسه، وما فاته من المشاهدة القدسية حال اشتغاله بهذا الباعث أكبر حظا عند الله تعالى منه، ولكن اقتضت الحكمة العلية ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللهِ﴾[1] فالسالك إذا تعدى قوى تؤثر الحظ والهوى، وبلغ مقام الصبغة الحقة، ونهج مناهج الحفظ سالكا مسالك الصراط المستقيم بفطرة سليمة ومحجة واضحة، يبلغ مقامات المقربين، ويدرك منازل الصديقين.

التقوى والرهبة:

1ـ التقوى خوف جبروتي ملأ القلب، فسطعت أنواره على الأعضاء العاملة بقوة عامل المراقبة العلمية التي ذاق حلاوتها الواصل، بعد العلم الحق والتحقق بأن الله سبحانه أمر ونهى، وفهم بنور اليقين عظمةالحق، فخافه أن يراه فيما نهى عنه، وأحب أن يراه فيما أمره فاتقى الله سبحانه وتعالى في كل حركة وسكنه وكلمة، وأكل وشرب ونوم ويقظة، فهو في كل أحواله مراقب الله سبحانه

([1]) سورة آل عمران آية 163.

وتعالى فتقرر أن التقوى عامة، وأن قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾[1] عام، أي: اتقون عند كل عمل قلبي أو بدني باتباع أوامرى واجتناب النواهي، وبهذا يكون العبد تقيا.

2ـ أما الرهبة فهى نتائج حق اليقين وهي خاصة، وقوله تعالى: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[2] خاص وهو سر التحقق بالعظمة الذاتية تحققا يفيد العلم بإطلاق تلك المكانة إطلاقا منزها عن الحكم والقيود العقلية، إذ هذا المقام فوق العقول والإدراك والتصورات، لا يقيد بعادة ولا بحكم، إذ أن الحق سبحانه هو الحاكم، والحكم منه على غيره لا على ذاته، فهو يحكم بما شاء أن يحكم به، وينفذ ما شاء أن ينفذ ما شاء أن ينفذه من أحكامه، أو يبدل ما حكم به. وليس مقتضى حكمه أنه مقيد بحكمه، ومطالب بتنفيذه ـ تنزه الحق سبحانه وتعالى ـ وهذا سر غامض لا يذوق حلاوته إلا من كشف الله سبحانه وتعالى له بصيرته، وأطلعه على أسرار ملكوته الأعلى. وانظر أيها العارف سر قول سيدنا موسى: ﴿إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى﴾[3] بعد أن سمع﴿لَا تَخَافَا﴾ فلم يطمئن حتى أمنه بقوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى﴾[4] فأمن أمنا ثانيا من جهة الحق سبحانه بعد الأمن من

([1]) سورة البقرة آية 41.

([2]) سورة البقرة آية 4

([3]) سورة طه آية 45

([4]) سورة طه آية 68

جهة عدوه، إذ خوف هذا السيد الذي هو من أولى العزم خوف رهبة من ذات الأحد سبحانه، لا خوفا من فرعون وملئه، وهذا الخوف هو الرهبة الذاتية.

ومن تجرد قلبه من التقوى والرهبة؛ لم يتصف بلوازمهما من الخشوع والخشية والخوف والمراقبة والمحاسبة، ومتى تجرد القلب منها تردد في إيمانه وشك في خاتمته، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يمنحنا التقوى، ويجملنا بالرهبة والرغبة، ويختم لنا بالسعادة إنه مجيب الدعاء.

الكبائر لأهل الغفلة:

قال الله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾[1]. الكبائر أصولها سبع عشرة كبيرة:

1. أربعة من أعمال القلوب:

أ . الشرك ب . الإصرار على المعصية.

ج . القنوط من رحمة الله. د . أمن جانب الله تعالى.

2 . أربعة في اللسان:

أ . شهادة الزور. ب . اليمين الغموس.

ج . قذف المحصن المسلم البالغ. د . السحر.

3. ثلاثة في البطن:

([1]) سورة النساء آية 31.

أ ـ شرب الخمر وكل مسكر. ب ـ أكل مال اليتيم ظلما

ج ـ أكل الربا مع العلم.

4 ـ اثنان في الفرج

أ ـ الزنا. ب ـ عمل قوم لوط.

5 ـ اثنتان في اليدين:

أ ـ القتل. ب ـ السرقة.

6 ـ واحدة في الرجلين:

الفرار يوم الزحف بغير وجه شرعي.

7 ـ وواحدة في البدن كله وهي:عقوق الوالدين.

وهذه الكبائر لأهل الغفلة.

الكبائر لأهل الشهود:

أما أهل الشهود فلا صغيرة عدهم، بل كل ما خالف ـ ولو مكروها ـ فهو كبيرة، لحضورهم مع الملك سبحانه، ومواجهته لهم سبحانه، ومريد الحظوة لا يستصغر هفوة، وراغب الرضوان لا ينسب لنفسه حسنة، لعلمه بمقام من يتقرب إليه سبحانه، فلا صغيرة في معصية، ولا كبيرة في طاعة. فأجل طاعة كبيع النفس والتقرب بها في الجهاد صغيرة عند المشاهد ليقينه بمنزلة الحق، وكل هفوة صغيرة من السهو كبيرة كالشرك عنده، لكما حضوره الوقوف عند المأمور به، وترك المنهى عنه، شأن الكسالى الذين لم يذوقوا حلاوة الأنس بشهود الحق، ومن عرف

المطلوب هان عليه الطلب ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾(1). سبحانه دون رضاه كل حظوة في روضات الفردوس الأعلى. ونفس أو أقل أنسا بشهوده دونه كل نعيم مقيم، سبحانه وتعالى، إنما يفرح بالحسنة ويساء بالسيئة المؤمن.وإنما يفرح بالشهود ويساء بالحجاب المحسن، وإنما يفرح بالله تعالى الموقن الذي نزه ذاته وقدس أسماءه حتى تحقق بعلم: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ السورة. ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾[2]. ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾[3]. فمنهم ومنهم ومنهم... نسأله سبحانه يقينا يباشر قلوبنا، حتى نتمكن من علم: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾[4] وإخلاصا في منزلة العبد لذاته الأحدية إنه مجيب الدعاء، وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد شمس الهداية ومهبط البر والإحسان، وعلى آله وصحبه وورثته والتابعين آمين.

إذا زكت النفوس فهى الشموس:

النفس قابلة للتنويع، قد تنحط حتى تكون شيطانا، وترتقي حتى تكون ملكا، وهى التي لو أطلقت أفسدت، أو قهرت كمنت حتى تتزكى، فإذا تزكت كان إطلاقها أنسا بمعية الحق، وتقييدها حفظا لمقام العبودية، فتكون في تقييدها مطلقة، وفي إطلاقها مقيدة، كل ذلك بعد تزكيتها. ولتزكيتها وسائل تخفى على

---

(1) سورة الإخلاص آية 4.

(2) سورة البقرة آية 148.

(3) سورة فاطر آية 32.

(4) سورة الأنعام آية 91.

كثير من أهل العلم، وتدق على أكثر العباد والزهاد إلا على متمكن من معرفة النفوس وعلم تهذيبها، ومعرفة معارج رقيها ومدارج بعدها، ومقادير الرياضات التلي تستعمل لها، حتى يصل الطبيب إلى زوال الداء، وتقوية المريض، حتى يصل إلى مقام كمالاته وجمالات عافيته.

ولهذا كان الجهل بطرق تزكية النفوس سببا في هلاك كثيرين، ممن ترك الرقى على معارج القرب، ولم يتوسط في مجاهدة نفسه بإفراط أو تفريط، فإن النفس إذا تزكت صارت شمسا تدور حولها جميع العلويات والسفليات، وتسمد منها الإضاءة. وإذا بقيت في سجن ظلمتها وحضيض سفلها يأتيها وقت تتمنى فيه أن تكون ترابا.

أنواع التزكية:

1ـ النوع الأول: وبه تكمل تزكية النفس المشاهدة عن علم التوحيد وهو تزكية للمقربين، فإن من ذاق حلاوة التوحيد في الأفعال والصفات والذات؛ كان من الأفراد الكاملين، وكان في أعلى مراتب المهذبين، لأن اليقين الحق حفظ نفسه من هوى يعميها، وطمع يذلها، وأمل يغويها، وعمل يغرها، لمشاهدته أن الكل من الله وبالله وإلى الله، وهذه المشاهدة مطالب بها كل مؤمن، بحيث لا يكون مؤمنا كامل الإيمان إلا بقدر كمالها.

2. النوع الثاني: وهو أرقى مراتب التهذيب لسماع القرآن الشريف بألحان العرب، من حسن الصوت، وسماع الحكمة المطهرة للأخلاق، وسماع الخطب

والمواعظ من معتقد فيه كامل، ومن قراءة سير الرسل عليهم الصلاة والسلام، وخلفائهم وورثتهم، والعلماء بالله، حتى تنبطع تلك الحقائق في خياله، فتصدر عنها أعماله وأحواله وأطواره موزونة بميزانه، وأهم هذا النوع صحبة أهل النفوس القدسية، والمرشدين العلماء العاملين فقد يكتفي الرجل بمجلس معهم لتزكية نفسه، ومن المعين عليها سماع الأغاني خصوصا إذا كانت في معاني التوحيد وصفات الربوبية.

3ـ النوع الثالث: قمع النفس بزواجر ترك المألوف، وحبسها في سجن الزهد عن كل شهواتها وحظوظها، والصبر على ذلك، والميل بها إلى الوعر والخشونه حتى تذل، وتدوم على ذلك حتى تعتاد و تألف.

ومن هذا النوع، أن يترك بعض المباح له، ويكثر من القربات والنوافل، وأن يستعمل ثياب المهانة، وأكلها وعملها. وهذا النوع يكون كالكي للنفس من أدواء توقع في الكبائر.

وهذه الأنواع الثلاثة ينبغي أن يكون استعمالها على يد طبيب ماهر، لأن لكل منها مضار نفسانية ربما أوقعت السالك في مهاوي القطيعة بهدم الأسوار، أو بالتشبيه في مقام التنزيه، أو التنزيه في مقام التشبيه، أو الغرور بالعمل والمجاهدات المهلكات كما يستعمل المريض الدواء بدون إشارة الحكيم وبدون علمه، فيكون مهلكا له.

4 . النوع الرابع: تزكية النفس على تزكيتها ليدوم أنسها بربها، ولا يكون إلا لأهل الشوق المزعج والغرام المحرق، ولهم فيه أساليب تدق على أهل المقامات.

فقد يفعل ذلك: المرشد في تمكينه، والمكاشف في شهوده، والسالك في مسلكه، والواصل في نهايته، وهم درجات عند ربهم. فقد يخرج من التجريد إلى السبب، أو من السبب إلى التجريد، أو من نفع الخلق بالعلم إلى الفرار في الصحاري والقفار، أو من الأنس بالخلق إلى الوحشة منهم والخلوة، أو بالأعمال التي لا يعملها إلا السوقة والبطالون، يتكلفون ذلك ليدوم أنسهم بربهم وإقبالهم عليه وهذا النوع قد يتلقعن القلب، أو يتلقى عن الرجل.

فإذا كنت مع الإمام فقف معه بالاستسلام، وإذا لم تكن معه وخشيت على نفسك الوحشة من الله، والعبد عن جماله العلي، ففر وتكلف ما به أنسك، ولو كان فيه نقصك، مع حسن النية والقصد، والوقوف عند الأدب حال الطلب، وترك المراء والعناد إذا قيل لك أسأت أو أخطأت، فإنما فعلت ذلك لتسقط من العيون وتسقط من القلوب. فإذا خرجت عن سياقها ن وخالفت موضوعها، فاعلم أنها خدعة إبليسية ورعونة نفس خبيثة، وبهذا تزن مواجيدك عند همك للتهذيب. فإن تلذذت بما ينفر عنه الناس، واستوحشت بما يتلذذون به فاعلم أنك على قدم الصديقين.

النفس:

النفس قد تواجهها الأنوار؛ وهي لم تتطهر من الأكدار، فتحلى بالانقياد، وتظهر بالرشاد، وهي منطوية على صفات بهيمية وأخلاق إبليسية. ثم تقوى تلك الأنوار على ظاهرها حتى تمزق شغاف الظاهر منها، وتنبعث في باطنها، فتطهر من الباطن وتجمل باليقين، فيكون الانقياد عن يقين وصدق وقوة إرادة، وبذلك يكون لها المزيد في كل نفس، وهذه هي النفس المرادة للتزكية والفلاح. وإن لم تقو عليها الأنوار، بل حامت حول ظاهرها فطابت هنيئة، ولم تنفذ تلك الأنوار إلى باطنها، فإنها لا تلبث إلا ريثما تنحط إلى حضيضها، وترجع إلى أسفلها وذلك بحسب السابقية.

ومن أكمل علامات النفس المؤهلة للمزيد العناية بتلقي النافع المفيد، وانصرافها عن غيره بلا بحث، بحيث لا يتمكن الشيطان من أن يدس عليها دسيسة، أو يلفتها إلى الرعونات، لأنهاموجهة إلى تلقي النافع، منصرفة عما لا ينفع، فإذا شهدت من المرشد أمرا تنكره بحسب معلوماتها أولته بحسب مقامه، وسلمته لحاله، وسارعت فيما تعلم المنفعة فيه لها، ولذلك فإن المرشد الكامل يخفى الأسرار عن أصحابه بما يناسب مراتبهم في عينه، ولا يبيح لهم إلا بما لا يزعجهم أو ينفرهم خشية من أن تكون النفس منطوية على خبث، وإنما تحلت ظاهرا بمواجهة أنوار خاصة، وقد تواجه الأنوار بعض النفوس فتتجمل من نفس واحد بحال نبيئ بالوصال، وإرادة تنبئ بالكمال، ومع ذلك فالنفس قرارة أكدار، وخزانة ظلمات، والمرشد الكامل يعلم ذلك بسيما المريدين، فهو يلاحظ أهل النفوس اللقسة

ملاحظة الغرباء، من التكليف لهم والعناية بهم، والحفاوة بهم، خشية أن ينشرح بهم صدره أو ينبسط لهم حاله، فيكون قد مكنهم منه بكشف أسراره لغير أهلها.

لا تظن أن أسرار الرجل هي ما يبده في مذاكرته وأقواله، فإنك تراه لا يكثر كلامه ولا يقوى حاله في العبارة إلا أمام محاربيه أو معارضيه أو الجاهلين بقدره، وإنما هي أن ينزل المرشد المريد منزلة نفسه في شئونه ظاهرا، وينزله منزلة ابنه في شئونه باطنا، فتحصل الإمدادات بني النسبة والنسبة والرتبة والرتبة. رفع التكلف بينهما حتى صرا المريد بمنزلة الولد الذي يستحسن من والده كل ما رآه ولو كان قبيحا في حقيقة الأمر، وصار المرشد كالوالد الذي يحب أن يتجمل ابنه بأجمل حلل يجمل بها هو وزيادة، ويكون المريد كما قال﴿ﷺ وآله﴾ ﴿الولد من كسب أبيه﴾[1] ولذلك فإن أصحاب رسول الله ﴿ﷺوآله﴾، كانوا يفرحون بالأعرابى ليتلذذوا بسماع كلام رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ معه، لأنهم يستمدون من رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ بلطائف سماء الأرواح، ويشتاقون الى الاستمداد منه﴿ﷺ وآله﴾ بالأشباح.

المريد الصادق بالنسبة الأولى أوجب الشرع على والده نفقته، وأوجب على الولد، يكون هو وماله لأبيه(2). فالنفقة واصلة إليه من السماء ومنزلة عليه من عروش القلوب لا يحتاج إلى ذلك في عبارة، ولكن العبارة حجة المشاهدات،

([1]) أورد هذا الحديث السيوطي بلفظ: "الولد من كسب الوالد" رواه الطبراني في الأوسط عن ابن عمر.

([2])مصداقا لقوله ﴿ﷺ وآله﴾: " أنت ومالك لأبيك" حيث روى ابن ماجة عن جابر أن رجلا قال: يا رسول الله إن لي مالا وولدا وإن أبي يريد أن يحتاج مالي. فقاله ﴿ﷺ وآله﴾.

وشمس سبيل المكاشفات، بها تطمئن القلوب، ويقوى اليقين، ويثبت الحال، فلا تنزل أحدا منك تلك المنزلة إلا إذا تحققت بتزكية نفسه وتطهيرها، وإلا فألفه تأليفا وحاسنه محاسنة، حتى إذا تذكر أفلح، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يزكى نفوسنا، ويهدينا صراطه المستقيم، ويجردنامن كل خلق يكرهه، أو حال يبغضه، أو عمل يوجب مقته، ويجملنا بحلل فضله العظيم ورضوانه الأكبر وإحسانه العميم، ويحفظنا وأهلنا وأولادنا وإخواننا من كل شر إنه مجيب الدعاء، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

النفس المفطورة على الكمالات والنفس المجهادة

1. النفس المفطورة على الكمالات:

لما كانت النفوس تتفاوت بحسب الاستعداد والحيطة التي تحاط بها من الناس وأنواع المشاهد، فقد تكون النفس على معان من الكمالات، فتختفي تلك الكمالات بمعان رديئة مكتسبة من الناس الذين أحاطو بها، والمشاهد التي أحاطت بها، وندر أن تحفظ النفس كمالاتها وهي في حيطة سافلة إلا إذا أمدها الله بداع طاهر الأخلاق وكامل الصفات، إلا أن النفس المفطورة على الكمالات تنشأ أقرب إلى الخير وآلف للفضيلة، وأقبل للكمالات، وأبعد عن النقائص، ولذلك فإنها تكون أقرب تأثرا بالحكمة وأسرع عملا بها، وأبعد عن الشر؛ إلا إذا اضطرت إليه وألجئت. ولكنها إذا وقعت فيه تزول بسرعة بواعثه عنها، وتقع في اللوم على تكلفها ماليس من طبيعتها، وتنصرف إلى الخير مبادرة، وهي النفس المفطورة على

الفضائل والكمالات، الميسرة للبر، المؤهلة للرقى لعليِّ الدرجات، التي صفت من كدورات الكائنات، وتزكت من خبائث الأهواء والآمال، وللطافتها تخترق مادتها، وانوار الحكمة، فيحصل الكشف لمعاني الحكمة بقوة اليقين، أو لصحة التمكين، وتلك النفس وإن أحاطت بها دواعي الرذائل، وأسباب السفاسف؛ فإنها لا تلابسها ملابسة قابلية، ولا تشاكله مشاكله ميل، لعدم القابل منها لها، وتلك هي النفوس العالية التي امتازت بأكمل الخصوصيات، نفس يرفعها للملكوت الأعلى، وإشارة تشهدها الملأ الأعلى.

2. النفس المجاهدة:

أما النفوس المجاهدة فهي النفوس التي تلونت بسافل الأخلاق لما تقذرت به من طول الأمل والأطماع، ومن الغفلة عن المبتدأ والمآل، فإذا أحيطت بحيطة فضيلة وإحسان؛ ومنحت واعظا مؤثرا؛ ومرشدا متمكنا؛ جاهدت حتى تتزكى. وإن أحيط بها حيطة تلائمها فيما فطرت عليه؛ كان ذلك داعيا لكثافة الرين حتى يظلم أفق التسليم، ويبدل الأنس بالوحشة، والميل بالجفاء، ويسود القلب بما ينكت فيه من ظلمات المفاسد الخلقية، والرذائل الحيوانية والإبليسية، وليس لتلك الظلمات المتكاثفة على القلب من دون الله كاشفة، فالفطرة على الفضيلة تنمو حتى يكون صاحبها الإنسان الكامل، الذي انطوت فيه العوالم كلها مشهدا أو علم يقين إذا أمدها الله بحيطة الخير، وأعانها بمدد روحاني. والنفوس المفطورة على الرذيلة تنمو فيها حتى تكون شيطانة إذا مدت بمشاكلها ومجانسها. قال الله تعالى:

﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾[1] وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾[2] لأهل البعد. وقال لأهل القرب: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾[3] فسابقية الحسنى منه والمعونة به، وسابقية الشقاء منه والمدد به: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾[4]. نسأله الله تعالى أن يجعلنا ممن سبقت لهم الحسنى، وأن يمدنا بجميل وداده، ويجملنا بحلل رضوانه الأكبر، إنه مجيب الدعاء.

([1]) سورة هود آية 15.

([2]) سورة مريم آية 75.

([3]) سورة مريم آية96.

([4]) سورة النحل آية 93.

ثالثا: الجهاد

الجهاد الأكبر:

مهما ترفع مقام السالك؛ وطهرت نفسه وزكت؛ وتجملت أخلاقه؛ وتخلى عن سفاسف الأمور الأخلاقية؛ فإن لرتبته الإنسانية ونفسه الحيوانية حد محدود، ومقام معلوم، لا يمكن أن تتعداه بسهولة؛ ولا تتخطاه منقادة مريدة؛ إلا بمجاهدة. ولا يقوم بها إلا من سبقت لهم العناية، ولا يصبر عليها إلا من اصطفوا للقدس الأعلى، فإن صور الكائنات إذا قابلت مرآة النفس الحيوانية التي أهملت عن مجاهدتها ودوام قهرها تزينت لها، فقبلتها للنسبة بينهما، وانقادت لمقتضاها من علو وغرور، أو طمع أو أمل أو هوى فإذا توالت على النفس تلك الصور بدون مسارعة إلى تزكيها، ومحو تلك الصور منها بمواجهتها للخيال، لترتسم فيها المعاني القائمة بالملكوت، والأنوار المرسومة في الخيال من عالم الجبروت، فإن النفس بإهمال المجاهدة تأنس بملاذها الحسية، وتبذل لذلك ما يمكنها من تدبير وفكروهم وعزم، حتى تحجب لطائف القلب ومرآة الخيال عن مواجهة القدس الأعلى، ومشاهدة الملكوت الأعلى.

وهذا الجهاد أكبر في الحقيقة من لقاء الأعداء، لأن الإنسان إذا لقى عدوه احتاط منه، فإذا قتل بسيفه قل شهيدا. وأما تلك المعانى المهلكة التي تقوم بالنفس فتدفعها إلى الهلاك الأبدي، تلوح للنفس على أنها لذة ومحبوبة ونافعة، وبها السعادة والخير، لأن الحظ والهوى جمل المهلكات في عين النفس، فيقع الإنسان في مقتضيات ذلك بدون احتياط وبدون ندم بعد وقوعه ولاتوبة منه، لخفاء ذلك

عليه، ولسكره بالتلذذ، والفرح بالأعمال التي هي نيل وإدراك لما يلائم، فإذا كانت تلك البواعث موجبة مقاومة الروح لتمنع النفس عن تلك الأعمال مع مكنها من العمل؛ وتلذذها به كيف يكون الحرب بينهم؟ اللهم سلم سلم.

هذا هو الجهاد الأكبر، الذي من غفل عنه في صغيرة من الأمور أو حقير من الشئون بدون يقظة له ومسارعة في مجاهدة نفسه؛ ربما أدى إلى هلاك وضياع للأخلاق الطاهرة، وفساد للعقيدة الحقة، فعلى السالك المريد الوصول لحضرة الله تعالى أن يكون يقظا لهمات نفسه، وللمة الشيطان التي يلم بها على قلبه، ويسارع إلى محو أسبابها، وزوال مقتضياتها، مجاهدا نفسه، صابرا على ذلك حتى يتمكن من الخلاص من رعونات نفسه، ووسوسة شيطانه، وفساد آماله، وقبيح أطماعه لأن الإنسان مهما بلغ من مراتب القرب؛ لم يكن حفظه كحفظ الملك، لأن دواعي الآدمية؛ ومقتضيات الإنسانية؛ وبواعث الحيوانية؛ تجعله يلقى نفسه في مهاوي الحظوظ ومهالك الأطماع. حتى يكون يقظ القلب، حاضر الفكر، مستحضرا أيام الله تعالى وعظمة ذاته، فيفوز بأن، يكون في حفظ العناية من مخاوف النفوس، والله سبحانه وتعالى يحفظنا مما يسخطه، ويمنحنا رضاه وعفوه وعافيته آمين.

رابعا: الرياضة

الرياضة العامة:

لما كان الإنسان ذلك النوع الوسط المخصوص بنظر الحق سبحانه وتعالى؛ المخلوق له سبحانه؛ ولأجله خلق العوالم كلها وسخره؛ فطره سبحانه وتعالى على صورة المستقل المختار بما أخفاه سبحانه من سر القدر؛ ثم فطره سبحانه وتعالى على صفات اقتضها مكانته وصورته؛ ثم تفضل فأعلمه على ألسنة الرسل عليهم صلوات الله وسلامه؛ ما به سعادة في هذه الدار بين عالمه والعوالم الكونية؛ وفي الدار الآخرة بين عوالم الملكوت الأعلى؛ فكشف الرسل صلوات الله عليهم وسلامه بالقول والعمل والحال ما يحبه الله تعالى من العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملة؛ ولما كانت تلك الصفات المفطور عليها من حيث أنه في صورة المختار تمنعه عن قبول الحق والانقياد له أو عن الانقياد له بعد قبوله؛ سنت الشريعة أنواع الكاليف، ورغبت في النوافل وقربات الخير، ذكرى للقلوب، ورياضة للنفوس.

ولما كانت النفوس الإنسانية مجبولة ـ لاحتياجها الذاتي ـ على حب الجزاء؛ جعل الحق سبحانه وتعالى لها جزاء على مجاهدتها وقصورها عن فعل ما أمر به. ولما كانت تلك النفوس منها ما لا يقبل الخير؛ ولا ينبعث إليه؛ ولا يراقب خالقأ؛ ولا يشكر منعما؛ حدت الشريعة حدودا زاجرة للنفوس عن أن تتعدى تلك النواميس، كل حد منها بقدر ما ينشأ عن هذا التعدي من المضار النوعية، والمفاسد العمرانية، من تعنيف، أو توبيخ، أو جلد، أو قطع، أو قتل. وهذه هي الحدود إلي يحد بها الذي فسدت أخلاقه، حتى إذا تعدى الفساد من الأرض

والخلق إلى فساد في العقيدة بجحود الحق . الفساد الذي هو النهاية الكبرى في كفران النعم وإنكار المنعم .كان حده للمجاهر المعتدي القتل خشية من هلاك بعض أفراد النوع بتقليده، وحده للضعيف المسكن الإذلال بالرق أو الجزية حتى لا تقلده النفوس ولا ترغب في مكانته، وبذلك تضعف قوة التقليد والمفاخرة بعقيدته. وربما دعاه ذلك إلى التسليم فأسلم وسلم. فكانت الجزية كحد من الحدود الزاجرة لنفوس المتطرفة، التي وصفت الحق بما لا ينبغي أن يوصف به، خشية أن يتعدى ضررها إلى غيرها. فكانت الجزية من الرياضة النافعة للفريقين: أهل الحق فيرون العزة لمن تمسك به، وأهل الباطل ليفروا من ذلك الحال وفساد العقيدة إلى الحق الذي به العز.

هذه الرياضات التي أسس عليها الدين، وعلى التمسك بها عامة المسليمن.

الرياضة الخاصة:

أما الرياضة الخاصة التي عليها الأفراد الناشئون في طاعة الله تعالى؛ فبدايتهم مكارم الأخلاق إطاعة للأوامر، وطمعاً في جميل الجزاء، فلا يغضبون إذا استغضبوا في ذاتهم، ولا يشيعون منكرا، ولا يبخلون بمال، وكل ذلك عن علم. حتى إذا بلغوا مقامات المكاشفة؛ وشهدوا الأمر على ما هو عليه؛ وتحققوا بمكانتهم من ربهم؛ موقنين بأنه هو الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد؛ فروا به بعد سلب ظلال صورة الاختيار، ذوب ثلوج صور الوهم والخيال، وتركوا الخلق وراء

ظهورهم، سخطوا أو رضوا، إذ المطلوب أمامهم، والمقصود رضاه كائنا ما كان الحصول عليه، وهذه هي ثمرات الرياضات حتى يكون المجاهد قد زكى نفسه، وأهلها أن تكون مشاهدة لحضرات الغيب الأعلى.

هي الرياضة محو الغين والسين   وتشهد الغيب في آثار تكوين
ـنح العلم علم الحق في صور   ـن المشاهد في إثبات تعيين
ـطلق القيد قيد الكيف عن نسب   كشف الران عن أنوار تمكين
ـس لها أهلت في البدء وانشرحت   ـو وتسبح في أنهار تأمين
ـي الرياضة شمس أشرقت بضيا   ـر التفضل بعد العلم بيقين
ـتو المطامع والأهواء تكشف ما   غاب في الكون من أسرار مكنون
ـيس ذو طمع يسعى ليدرك ما   ـتوه من أملٍ وبعض شئون
ـتى إذا بلغ المأمول رد على   بيه مختبطا مسا كمجنون
ـك البعيد فلا يدنو لوجهتنا   ـف يشهدني المحجوب بالطين
ـو الرياضة مجهود بفطرته   ـعى ليخلص لي من غير تلوين
ـادى الحبيب لأجلى والذي ألفت   ـك السجية جافاها لتعييني
ـو الخليل الذي عادى السوى وأتى   ـق بعد شهود الغين والسين
ـاهد النور صرفا في عوالمه   ـى بآياته حقا بتيقين
ـعين عين خليل قد رأى وبدا   ـه تعالى عن التحديد بعيون

لطائف الملكوت:

نعم، الملك يهب ما يشاء، لمن يشاء فيهب الدنيا لمن يحب ومن يكره، ولكن لا يعطي الإيمان إلا لمن يحب. وعلامة أنه سبحانه أعطى الإيمان للعبد أن يذوق حلاوة التسليم والانقياد بدون بحث عقلي وعمل مادي وطلب دليل أثري، لما يقذفه الحق سبحانه في قلب من يحبه من عباده، فتكون تلك الأنوار المشرقة على القلب في قوة شهود الحقائق المؤمن بها، ولكن تحجبها الماديات الكونية، فإذا نطق لسان الحكمة السماوية بأسرار الغيب بعلوم الفضل الإلهي؛ انكشف عن القلب سحاب الماديات وتلألأت أنوار لحقائق الربانية في الغيب فؤاده، فتواجد، ووجد، ووله، واشتاق، فانفتق رتق قلبه بما يتوالى عليه من مشاهد الآيات، وسرت لطيفته الملكية على براق الوجد ومعراج الوله في ليل محو تلك الكثائف الكونية عن بصيرته، فيتلقى بقوى الفكر الممنوح من لدى الحق من طريق الإطلاق الوصول إلى مشاهدة الغيب في الآثار، وتزداد الفيوضات، وتتوالى الأسرار التي لا يحيط بها عقل عاقل، ولا يحوم حول فنائها خيال متخيل، مم يذوقه بعيون البصيرة أهل الإيمان الكامل، المتحققون بالحظوة القدسية.

وقد يصطلم المشاهد بغيب الآثار عنه، عندما يتملى بجمال: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[1] أن أنه سبحانه حظر على النفوس أن تعلم ـ العلم المجرد عن الشهود ـ ما أخفاه الحق من قرة الأعين بالشهود لهذه الجمالات

([1]) سورة السجدة آية 17.

العلية. فبحقك يا أخي، جمال عجزت النفوس التي تشهد ما وراء المادة أن تعلم هذا الجمال ببعض خواصه تقريبا؛ كيف تتخيله أو سلم به؟ أو تصدق المترجم عنه؟ ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾(1) فأهل الشهود محتهم عن أنفسهم لطائف القدس الأعلى، فغابوا عنهم به، فهم به سبحاه، وله سبحانه، ومنه سبحانه، وعنه سبحانه، لا يشهدون غيره، إذا ترجموا ببعض جمالات هذا المقام العلى والرفيق الأعلى؛ أنكر حالهم وسفه رأيهم أهل النفوس التي لا تعلم، فكيف بمن لا نفس له ممن وقف عند حظ هذه الدار العاجلة أو نسى الدار الآخرة ؟ اللهم احفظنا من القطيعة وأوصلنا بدوام لطفك وتوالى لطائفك يالطيف، وأذقنا حلاوة الإيمان ولذة التقوى، وحققنا بكمال اليقين في رتبة العبد الصادق يارب العالمين، وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

خامسا: النهج الوسط

خير الأمور الوسط:

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾(2) وقال ﴿ﷺ وآله﴾: ﴿إن هذا الدين متين فاعمل فيه برفق﴾(3) فالأعمال . وأعنى بها أعمال القلوب لأنها

---

(1) سورة المطففين آية 14 . 15

(2) سورة البقرة آية 143.

(3) أورد السيوطي هذا الحديث بلفظ: "إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق" رواه أنس وهو صحيح. انظر الجامع الصغير ج ص 1 ص 338.

هي الباعثة للأعضاء على القيام بالمجاهدات للمشاهدات . إذا لم تكن وسطا بين رتبة الخوف والرجاء والمحبة؛ حتى ينبغث من وجه المحبة روح الوجد والإقبال؛ ومن الرجاء روح الأنس والبسط مع الحق سبحانه، ومن الخوف روح المحافظة على حدوده سبحانه وتعظيم شعائره والقيام بأوامره. وإلا إذا غلب حال على الآخر ربما أخره عن الوسط كما إذا غلب مزاج في البدن على مزاج أهلكه، فإذا غلب الخوف ربما أدى إلى اليأس: ﴿إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[1] وإذا غلب الرجاء ربما أداه إلى الأمن: ﴿فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾[2] وإذا غلبت المحبة ربما سلبت قوى العقل، ومحت نواميس التشريع في عين العاشق، حتى ينمحق بغير علم بمنازلات الحق سبحانه وتعالى؛ ولا يقين بمرتبة التقييد والإطلاق، فيكون ممن لا يقتدى بهم من أهل الوله والاصطلام الماحق لعناصر المادة. ويكون في عداد الكروبيين الذين لا يترقون بل هم في كرب من الشوق إلى المشاهدة، والاحتراق غراما إلى مواجهة الحق سبحانه.

والمحجة البيضاء والسنة المحمدية السمحاء هي الطريق الوسط الذي نهج عليه الصديق والشهداء والصديقون من علية الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، فاجعل كأن لك قلبين: قلب ينبعث منه الخوف للتعظيم والتجلة والرهبة لا خوف المعصية والنار كالعامة. وقلب ينبعث منه ريحان الرجاء لمعنى أسماء الجمال، حتى يكون الإقبال والوجد والحب والشوق إلى مشاهدته سبحانه وتعالى، فيكون قوامك

([1]) سورة يوسف آية 87.

([2]) سورة الأعراف آية 99.

الخوف، ومزاجك الرجاء، فتكون مُحَّديا كاملا، لا يغلبك الخوف حتى تنسى جمالاته، ولا الرجاء حتى تسهو عن عظمته، وإذا غلبك الحال في حال منهما فسلمه نفسك، فالحال لا دوام له، فقد كان سعيد بن جزيم ﷺ من أفاضل الصابة يصعق من غلبة الحال، وقد حصل للسيد الأكبر ﴿ﷺ وآله﴾ في قراءة الحاقة، وكان يحصل له الحال عند نزول الوحى عليه ﴿ﷺوآله﴾، بالحالة الخاصة به ﴿ﷺوآله﴾ فإن للوحي أحوالا كثيرة، منها ما يختص بالرسل، ومنها ما يكون حالا لملك الإهام على أكابر الأولياء رضوان الله عليهم أجمعين، فالحال الصادق باعث على الترقي، وإنما يخشى منه أن ينتقل إلى مقام فيهلك صاحبه،، أعمال القلوب إذا لم تعرض أو تنال بواسطة عارف متمكن من أسرار العلوم ومقامات الوصول قد جاز الطريق وعلم مسالكه؛ ربما أدت إلى التطرف إلى طرف، ومجاوزة الوسط، فعليك بالمحجة البيضاء والسنة المحمدية السمحاء، والله أعلم.

سادسا: العمل لجمع القلوب على الله

السالكون طريق الله سبحانه هم أهل النفوس الزكية، الذين يحفظ الله سبحانه بهم دينه، ويعلى بهم كلمته، ويجدد بهم سننه. وهم محل نظره، وأهل محبته، يستعملهم فيما يحب، ويمكن لهم في الأرض بالحق، ويبين بهم آياته، ويوضح بهم مناهجه وسبله، وهم أهل الله في كل زمان، وأهل معية رسول الله﴿ﷺوآله﴾ في كل مكان، ذكرهم في آخر سورة الفتح، ومدحهم وأثنى عيهم وبشرهم، وبين صفاتهم وأعمالهم وأحوالهم بمحكم الآيات، وليست المعية معية جسمانية، لا، ولكنها معي اتباع واقتداء وعمل وحب ومشابهة وتقليد وتمكين وعلم ومشاهدة وفهم. فإذا كانوا

هم الأئمة للناس والسرج للخلق في كل زمان؛ فصفاتهم أولا الرحمة الحقيقية بكل مسلم بعطف يودده، وحلم يقربه، وكرم يحببه، وعمل يرغبه، وعلم يكمله، وزهد فيما في أيدي المسلمين يؤلفهم، وبذل لهم ليجمعهم، وحنان بهم يهذبهم، وتباعد عما ينفرهم من عمل أو علم أو حال، أو تفضيل بعض المسلمين على بعض؛ اللهم إلا بذكر علوم السلف وأعمالهم وصدقهم مع الله وصبرهم على بلائه سبحانه، ومجاهدتهم في ذاته أعداءه، أو مجاهدة أنفسهم، من دون تفضيل لذواتهم على غيرهم من المسلمين، ولا ذكر لخصوصياتهم التي لا تقبلها العقولن ا, إذا ذكرت أضرت أهل الجهل ممن لا يعلم قدر الإنسان أنه عبد مسكين لرب عظيم يهبه ما يشاء من فضله، وأن الفضل بيد الله، فتذكر الخصوصيات ليشتاق العاملون إلى نوال تلك المقامات؛ لا ليفرقوا بين جماعة المسلمين بتفضيل بعضهم على بعض، وقيام العداوة بسبب ذلك، فالسالك مريد للحق محب لما يحبه الحق، عامل لنوال مرضاته وللفوز بنعيم الآخرة، وتلك الخيرات لا تنال إلا بما يحبه.

وأحب الأعمال إلى الله تعالى عمل يجمع عباده عليه، ويعرفهم مقامه سبحانه، ويدلهم على أنه هو الأحد الصمد، الفاعل المختار، وأن كل ما سواه ومن سواه مخلوق له سبحانه، مفتقر إليه تعالى، مضطر إلى جوده وبره، لا عمل لأحد، ولا نفع ولا ضر لأحد من أحد سواه. وبذلك تجتمع القلوب ويتحصل العامل على المطلوب.

السالك الذي يحفظ كرامات الرجال وخصوصياتهم وأحوالهم؛ ثم يقوم فيشغل المسلمين بالتفضيل بين أهل الخصوصيات، والاعتقاد في بعضهم حتى ينسى الواجب عليه، ويتهاون بكمالات نفسه التي بها يصل إلى درجة الأفراد، حتى يوقع العداوة بين الشيع المتفرقة والنحل المتمزقة، لا أظنه سالكا طريق الرشاد. لأن الله تعالى أرسل نبيه سيدنا مُحَمَّدا ﷺ وآله﴾ للخلق أجمعين، وألف به ﴿ﷺ وآله﴾ . بين أهل الأديان المختلفة والمذاهب المتخاصمة . بنور الحق، مبينا سبل الحق، موضحا طرقه، حتى شغل الخلق بالله، ونزع من نفوسهم حب الأصنام، واتخاذ الأنبياء آلهة، أو أبناء الإله حتى عشقوا الحق، وبذلوا أنفسهم في نوال مرضاته، وشغلهم ذكره عن غيره، وطلبه عن طلب سواه، حتى بلغت درجة المحبة للحق والشوق إليه ومعرفة مقامه سبحانه ومقام رسوله ﴿ﷺ وآله﴾ أنهم كانوا في بعض المضايق يرون أن رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ يشفق عليهم فيطلبون منه ﴿ﷺ وآله﴾ التشديد على أنفسهم، أو يرونه عند بعض الأعمال يراعي جانبهم، فيطلبون منه ﴿ﷺ وآله﴾ ترك العمل، كل ذلك لعلمهم بمقام ربهم سبحانه، وما جمل به ﴿ﷺ وآله﴾ قلوبهم من علوم التوحيد واليقين، وما كان يشهدهم رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ في نفسه أنه بشر وعبد ذليل مفتقر على الولى العظيم، وما كان يهذبهم به من مساواته لهم بالمشورة، وبالبسط، وفي الأكل والشرب والملبس والمجالسة، مما أذاقهم به حقيقة التوحيد وكمال مشاهدة الغيوب.

هكذا يكون السالكون بالنسبة لمشايخهم، فإنهم يلزمهم أن يبحثوا عن الرجل العالم العامل المؤلف، المتحقق بأخلاق رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، الذي منحه

الله الحكمة البالغة، فيتلقون عنه العلم النافع، والعمل الموصل، ويجتهدون في تأليف قلوب المسلمين واجتماع كلمتهم، بدون تنفير ولا تعصب ولا ذكر لخصوصيات الرجال إلا ليعمل بعملهم، لا ليفرق بين المسلمين، وبذلك تتحد القلوب على الحق، وتجتمع على الهدى، ويقوى المسلمون ويتحابون بروح الله في كل بلد، وتتعاطف قلوبهم، ويكونون يدا واحدة على من عاداهم، فيعزهم الله ويذل أعداءهم، ويمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، ويفتح لهم البلاد، وينشر لهم افسلام في بلاد الكفار حتى تكون لنا العزة والملك في الأرض بالحق، وللكفار الذل والهوان، ويكونون أرقاء يباعون في الأسواق كما كانوا، وكل ذلك يجعله الله على أيدي أوليائه، ويظهره على يد أحبابه، والله سبحانه وتعالى يجدد بنا سننه، ويعلى بنا كلمته، ويجمع بنا قلوب عباده المسلمين بجاه حبيبه الأمين ﴿ﷺ وآله﴾ آمين.

أهل المزيد من التوحيد:

السالك في بدايته إذا جذبته العناية بسابق الإرادة جمله الله تعالى بالتسليم، ومنحه الأدب مع المرشد، حتى يقوى اعتقاده، وتزكو نفسه، ويزول لبسه، ويكون مواجها بنور اليقين، لديها يهب الله تعالى له نورا في سمعه وفي بصره وفي لسانه وفي عقله وفي خياله، فينتفع بكل ما سمع وما أبصر وما تعقل وما تخيل، لأنه إنما يأخذ من العبارة نور المراد للمرشد لا مدلولها اللفظي، وينظر إلى نورانية المرشد في العمل لا إلى نفس العمل، ويتعقل نور التأويل من إشارة المرشد لا حدودها وكيفياتها، فيكون لا يسمع إلا حقا ولا يبصر إلا حقا ولا يتعقل إلا حقا، ولا يواجه بخياله إلا حقا، فنزاه مطمئن القلب منشرح الصدر مما لا تطمئن به قلوب أهل الشكوك،

ولا تنشرح له صدورهم، لأنه ناظر بعين الحق، سامع بأذن الحق، وتراه يقوى وجده، وتزداد محبته، ويدوم إقباله كلما سمع أو شهد أو فهم شيئا من المرشد كائنا ما كان ذلك، فإنه يتأول له إلى سبعين معنى، ومالا يمكنه أن يؤوله يسلمه لله مصدقا به أن له وجها من الحق، ولكن لا يقلده فيما لم يستبن له فيه الوجه الشرعي، لأن للرجال مشاهدات ونوايا في حفظ أحوالهم ومراعاة وقتهم محظورة على السالك لعدم مكاشفته بها، ولكنه يسلم ذلك. ولأن امشرد له ساعة يكون فيها من أهل الآخرة لاحتجابه عن الدنيا وفراغ قلبه منها، واشتغاله بالآخرة، وعمارة قلبه بربه، فالسالك الذي ترك الموازين وراء ظهره، وجعل المرشد هو الميزان؛ هو السالك حقا الذي شرح الله صدره للإسلام. والسالك الذي جعل الموازين بينه وبين المرشد لا يدوم إقباله وإن علم وفهم، ولا يكون على مزيد وإن جاهد وعمل. والمردي أعلم بنفسه، فإذا سلمه ورأى نفسه على مزيد مما يدرك ومما لا يدرك حقيقته؛ فبدايته بداية صديق، ونهايته نهاية إنسان كامل وعبد متمكن. والمرشد قد يعلم ذلك من المريد في بدايتة، ويقربه بذلك إلى مراتب الخاصة، وقد لا يعلم منه ذلك فلا يضر المريد جهل المرشد بمقام استسلامه، فإن الله هو المطلع على السرائر، فيكون له المزيد من الله تعالى.

ومن أجمل وأجلى صفات أهل المزيد دوام انشراح صدورهم، وبذل ما في أيديهم لإخوانهم وللمرشد ببشاشة وسرور، والتسليم لإخوانهم، وحفظ أعراضهم، والمدافعة عنهم في غيبتهم، وتأويل أحوالهم، والستر لعوراتهم، والفرح بهم على كل حال تواضعاً لله سبحانه زمحافظة على الإخاء، وستراً لعوارت الإخوان، وتأليفا

لجماعة المسلمين خشية التفريق والجدل والمعارضة.وبذلك يدوم له المزيد حتى يترقى إلى مقامات المواجهة، وتفاض عليه نعم المنازلة، ويتحقق بمقامات الأفراد ومواجهات الأبدال، ولا نهاية للمزيد من فضل الله تعالى.

وأما من لم يكونوا من أهل المزيد فتراهم بين إقبال وإدبار وشك واطمئنان، إذا سمعوا ما يوافق موازينهم أنسوا وأقبلوا، وإذا سمعوا مالا ينطبق على عقولهم شكوا وأدبروا، وهذه سنة الله تعالى في خلقه، وقد بين الله تعالى ذلك في سير الرسل عليهم الصلاة والسلام، وكثر ذلك في قصة سيدنا موسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام، وقد ارتد بعض الناس عندما أخبرهم رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ بالإسراء. فهكذا النفوس الخبيثة يكون إقبالها بموازين، وإدبارها والعياذ بالله بغير موازين، إن أقبلت: أقبلت متكبرة متعالية مشغولة بالاعتراض على الناس ومقتهم، لا تنفع ولا تعين على خير في الدين ولا في الدنيا، إن أكرمت، لامت، وإن ظهر لها غير ما تعلم: أدبرت إدبار الشياطين، فقذفت وكفرت ولعنت، وفرقت الجماعة، وأبعدت المقبلين، والحقيقة أن الله سبحانه أبعدها عن الخير لأنه لم يقدره لها. والله سبحانه يجعلنا ممن لهم الحسنى وزيادة بجاه سيدنا ومولانا محمد ﴿ﷺوآله﴾ آمين.

سر المزيد تلألؤ الأنوار   في أفق قلب مخلص أوساري
ـل عظيم من ولي منعم   ـتح بالتسليم لا الإنكار
ـى بمشهده إلى الأفق العلى   ـام أعلى مشهد الأنوار
ـى له الآيات في آفاقه   لشمس تشرق في صفاء نهار

كل نفس فيض فضل هاطل   ى له في تلكمو الآثار
دوم هذا الفضل يوهب دائما   وى به الإيقان بالتذكار
ن غير حد والمريد رقيه   ارج التسليم للستار
حلى بالتسليم بالحلل التي   ى بها لمراتب الأخيار
ك البداية تنتج القرب الذي   طى به بمعية المختار
ه يدوم رقيه وعروجه   اهد التوحيد لا بستار
تف به الغيب المصون معالم   اصلين إلى العلي الباري
ه اليقين هو اليقين محصن   ق لا بد لائل الأدوار
جت قلوب سلمت فتجملت   يقة التوحيد والأذكار
لمت من الآفاق فأتت ربها   لامة التسليم والأسرار
باحها رؤيا الجمال وخصها   ه بفضل مزيده المدرار
لت إلى حق اليقين فمتعت   جه بالألباب والأبصار
ت الجميل منزها ببصيرة   اله قد لا للأبرار
تعت بشهوده وتنعمت   زل الحنان والغفار

سابعا: تلقى العلوم النافعة

المنفعة تتفاوت بحسب مراتب الناس ومقامات اليقين عندهم، فمنهم من قصر به يقينه عن علم كمالاته المؤهل لها، ونوال الخير في آجله، ولم تشرق عليه أنوار الفضائل النفسانية فتجذبه إلى جانب الحق. فانغمس في قرارة الحظوظ والأطماع، ودعاه الجهل بالعاقبة إلى أن السعادة واللذة محصورتان في نوال آماله،

وملاذه في تلك العاجلة ما يلائمه حسا. واستخدم لذلك جميع قواه ظاهراً وباطنا، وتلذذ بنواله أغراضه، ومشي في الأرض مرحا جاهلا نفسه وأهله، متناسيا ما أنذر به وما بشر به، تاركا وراء ظهره ما علمه من مبادئ الدين، غر مكترث بالحدود والعقوبات مادام متلذذا بحواسه، سواء وافق الدين أو خالفه، كان عمله فضيله أو رذيلة، ويسرع إلى تعلم ما به آماله من العلوم المعينة له على مشتهاه مما ينفع في الدنيا كالصناعة والفنون، أو يرفع فيها كعلم الدين الذي يؤهله للسيادة والرئاسة، وعلم الكلام الذي يجعله مهابا يقتدي به بين الناس، مهيبا عند الأمراء، مجالسا للخاصة، وهو بجهل يظن أنه أحسن عملا إذا بلغ مراده ونال شهوته ولذته، ويتحقق أنه في سعادة وعلو وشرف وغنى وعزة لما يراه وما يحسه ويتلذذ به.

وليست هذه العلوم بنافعة إلا لمن جعلها درعاً يقى به الدين، ويحفظ به نفسه من الوقوع في المضار – من الجوع، أو البدع المضرة، أو مضرة الناس بجهل ما لابد لهم منه في المجتمع الإنساني – قربة إلى الله تعالى، ونفعا عاما لجماعة المسلمين، فإذا تحصن العالم بتلك العلوم بإخلاص النية في تعلمها، وصدق العزيمة في العمل بها، كانت له سلما يعرج عليه إلى الأفق المبين. وإذا غلبه حظه كانت له مدارج يهوى بها في سجين، نعوذ بالله من الشح المطاع والهوى المتبع والإعجاب بالرأي.

أما العلوم النافعة فهي علم يقوى به يقينك، وعلم تحسن به عبادة ربك، وعلم تحسن به معاملة إخوانك المؤمنين، وعلم تحسن به معيشتك وأهلك، وعلم

يدوم لك به المزيد من الفضل الإلهي، وعلم به تعلم من أنت، وما هي الآيات والحكم والمودعة فيك وفى السماوات والأرض وفى الآفاق، وتعلم به نسب مراتب الوجود، حتى تتحقق بمعرفة ربك، ولديها تكون عالما نافعا لنفسك ولغيرك، عبدا لله تعالى، حرا بالنسبة لغيره، تملك نفسك وغيرك، ويسخر لك جميع الوجود لأنك عبد الله الذي خلق كل شيء، وبيده مقاليد كل شيء.

ولكل علم من هذه العلوم مباد ومسائل يتلقاها المريد ويعمل بها فيعلمه الله تعالى العلوم التي لا يمكن تعليمها إلا بالله عز وجل، وهي علوم اليقين والتوحيد والتوكل والتفويض والصدق والإخلاص والمواجهة والمنازلة، وعلوم المحبة والرغبة والرهبة والخشية والخوف والطمع، وعلوم الإيمان والإحسان والإيقان، وعلوم الغيب بانكشاف معاني الصفات بمقتضى التجليات، وظهور خفى الآيات في مرائي المكونات، وعلوم لا ينبغي للعارف أن يلمع إليها بإشارة، من أسرار الأحدية ورموز الهوية، وكنوز المجالى الذاتية، وغيب الخفا وخفى الأخفى مما لا يعلم علمه إلا الله، ولو جازت الإشارة إليه شرعا لضاقت العبارة عنه، وعجزت النفوس الزكية عن فهمه، وأنكرته العقول على أهله، ولكن التسليم مفتاح لتلك الكنوز العالية، والمجاهدة معراج تلك المراتب العلية، والمحبة خمرة المؤانسة الربانية. وإنما هي سوابق الإحسان ومنن المنعم المنان: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾[1] نسأل الله تعالى أن يعلمنا العلوم النافعة، وأن يعيذنا مما يشغلنا عن

([1]) سورة الأنبياء آية 11.

بلوغ الحظوة الربانية في رياض الأنس بالحق، وأهلنا وأولادنا والمسلمين، وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

ثامنا: استقامة السيرة مع صفاء السريرة

المؤمن إنسان صدَّق بوحدانية الله تعالى وبصفاته وكمالاته، وبتنزيه ذاته العلية عن تمثيلها بالعقول وتصويرها بالخيال، واستحضارها بكم أو كيف أو مثل أو نظير، بقدر مرتبته من العلم والشهود، فإنها ـ تنزهت ـ علية عن تنزيه الإنسان الكامل ﴿وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾[1] ولكن طولب أن يعلم بقدره، وهذا مبلغ علم الحوادث بالنسبة لتلك المكانة العلية المقدسة، وكيف يمكن الإدراك ؟ ونحن إنما ننزهها جلت عن نقائص نسبية، ونثبت لها تعالت كمالات وهي تقدست علية عن أن تدرك للطائف عالين، وأرواح الكروبيين والكل في حيرة، وكمال التحقيق العجز عن الإدراك بعد التمكين من الإثبات.

وصدق بالرسل الكرام، وبالملائكة، والبرزخ، والآخرة. وصدق بأن الله تعالى متصف بتسعة وتسعين اسما، متيقنا أن أحدا لا ينازعه سبحانه وتعالى في صفة من صفاته العلية، بل هو الفاعل المختار لكل شيء. وإنما جعل الأواسط والأسباب ليتعرف إلى العقول والألباب. فهي نعمة للتقريب والترغيب، لا للتشكيك وتوهم الشريك.

([1]) سورة الزمر آية 67.

وصدق بأوامره التي كلف به عباده، ومحبوباته التي رغب فيها أولياءه، ونواهيه التي جعلها حدودا بني رضاه ومقته، وعفوه وسخطه. فقام بعد التصديق بنور التوفيق عاملا لمولاه، شاكرا ما أولاه، فوهبه المزيد بفهم التوحيد، ومكاشفه بسر مراده لفضل وداده، فصار عاملا محسنا بإخلاص النية وصفاء الطوية، فتجدد له المزيد بمشاهدة أسراره، وانبلاج أنواره، وظهر له . بنسب الإيمان . حقائق الإحسان، فرأى المؤمنين إخوة له، بهم قربه إلى الله، وكمال إيمانه بالله، ينزلهم منزلة نفسه في الرخاء والشدة، ويحبهم بملء قلبه، وهو الحب الخالص لله، يكرم الله بإكرامهم، ويتقرب إليه بالقرب منهم، يواسي بعيدهم وقريبهم، وقرضا الله قرض حسنا بالإحسان إليهم، يذل لهم ليعزه الله، ويتواضع لهم ليرفعه الله، فإذا أغناه الله فإنما هو خزانة لهم، وإذا علمه فإنما هو نوره المضيء لهم، وإذا أعطاه القوة والعافية فإنما هو الحصن الذي يمنع السوء عنهم، وإذا ولاه الله أمورهم فإنما هو الوالد الشفيق الحاني بالعطف عليهم، يبذل نفسه ووسعه في ألفتهم، لأن اجتماعهم إعلاء لكلمة الله، وتجدد لسنة رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾.

وليس بمؤمن من فرق بين المؤمنين، وطلب ذلك لحظ أو رياسة، وليس بمسلم من آذى مسلما بيد أو لسان، وكل أرض للمسلمين هي الوطن الذي حبه من الإيمان، والمدافعة عنه فريض على المؤمنين، ورد العدو عنه واجب على المؤمنين. يحفظهم مما يحفظ منه نفسه وأهله، يغض بصره عن عيوبهم . إلا بالنصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ويستر عوراتهم من أن تشهد لعدوهم. كل ذلك معاملة لله تعالى وإعلاء لكلمته، وتجدد للسنة المحمدية.

وقد أعمى الهوى والحظ قوما ممن يدعون الإيمان، وليسوا بمؤمنين لتجردهم عن أخلاق الإيمان يسعون في تفرقة الجماعة، وإظهار العورة، ومساعدة أعداء المسلمين، بدعوى الإصلاح والخير، والله يعلم أنهم مفسدون.

المؤمنون أرواحهم واحدة، وأجسامهم متباينة، كأعضاء الجسد الواحد يستمد من روح واحدة، وكل عضو عامل على منفعة جميع الجسد. روحهم الممدة لهم: القرآن وسنة رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، بها حياتهم ورفعهم وعزتهم وقوتهم وإذلال أعدائهم، وكيف يكون مؤمنا من آثر عرضا فانيا على رضوان الله والفوز بنعيمه المقيم ؟!!.

الباب الرابع

في الاعتقادات وهمم الرجال ومشاهداتهم والسير إلى الله تعالى

الفصل الأول

في الاعتقادات

الإنسان ديني بفطرته:

قال رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾: ﴿كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه﴾[1] فكأن الإنسان يولد مؤمنا كامل الإيمان لاستئناسه بألست [2]، وعدم ما يحجبه عن شهود أنيته، وعند شهود تلك الأنية انصبغ بصبغة أبيه.

ومعلوم أن نور الحكمة محظور على الإنسان أن يشهده إلا بوحي، وقد تفضل الحق فأرسل رسله عليهم الصلاة والسلام بآيات تصدق ما أتوا به من قبله سبحانه، مما يعجز الإنسان ولا يقدر عليه إلا الله، فكأنها في قوة: صدق عبدي هذا، وهو رسولي إليكم فاتبعوه.

والناس قسمان: متبع ومخالف، فالمتبع هو الذي يتيقن كمال اليقين أن جميع ما جاء به الرسول هو عين الحق الكامل، بحيث يلزمه أن يثق الوثوق الذي

([1]) هذا حديث صحيح أورده السيوطي عن الأسود عن سريع بلفظ: "كل مولود على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه" أنظر الجامع الصغير ج 2 ص 242.

([2]) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ...﴾. سورة الأعراف آية 172.

لا يشوبه زلزلة و هم ولا شك بجميع ما شهده عليه من الأخلاق والاعتقادات، مع التسليم المطلق، سواء قبل عقله ذلك أو لم يقبله فلا يتخيل له أن أمرا مما شهده عليه يحتاج إلى برهان أو آية، لأنه إنما اتبعه لعلمه أنه كامل يريد أن يكمل بكمالاته. أما رؤية أن أمرا من الذي هو عليه تحتاج فيه إلى برهان بحسب عقلك؛ فكأنك عارضته في كلامه، أو توهمت تقصيره، وهو شك في تصديقه.

الرسل عليهم الصلاة والسلام أتوا بأمرين عظيمين:

الأمر الأول: تطهير أخلاق الإنسان من الصفات الإبليسية التي سنتكلم عليها في أساس الأخلاق، والصفات البهيمية، لينتظم العمران، وتحسن حالة المعيشة، وتصفو الطباع البشرية، وتستعد لتلقي الأسرار الإلهية. ومن قرأ القرآن الشريف بنور التسليم والاستمداد من حضرة رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾؛ ذاق حلاوة مشرب كل الرسل عليهم الصلاة والسلام.

الأمر الثاني: العلم بما يجب عليه اعتقاده بالنسبة لذات الله وأسمائه وصفاته سبحانه، وما اختص الله سبحانه وتعالى به رسله عليهم الصلاة والسلام من المقامات في الدنيا والآخرة وما اختص به سبحانه أولياءه في الدنيا والآخرة وكل هذا أمر وإن أمكن العقل قبوله بالبرهان بدون تسليم وتصديق، وهو ظلمة يحجب المصدق بالبرهان عن ذوق حقائق ليس للعقل حكم عليها، إنما تذاق وتشهد بمحض الفضل من الحق. وهو سبحانه غنى عن الخلق، وقد تفضل عليهم فلم يحوجهم إلى البحث عنه بالبرهان والعقل، بل أرسل لهم الرسل مؤيدين بالآيات

ليبينوا للناس ما يختلفون فيه، وأوضح لهم ما يجب عليهم اعتقاده بالنسبة لحضرته العلية سبحانه، مع إلزامهم بأنهم يسمعون ويطيعون، وحظر عليهم بالبحث أو التوهم في الذي جاء به هذا الرسول، أو التأويل، فإنه سبحانه وتعالى أعلم بقواهم العقلية منهم، ولم يرد تعجيزهم لأنه لا حاجة له سبحانه في مضرتهم ولا منفعتهم، بل كلهم مقهورون بكبرياء عظمته، فقراء إليه سبحانه وتعالى، فكان كل ذلك بمحض تفضلاته، وعميم إحسانه، تنزلا منه، وإرادة للخير لهم.

فالواجب عليك أيها المسلم الاعتقاد بما جاء به سيدنا ومولانا رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، مما في كتاب الله، وبينه ﴿ﷺ وآله﴾ بعمله وقوله، مع التسليم الكامل والانقياد، والوضوح لما أمرت به بدون تخيل ولا توهم، بل تجعل أملك ونظرك في فهم أسرار التنزيل والحديث، لا بحسك ومعلوماتك اللسانية والعقلية؛ بل بمرشد كامل، أو باستمداد من حضرة رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، بمعنى أنك تسلم كل معتقد وتصدق به من غير تأويل، مع ملاحظة علو وعظم الحضرة الحقية عن نسبة ما تفهمه من جهة ما يشابه نفسك في الآيات الدالة على التشبيه، وتعظم الحق في مقام التنزيه، بتنزيه يليق به لا تدركه أنت، حتى تكون تلك المرتبة الحقية مقام علو وترفع، وتقديس عن كل ما يتصوره عقلك، أو يتخيله وهمك، مسلما له ما هو أعلم به عن نفسه من الصفات الجمالية والكمالية والجلالية، متيقنا أنها إنما تعلم له سبحانه لا لغيره، ومن أين للمخلوق أن يعلم ما عليه الخالق؟ فالواجب العلم مع التسليم والأدب في أن ذلك لا يمكن للإنسان أن يتصوره، إنما تعلم أنه معنا فلا تغفل عنه سبحانه، ولكن تلك المعية يلزم أن تحكم أنها لا تعلم بحقيقتها إلا له

سبحانه، مع الاعتقاد بمعيته معنا، وترى أن الواجب علينا البحث عن تلك المعية من حيث ما يجب علينا عمله. وهو معنا، لا من حيث العلم بحقيقة معيتة فتخطيء المقصود، وتجهل المطلوب، وتجعله موضع شك وريب، وتارة تؤول أو تصور وكله شرك وغفلة فتنبه، وسيأتي المزيد في التفصيل.

طهارة الظاهر والباطن:

الطهارة لأصحاب السير والسلوك التي بتمامها تفك رموز الوجود؛ وتنمحي الحجب؛ ويظهر الشهود العيني عين اليقين؛ هي أولا العلم بما يجب عليك اعتقاده، إذ لا تحصل الطهارة إلا بالعلم. أنت أيها المريد تشهد أنك فعلت وأطعتم وأكرمت ونفعت وضربت، فتبنه أيها المريد، هل قواك التي فعلت بها والآلة التي بها فعلت، والمادة التي فعلتها، والمكان والزمان اللذان فعلت فيهما، منك كانا وبك كانا؟ حاشا. بل كل ذلك من الله وبالله. أنت أيها المغرور تنسب لك ما ليس لك، هذه اليد التي فعلت، والعين التي نظرت، والرج التي سعت، هل بك ومنك؟ حاشا، ولو تعب عضو منها أو مرض أو فقد وأجمع الخلق على رده ما قدروا: ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ﴾(1) مع كونه، فكيف به إذا لم يكن؟

غرك أيها المريد نسبة الحق جلت قدرته إليك ما ليس منك ولا بد لك منه، فتنبه، فالأمور كلها منه وبه وله، وإنما نسبها إليك نسبة الحاجة للمحتاج، إذ هو سبحانه وتعالى غني عن كل ما سواه، وإنما خلق كل ذلك وهو الغنى عنه لك

---

(1) سورة الحج آية 73.

أيها الفقير المضطر، نسبه إليك ليشهدك كمال تفضلاته عليك، وشدة افتقارك إليه. لا لطغيانك وغرورك به.

فتنبه أيها المريد، وطهر ثيابك، والبس حللا تليق بعلي عظمته، من نسبة نتائج تلك الأعمال إليك، كالشبع والرى والراحة والنوم، والملبس للستر ولزوال البرد، والصلاة والصيام المستلزمة لرتبة العبودية، كل ذلك وما أشبهه فهو لك من حيث احتياجك ورتبتك، ولكنه ليس لك ولا بك، وله سبحانه من حيث الفضل والكرم، ووجوب الشكر وغير ذلك مما لا قدرة لك على إيجاده، أو من صفات الكمالات الربانية والجلال والجمال. وعلى العموم فاسلب منك كل اسم وكل صفة من التسعة والتسعين اسما، وأثبت لك أضدادها، وغير ذلك من صفات الجسمانية هو لك تفضلا منه لافتقارك إليه، وهذا مقام الخائفين ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[1] وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

([1]) سورة الرحمن آية 46.

الفصل الثاني

في همم الرجال

1. الرشاد والإرشاد

أ ــ الرشاد:

بلوغ الإنسان درجة الكمالات النفسانية، اعتقادا وخلقا وعملا وحالا حتى تنجلى له الحقائق بأجلى ظهورها، بحسب مرتبة كل حقيقة من الحقائق مما آمن به حسا وعقلا وتسليماً، مما ظهرت له حكمة خيره ونفعه في الدنيا والآخرة من المأمورات، وحكمة ضرره وشره فيهما من المنهيات، وما ثبت لعقله أنه شكر لمنعم منفرد بالإيجاد والإمداد من القربات الواجبة والنوافل المسنونة، وما لاح لذهنه سر فضله من حسن المعاملة وجميل المجاملة، وما أشرق على خياله من لوامع القدس الأعلى من قبس أنوار اليقين، وضوء أسرار التمكين، مما يقوى به الإيمان، ويثبت به التوحيد بكمال اليقين، وما أشرق عليه بمشاهدة الروح من معاني صفات الربوبية، ومنازلات القيومية، الذي به يحضر مع الحق فلا يغيب، أو يشهد الحق معه فلا يحجب عن مشاهدته.

هذه درجة من درجات الكمال، مما لا يمكن للسان أن يعبر عنها، ولا للقلم أن يسطرها بصريح العبارة، لأن درجات الكمالات الإنسانية؛ ومعارج النفوس المطهرة الزكية؛ حظر على العبارة تحديدها، وعلى أهلها بيانها كل البيان، لأنها من أسرار الغيوب التي لا يكاشف بها إلاصديق أو بدل كامل، فإذا بلغ الإنسان تلك الدرجة وارتاض بالعلوم والذكر والمراقبة، وتجمل بحلل الزهد والورع

والتوكل والتفويض وسبقت له الحسنى بالحب من الله تعالى، بلغ درجة الرشاد الذي به يكون وارثا لأحوال وأعمال وأقوال الأبدال، فيصلح أن يكون مرشداً داعيا للخير، آمرا بالمعروف، ناهيا عن المنكر، إلا أنه يلزمه أن لا يعتمد إلا على الولي، ولا يركن إلا إلى الوكيل الحق، فلا يفرح بالناس وشكرهم لإقبالهم، بل يفرح بالله وشكر الله، لأن الله شكر عباده المخلصين ومدحهم، فيمدح من مدحهم الله سبحانه، ويشكر من شكرهم الله سبحانه. والله سبحانه مدح من اتصف بما أحب من الصفات، وشكر من تخلق بأخلاق الربوبية.

ولا يذم الناس لأذيتهم له، أو لاعتراضهم عليه ومعارضتهم له، ولكن يذم من ذمهم الله تعالى من المتصفين بالصفات التي شانها الله تعالى، وذم العاملين بها. فيكون مدحه وذمه موافقا للحق، ويكون دائم الحضور معه سبحانه، ولا يتصور أنه إنما يدعو الخلق ليتبعوه جميعا، فإنما هو - بعد بلوغه درجة الرشاد - حجة الله على نفسه وعلى الناس، أو لنفسه وللناس. ومن لم يأنس من نفسه بتلك الحال - وهو أعلم بنفسه - يلزمه أن يرجع لرياضة نفسه وتهذيبها وتكميلها على يد مرشد كامل؛ حتى يكون أهلا لنظر الله، ومحلا لتنزلاته سبحانه، وسراجا من سرج رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، وبابا من أبواب الوصل لا حجابا من حجب الفصل ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[1].

([1]) سورة الأحزاب آية 4.

ب ـ الإرشاد:

دعوة من بلغ درجة الرشاد لإرشاد غيره لطريق الحق وسبيل الهدى بالحكمة البالغة، والموعظة الحسنة، والحجة البالغة من العقول مبلغ التصديق، لبيانها وصحة مقدماتها ونتائجها، ناهجا مع من يدعوهم بقدر عقولهم وتسليمهم ومعارفهم، حتى يعرج بهم من حس مشهود، إلى معقول مقبول، إلى غيب مسلم به بقوة البرهان ووضوح الدليل، متحريا منهج الحق فيما يقرر، وهدى الأئمة فيما يبين، متباعدا عن طرق أبواب الشبهات، وكشف ستائر المختلفات، ونشر مذاهب المبطلين، والتعريض بالمفسدين، لئلا يشغل العقول بالخوض فيما لا يضر ولا ينفع، ثم يحافظ على العمل بأكمل ما يمكنه بما يبديه من العلم لكل طبقة من المسترشدين، فلا يقرر علما إلا بعد أن يكون أخذ منه أكمل قسط، وعمل به بإخلاص سرا أو علانية، حتى يكون تعليمه بعمله أكمل من تعليمه بعلمه، ثم يتجنب إظهار مواجيد أهل الحب، وأحوال أهل القرب، وخصوصيات أهل العناية إلا لأهلها، حتى ينهج بالسالكين على طريق مستقيم، ونهج قويم، ليحصل لهم الرقى في معارج الوصول، ويبتهجوا بمشاهدة كل رتبة من مراتب القرب.

جـ – المرشد:

هو الصورة التي تظهر معانيها على السالك، والطابع الذي ينتقش في نفس المريد. وإننا تظهر في السالك أعماله وأ؛واله، وتنتقش صفاته وأخلاقه دون أقواله، لأن الأقوال أعراض تزول، تؤثر على النفس عند سماعها، ولكن المريد يجتهد أن يقلد الأعمال، ويتمسك بالأخلاق، ويتحلى بالأحوال من دون قصده، وذلك

بسرعة انتقالها إلى النفس، لشدة ميل النفس إلى المحاكاة، ويتضح ذلك بالنظر إلى كثير من الحيوانات والأطفال كيف يحاكون الأعمال، بل انظر على أهل عصر تراهم يحاكون الأمراء والأغنياء والعظماء من العلماء وغيرهم، ولهذا السر كان أول قائم بأجمل الأعمال، وأول متحمل لأصعب المصاعب، هم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم. فعلى المرشد إذا أن يجعل نفسه صورة كاملة مكملة بجميع ما يحبه الله تعالى، وأن يتحمل الشدائد والعناء، باذلا نفسه وزمنه وماله لله سبحانه ولرسوله ﴿ﷺ وآله﴾ حتى تنتسخ من صورته صور كثيرة تمثل الكمالات الدينية، والأخلاق المحمدية، والأحوال النبوية، حتى بذلك تتحد القلوب، وتأتلف على الحق، وتنزعج النفوس من الباطل ومن أسبابه، وتقبل على الله سبحانه بإخلاص لإعلاء كلمته، وتجديد سننه وسنن رسوله ﴿ﷺ وآله﴾، رغبة فيما عنده سبحانه، مع الخشية من غضبه ومقته. ولا سبيل للإرشاد الحقيقي إلا سبيل القرآن العظيم، وسنة رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، وهدى الأئمة الراشدين الهادين، وبيان السلف، وما عدا ذلك فليس من الإرشاد في شيء، نعوذ بالله من الأمل في الفاني، والرغبة فيما يزول، ونسيان أيام الله سبحانه، وهجران كتاب الله تعالى، ونعوذ به سبحانه من الهوى المتبع، ومن الشح المطاع، ومن الإعجاب بالرأى، إنه مجيب الدعاء، وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

2. الإخلاص والصدق

أ ـ الإخلاص:

علم انفراد الحق سبحانه وتعالى في جميع شئون العوالم وتدبيرها بحسب ما تعقلت به كل صفة من صفاته اسم من أسمائه الحسنى، مع التنزيه عن شوائب الشكوك والظنون من كل ما يكون وما هو كائن، مما يتحمل فهمه العقل، وما لا يتحمل فهمه، مع اليقين الثابت بوحدانيته ذاتا وصفات وأسماء، فلا ينسب إلى غيره عملا، ولا يعتقد علة، بل يعتقد انفراده وكمال تصرفه المطلق في جميع العوالم، مشاهدا ظهور أن كل مايراه آية من آياته، دالة على أحدية ذاته، هذا كله مع كمال الأدب المناسب للحق من الخلق، ملاحظا في ذلك اتباع الأوامر واجتناب المنهيات، مذعنا بأن ما يخالف الأمر منسوب إليه، وما يوافقه صادر عنه تأدبا مع الحق ﷻ، فإذا تحقق العبد بذلك تبرأ من جميع صفاته لانعدامها في حقيقة الأمر، وتاب من علمه الذي نسبه إليه، وفنى عن جميع ما سوى مولاه، فيزينه بانتفاء الجهولية والظلومية، لأنه لم يغتصب حق غيره، ولم يجهل نعم ربه، وهذا هو الإخلاص وصاحبه في دوام حيرة وخوف ـ حتى من خطر قلبه نه مؤاخذ عليها ـ وهذا معنى قوله ﴿ﷺ وآله﴾: ﴿والمخصلون على خطر عظيم﴾ من شدة شهود الحيرة والدهشة والخوف. وقال سيدنا أبو ذر: يارسول الله ما الإخلاص؟ فقال له: ﴿حتى أسأل جبريل، فسأل جبريل فقال حتى أسأل ميكائيل، فقال: حتى أسأل رب العزة، فسأل ربه تعالى عنه فقال: الإخلاص سرمن أسرارى أودعه قلب من

أشاء من عبادي﴾[1] فانظر أيها المتأمل قدر الإخلاص وشرفه ومقامه، وذقه من باب اليقين الثابت تكن من الصالحين، وقد سأل رجل رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ عن الإيمان فقال: ﴿هو الإخلاص﴾ وعن اليقين فقال: ﴿هو الصدق﴾ نسأل الله سبحانه وتعالى أن يمتعنا بالإخلاص والصدق آمين.

ب ـ الصدق

الصدق صفاء الظاهر من شهود المحسوسات قائمة بأعيانها، بل يشهدها نورا ظاهرة تشير إلى واحدية الحق، منطوية على الأسرار الصفاتية والأسمائية، ذائقا معنى تعلق صفاته المقدسة بذات الحق جل شأنه، فاهما تغير المظاهر بحسب التجليات، غير مرتب على الأسباب والتجارب، وغير مغتر بتصاريف الأحوال الوقتية من خير وشر، فإن الأسرار الإلهية خافية على غير بصير متأمل، ولذا كان الصدق مرتبة المؤمنين، ومن اغتر بحوادث الكون وجريانه؛ وتحول عن حاله بتصريفات الكون؛ بأن خاف أو عظم أو اهتم بأمر دنيوي أو أخروي غير ملاحظ في ذلك جانب الحق؛ فهو غير صادق. وهذا هو الصدق الظاهر، ولا يكون إلا عن باطن، والصدق الباطن هو صفاء الضمير ومحو ما فيه من شهود الصور الكونية، حتى تنطبع صورة الجمالات الحقية في لوح ضميره المحفوظ، وتنجلي مرآته، وتجلى له فيها حقائق جواهر البحر المسجور، مسطرة بمعاني الرق المنشور،

---

[1] هذا الحديث القدسي أورده الغزالي في " الإحياء " مرسلا كذلك أورده أبو القاسم القشيري في رسالته، انظر "الإحياء " جـ 4 ص 176.

وعند انتفاء كل غير باطنا، وإثبات الحق ظاهرا في الخلق مع التنزيه في دائرة: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[1] تكون خالصا صادقا.

3. الحكمة

أ. من هو الحكيم؟

الحكيم الذي أوتى الحكمة الروحانية؛ وأدرك حقائق العلوم الربانية؛ إنسان وسط متمكن، أمكن من جميع العلوم الكونية وغيرها تمكنا يجعله يداوي كل وارد بدواء يناسبه، حتى يكون مألوفا لكل إنسان وسطا لم يتطرف عن الجادة السمحاء، حتى يألفه من لم يكن من أهل المقامات ولا الأحوال بالنسبة لما هو عليه من علم خواص الأشياء ومنازلات النفوس، فيقابل كل فرد بما يناسبه، حتى قد يعشق عند من لا علم ولا ذوق ولا عمل لهم عشقا حقيقيا، ينتفعون به بتهذيب أخلاقهم وتطهير نفوسهم، ولذلك ترى جميع من يقابل الرجل يحبه؛ مالم يكن من الجاهلين الذين يعبدون الله على حرف، فمنهم المؤهل لنوال الحظوة بتلقي الحكمة، فهذا يسلك ويترقى ويتقرب، ويزداد إيمانا ووصولا. وأما غير المؤهل ممن في قلوبهم مرض؛ فهؤلاء لا يدوم إقبالهم إلا ريثما تقرع آذانهم فتنة أو دسيسة، فينقلبون على وجوههم، فهم الذين في قلوبهم مرض.

([1]) سورة النور آية 35.

ب ـ الحكمة الإلهية:

لا تكون بالمدارسة والاكتساب العملى، لأن الاكتساب العملي كالتجربة التي يكون الحكم بها ظنيا، ولكن الحكمة أن يكشف الله للعبد المراد مراده من كل شيء أنزله أو خلقه، حتى يعبر هذا الحكيم عن حقيقة ما انكشف له انكشافا حقيقيا، فتكون حكمته حكمة يقين صادق. ولكن تتفاوت النفوس في الانتفاع بالحكمة.

جـ ـ تفاوت النفوس في الانتفاع بالحكمة:

فمن النفوس نفوس الصديقين الذين عندما يشم أحدهم ريح الحكمة؛ تطيب نفوسهم وتطمئن قلوبهم، ولا يجعلون لها كفؤا يشغلهم عنها، وهؤلاء هم الذين سبقت لهم الحسنى، ويلحقهم في هذا أهل النفوس التي تطهرت وتصفت بالجهاد الصادق.

وأما نفوس أهل البعد؛ فإذا قابلت الحكمة صرفتها لغير ما قصد بها من العلم والعمل، ونوال الحظوة لدى الحق سبحانه وتعالى، والتخلق بأخلاق الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين. ويستعملون الحكمة في نوال ما يزول من المنزلة والشهرة، والعلو في الأرض بغير الحق، ومعارضة أولياء الله تعالى، والطعن على منهج السلف الصالح، والاستقلال بالفكر، والعجب بالرأي والهوى، قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا﴾(1) والله سبحانه وتعالى بسابقة

(1) سورة الأعراف آية 175.

الحسنى منح من منح الخير والإقبال، ورزق من رزق التوفيق بخير الأعمال. سبحانه لا يسأل عما يفعل. نسأله سبحانه وتعالى توفيقا للأعمال الصالحة، وأقبالا وقبولا من حضرته العلية، إنه مجيب الدعاء.

د. الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها:

القلوب أوعية الحق وخزائن الغيب، وعرش الرب الذي يستوى عليه برحمانيته وأجلها أجلاها، وأقربها أصفاها. فإذا صفت من داعيات الحظ وبواعث الشهوة وقوي الأمل وحظ البشرية وبواعث الإنسانية؛ تطهرت لطائفها، وأشرقت خزائنها بنور الباطن مستمدة من أنوار أسرار الظاهر، وأولت كل أثر أو معنى عبادة؛ لما يقتضيه صفاؤها المزين بجمال شهود ﴿أَلَسْتُ﴾[1] عند سماع الخطاب، وشهود الجمال المطلق. إذ اللفظ من حيث هو دال على معنى ما من المعاني المتحليه للسماع المشتهاة له، كما يتخيل للخائف أن كل شبح يراه من بعد هو الحقيقة المفزعة له، وكما يتخيل للمشتاق أن كل صورة يراها من بعد هي الذات المحبوبة له، لفراغ القلب مما سوى ذلك. فكذلك القلب المتطهر من دنس الهوى والحظ، المستحضر لعظمة وجمالات الحق؛ يطمئن بكل إشارة وعبارة تشير أو تومي إلى جمالات الحق سبحانه وتعالى. لأن اللفظ من حيث هو: دال، وعند ذكره يستحضر المدلول عليه استحضارا يذوق به القلب لذة الأنس بشهوده، لشدة فراغه من سواه.

([1]) يشير الإمام رضوان الله عليه إلى قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ} سورة الأعراف (172)

ولذلك فأهل الخصوصية مع الحق سبحانه؛ ضالتهم المشنودة الحكمة من أي مصدر كانت، ولأى إنسان نسبت، إذ مرادهم الأنس بالله تعالى، بما يقوى حضورهم معه سبحانه. ولذلك فقلوبهم هي الحاكم الشرعى الذي حكم به صاحب الشريعة ﴿ﷺ وآله﴾ علينا باتباعها، كما قال ﴿ﷺ وآله﴾: ﴿استفت قلبك ولو أفتاك المفتون﴾[1] فجعل حكم القلب شرعا يحكم على حكم المفتي، لأنه مشرق شمس العلم الرباني. وعلى هذا فكل حديث ورد عن السيد﴿ﷺ وآله﴾ وسمعه صاحب القلب؛ حكم عليه بما يحكم به القلب. وغير صاحب القلب إذا أورد عليه الحديث بحث عن راويه وعمن رواه، وبحث في رتبتهم، فجرح من شاء من الرواة، وعدل من شاء، لأن قلبه ليس حاكما، بل الحاكم لسانه وسمعه. وروينا: من بلغه عن الله فضيلة أو عن رسوله ﴿ﷺ وآله﴾ وعمل بها أعطاه الله ثواب ذلك وإن لم يكن ما قيل. قال ﴿ﷺ وآله﴾: ﴿ما روي عني عني حقا فأنا أقوله وإن لم أكن قلته. وما روي باطلا فإني لا أقول بالباطل﴾. يهذا تحقق أن القلب المطهر من داعيات الحظ والهوى يتلقى عن الله تعالى وعن رسوله ﴿ﷺ وآله﴾، ويذوق حلاوة عبارة النبي ﴿ﷺ وآله﴾، فمتى سمع كلاما له ﴿ﷺ وآله﴾ أشرق نور معناه على سريرة القلب المشرق، فعلم مراده ﴿ﷺ وآله﴾، لا يهمه أن يكون سنده قويا أو ضعيفا أوموضوعا أو مقطوعا أو غريبا، بل يسأل قلبه ويستفتيه ويحكم بحكمه.

---

(1) هذا الحديث أورده السيوطي بلفظ:" استفت نفسك وإن أفتاك المفتون" وقال رواه أحمد والطبراني وأبو نعيم انظر الجامع الصغير ج 1 ص 129.

ولكن أهل الإعراض والحظوظ السافة الدنيوية؛ إذا سمعوا حديثا يحث على مكرمة أو فضيلة، وذهد في الدنيا أو تواضع، أو تباعد عن الشهرة والسمعة، أو جهاد للنفس وخلوة مع الله تعالى، أنكرته أغراضهم وسعوا في سقوط راويه، وضعفوا فيه وجرحوه، وما أدرى يوم القيامة إذا وقفوا بين يدي الله تعالى، ونادهم: علام قذفتم سلفكم وسفهتم سابقيكم بإيمان؟ وانتقم من الظالم للمظلوم، وآخذهم على ضلال العامة بالتباعد عن عمل البر والسعي في فعل الخير، والتمسك بالرشاد، نسأل الله تعالى السلامة والعافية.

إذا يلزم المؤمن الكامل أن يطلب الحكمة، ولا ينقصها تساهل حاملها بها، أو أن يكون حاملها ليس من أهلها. فلو فرضنا أن المسفه بعض رواة الحديث لو ظفر بدينار في مرحاض فحاول تناوله ولو بسقوطه عليه في المرحاض؛ فالحكمة أولى بالتناول، لعلو قيمتها، ولأنها داعية النجاة في الدنيا والآخرة من الدنيا، ولكن خص مولاك فضله برجال، وشوقهم إلى الحكمة فطلبوها ووجدوها، يختص بفضله من يشاء.

4. الإقبال والقبول

العوالم كلها قائمة بقيومية الحق، والشئون الكائنة هي صورة حقائق المشيئة، ومعاني تخصيص الإرادة، وأسرار حيطة العلم، فما من كائن في الوجود إلا وقد أحاط به العلم، وخصصته الإرادة، ونجزته القدرة، وصدر عن المشيئة. ونسب القرب والعبد والرضا والغضب والهداية والضلالة؛ إنما هي بالنسبة لك لا بالنسبة للحق جلت قدرته، فهي متفاوته في عينك لتأثرك باختلاف تلك المعاني، وهو تعالى منزه عن التأثير والتأثر علي أن يكون في كونه ما لا يريد، أو يحدث فيه ما لا يشاء، بل الكل بمراده ومشيئته كائن، وعن حضرة علمه صادر، أحاط بكل شيء علما، وأحصى كل شيء عددا.

إذا تقرر هذا فما اقامك إقامة؛ أو عاملك معاملة؛ أو واجهك مواجهة؛ أو قربك إليه أو أدناك منه؛ إلا وقد قام كل ذلك بقيوميته، وكان بمحض مشيئته، وهو سبحانه يقرب العبد لقربه سبحانه منه، ويقيمه مقام محبوب محب لحبه، ويلهمه الدعاء لأنه دعاه، ويوفقه لما يحب لأنه أحبه، ويكاشفه بجمالاته لأنه كشف عنه حجابه، ومنحه عيون فضله. ويبعد المبعود لأنه بعد عنه، ويقيمنه فيما يكره لأنه كرهه، ويحرمه من مشاهدة جماله لأنه احتجب عنه.

وهو هو الله سبحانه وتعالى، الرضا صفة من صفاته، والغضب صفة من صفاته، وهو سبحانه وتعالى في حالة الرضا هوهو بعينه في حالة الغضب، وهو هو سبحانه وتعالى في حالة القرب ممن يحبه؛ كهو سبحانه وتعالى في حالة البعد ممن

كره. إلا أن معاني الرضا من القرب والحب والهداية والتوفيق والرأفة والحنانة؛ معان بها نعيم المخصوص بها، وسعادة المطلوب لها. ومعاني الغضب من البعد والضلالة والذل والقهر والجبروت والنقمة؛ معان توجب الشقاء والآلام لمن تعلقت به، حكمة خفيت. وهي هي الأسماء والصفات، فالمضل هو عين الهادى، والقاهر هو عين اللطيف الرءوف. فهو سبحانه على ما هو عليه، وللأسماء مقتضيات: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾[1]

فأهل الهداية: جملهم بأخلاقه، وأسعدهم بوداده، وأشهدهم على جماله، وواجههم بجميل وجهه. وأهل الضلالة: عاملهم بقهره، وواجههم بانتقامه، ومدهم بجبروته، وتنزل لهم بشديد البطش القوي المذل المضل القهار المنتقم، فكان ظهوره بمقتضيات تلك الأسماء بالنسبة لذاته الأحدية؛ هو عين ظهوره بمقتضيات الأسماء الجمالية. وكما أن الاسم الرءوف الرحيم المنعم المتفضل له بهجة بطهور مقتضياته؛ فكذلك الأسماء الجلالية. وهذا هو الكمال.

فإذا قابلك بجماله فقابله بجمالك. وجمالك الذل والخشوع والفقر والمسكنة والاضطرار والجهل والتوبة والندم والإنابة، حتى يكون في عينك جميلا، وتكون في عينه جميلا، فيرى الجميل الجميل، لأن الجمال المناسب لك غير الجمال المناسب له. فهو سبحانه وتعالى يحب أن يرى منك صفاتك التي بها أنت عبد له، كما أنك تحب أن ترى منه المعاني التي بها هو رب لك.وإذا تنزل لك وهو الغنى عنك

([1]) سورة هود آية 15

العلى الكبير فتنزل أنت له بالأولى إلى رتبة مني ومن رتبة مني إلى رتبة طين، ومن رتبة طين إلى رتبة عدم، فإنه إذا تجمل لك وقابلك في أي رتبة من رتب جمالك؛ وطور من أطوارك؛ جملك بجمال فيها بقدرها، فإذا قابلته بآدميتك؛ أمدك بما به تأكل وتشرب وتتلذذ، مما هو لازم للآدمية. وإذا تنزلت له إلى طور المنى أبدلك بسمعك سمعا، وببصرك بصرا، وبذوقك ذوقا، وبلمسك لمسا، وأبدل جميع معانيك. وإذا تنزلت إلى طور الطين؛ صورك بيده، ونفخ فيك من روح قدسه، وأسجد لك ملائكته. وإذا تزلت إلى طور العدم جملك بكل أسمائه، وجعلك أفقا لشروق شمس صفاته، وإلا فعجبا يتنزل لك وهو الغنى، وأنت لا تتنزل لجنابه العلي، وأنت الفقير!! يتقرب منك وهو العلى، ولا تتقرب منه وأنت الضعيف!! على ذلك فالشكر لازمك، والحمد عبادتك، ويقظة القلب مرادك، وشغل فكرك سراجك. نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا ممن أقبل عليهم، وأقبل بهم عليه، وقابلهم وأقامهم فقابلوه، وأن يزكي نفوسنا، ويجمل أخلاقنا، ويحفظنا مما يشغلنا عنه سبحانه، ويلهمنا التوبة عند كل صغيرة وكبيرة، ويحصننا من الفتن والحظوظ والأهواء، إنه مجيب الدعاء.

5. الاتباع والابتدع

أ. الاتباع:

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ﴾[1] عندما تزول حجب الجهالة والظلم والظلمة عن الإنسان الكلي الفارق، تفوح عليه نسمات روض التسلم فيسلم بالقول، وعند إسلامه يبشر بسلامتة من المؤذيات الحسية دنيا وأخرى، ومتى انشرح صدره للإسلام بين له نور اسم الرب المحيط بالنعيم المقيم والعقاب الشديد، فيميل إلى طلب الجمالات وينفر من غيرها، فيكلف بالطاعات المؤدية إلى إطاعة أمر المعطى لهذا النعيم، فلتوح له من سماع الأوامر أنوار مُحَّدية، تزين ظاهره بالأخلاق المرضية، مع ملاحظة نسبة العمل إليه. وفي هذا المقام يحصل له الاعتقاد الجازم، وهو مقام الإيمان، قال ﴿ﷺ وآله﴾: ﴿المؤمن من سرته حسنته وأساءته سيئته﴾[2] وتبدو له لمعات البد رمن وراء حجاب النسبة، فيفاض عليه نور من ظاهر تلك الطاعات والأخلاق، يدفعه إلى شم طيب باطنه، فتنتعش روحه وتقوى في استحضار معاني تلك الأعمال، وهيئة مبانيها، ونسبتها إيه، حتى يذوق حلاوة انفراد الحق بالواحدية، فيتوب في كل يوم سبعين مرة من تلك النسبة الباطلة، ويتشوق إلى التعرف بمصدره حتى يتحقق بصحةالاتباع في الأعمال والأقوال والأحوان فيظهر له بدر التشريع منير لأفق معالمه، وتنفجر عين حقائق

([1]) سورة آل عمران آية 31.

([2]) هذا الحديث رواه الطبراني عن أبي موسى الأشعري بلفظ " من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن" وهو حديث حسن.

الشريعة من فؤاده، فيفنى في شهود انعدامه بوجود موجده، ويؤوب إليه متبعا جميع ما كان عليه السيد الأكمل رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ بحيث لا يلتفت قدر خردلة عن الاتباع من قول وفعل وحال، وبذلك لا يغيب عنه ﴿ﷺ وآله﴾ طرفة عين، بل يراه ساريا في كل الأشباح والأرواح ويلهمهم الصواب في جميع شؤنهم، ولديها يتحقق بمحبة الله تعالى، ويسعد بحب الله له، وهذا مقام الإحسان.

ولا يكون الاتباع كاملا إلا عند أهل هذا المقام، وفي كل مقام من المقامات السابقة يكون صاحبه متبعا حقيقا بحسب رتبته، وإن خالف من فوقه من أصحاب المقامات العالية ولا يمكن أن يخالفوا من قبلهم في قول أو عمل، لأن الأقوال والأعمال في كل المراتب لا تتفاوت، والأحوال والاعتقادات هي التي تفاوت فيلزم أن تسلم لأهلها حتى يذوق الإنسان حلاوتها من مراتبها , ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾[1] وهذا هو الاتباع الحقيقي

ب – الابتداع:

والابتداع عبارة عن انسدال ستارة الحس على الشعة أنوار الروح التي شهدت وقالت بلى، فتميل تحت ناموس القوى الحسية، وتنصبغ بصبغتها، وتجول في تلك المحسوسات عما فيها من الأسرار الربانية التي أشهدها لهاربها في مقام(ألست) فتختلف عليها المشارب، وتمزج منها الأنوار بظلمات تلك الحجب، فترى انكسار أشعة الواحدية تعددا، وتنزهطلاسم الأحدية تشبها، ومظاهر

([1]) سورة البقرة آية 15.

الوحدانية غيرا، وتتبع الهوى وتتخذه إلها وتنأى عن العهود المأخوذة ﴿أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾[1] ومتى تسلطت تلك المحسوسات أظلم أفق التشريع، وفهم خلاف ما أراده الشارع، ويستنتج من الأحكام الشرعية أحكاما بدعية ضلالية، ليجعلها الصراط المستقيم، فتارة يبيح المحرم ويحرم المباح. وهكذا تتولى عليه الخيالات والأوهام حتى يصل ويضل، ويتساهل بالواجبات الشرعية الشريفة، ولديها يكون شبيها بإبليس رأس الغواة. نسأل الله تعالى أن يحصننا بحصن الشريعة، ويطهر قلوبنا باتباع أسراره النبوية، إنه قريب مجيب.

6. المشاهد والمقيد

إذا صفت حضرة الفكر بعد الرياضة بالذكر؛ انبلجت في تلك الحضرة أسرار الكائنات، مشرقة عما به من الآيات، وسرى الفكر من كون إلى آية، بقيد الاستحضار، وفقه معاني تلك الشمائل، وفي هذا المقام ينشط المفكر بحسب ظهور معاني المقتضيات من مكان وزمان، فتراه يشهد في مكان خاص مشهدا يسوقه إلى الدعاء والابتهال والتقرب بنوافل البر، ويشهد في مكان آخر مشهدا ينسيه التقرب ويسليه عن التودد.

مثال ذلك من الأمكنة المقيدة كالكعبة، والمسجد النبوي الشريف، وبيت المقدس، ومقابر الصالحين من الأنبياء والصديقين والأولياء المقربين.

([1]) سورة الأعراف آية 172.

وفي الأمكنة الأخرى كالأسواق ومجالس اللهو ومجامع الغفلة,ويكون ذلك التقيد بالأزمنة أيضا، مثال ذلك كشهر رمضان، والليالي المرجو فيها الخير فترى النشاط والهمة يقويان على عمل البر والقربات، فإا انصرفت تلك الأوقات، وانقضت تلك اللحظات، فترت تلك الهمة، وكسلت تلك العزيمه، ذلك لأن العمل من مقيد بدائرة فكره، مقهور بحيطته التي تحيط به من زمان ومكان، ولم يتجاوز عالم الفكر، ولم يتعد حيطة الكائنات.

أما أهل المشاهدات الذين ترقوا عن تكلف واستحضار بالفكر في معاني الكائنات، والبحث في خواص اللحظات، فإنهم وقعت بهم عين ـ بكمال التسليم ـ على نور الحق المجلو في الخلق، وسر القيومية التي قامت بها العوالم، فوقع بهم العلم على حقيقة اطمأن بها القلوب، سر تجلى الأسماء وتنزلها، وانبلاج أنوار الصفات وإطلاقها، فكان المشهود لأعين رؤوسهم كونا مجملا بآيات، والمشهود لقلوبهم حقا قامت به الكائنات، فتمكنت الخشية من أفئدتهم، والخوف في قلوبهم، فهم مع الله لا يغيب عنهم في كل زمان وفي كل مكان، لا يخصصون مكانا بعمل دون مكان، ولا زمانا بعمل دون زمان، إلا ما خصصه به ربهم، وأوجبه فيه خالقهم.

ولذلك ترى عزائمهم في جد، وهممهم في نشاط، لأن الخشية التي في قلوبهم عن معاني العظموت والكبرياء، والخوف الذي في قلوبهم عن معاني الربوبية المنزلة بالخير والإنعام والإيجاد والإمداد، فكان الخوف موجبا لدخولهم في جنتى الأنس والتلذذ في مقامات الإطلاق، والخشية داعية بمزيد العلم والفقه، والتقرب إلى

ذي الجلال والإكرام، ولا تكون الخشية والخوف إلا عن علم وقع بالسالك على الحق اليقين كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء﴾[1] وهؤلاء لم تكن الأمكنة والأزمنة مقصودتين لهم، ولا معظمتين في قلوبهم، إنما المقصود ربهم، والمعظم أمره وحكمه، فإذا خرجوا من الزمان المخصوص بحكم ما، والمكان المخصوص بأمر ما كانوا مع الله بلا كون، لأنه كان ولا كون، وإنما التقيد بالأزمنة والأمكنة لمقتضى الرتبة الكونية الإنسانية. وأما مقام معاملة القلوب لعلام الغيوب؛ فهي معامل لذاته الأحدية، صادرة عن إخلاص الطوية وحسن النية.

وأهل التقيد المعظم عندهم المكان والزمان، والمقصود لديهم ما اختصب به الأمكنة والأزمنة، لغفلتهم عن الله، وجهلهم به سبحانه، فانظر إلى سر قول عائشة عن رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾: "كان النبي لا يزيد في رمضان عن ثلاث عشر ركعة، ولا في غيره" لأن المعظم في قلبه ﴿ﷺ وآله﴾ ربه وهو سبحانه وتعالى معه وعنده، ومعاملته له ﴿ﷺ وآله﴾ بقدر مقامه المحمدي، وكذلك أهل الميراث المحمدي ممن لم تحجبهم الآيات، ولا تبعدهم الكائنات، نزهوا ربهم سبحانه وتعالى عن أن يعظموا غيره، أو ينشطوا له في وقت دون وقت، أو مكان دون مكان، إلا بما أمر وحكم، فلا يكون التعظيم للمكان إنما يكون للحاكم الآمر سبحانه وتعالى.

والواجب على أهل مقام التمكين ومنازلة المواجهة؛ أن يسيروا مع أهل مقام التقييد بما يناسبهم، تنشيطا لهممهم، وإعلاء لعزائمهم، حتى لا يفوتهم الفضل

([1]) سورة فاطر آية 28.

في كل زمان ومكان، قرب نشاط بمكان خاص وزمان خاص أيقظ القلب فقرب، ورب ذكر مع سهو عن المذكور ونسيان لمكانته اشتد فأنسى الذاكر عن شهود نفسه، وقذف به إلى مرابض أنسه. وإنما المذموم غفلة القلب واللسان واحتجاب الجسد والجنان، وإن نفسا من أهل القرب في مشاهدات عن الحي خير من عمل العباد والزهاد سنين طوال. ولكنهم لخوفهم أن تتولى الغفلة عليهم ظاهرا وبطانا يعملون بأبدانهم تنشيطا لهم، ومحافظة عليهم، وليس لأهل الإطلاق معارضة لغيرهم، لأنهم مذاقوا حلاوة التقييد، ولذة الإطلاق، وإن عارضهم أهل التقييد كان لهم العذر، وعلى أهل المقام الملام إذا ظهورا بغير ما يناسب الحال؛ خشية من وقوع المقيدين في اللبس، خصوصا إذا كان قدوة متبعا أو إماما محببا.

أ . الإطلاق والتقييد:

سرادقات الغيب المصون عن العقول حيطة عزة جلالية، وقفت النفوس عن اقتباس سواطع أنوارها، أو المكنة من إدراك ظواهرها على حقيقة ما هي عليه، وسورها مضروب بين صور الكائنات وخفي الآيات، وقد عجز العقل أن يكشف باليقين خواص المحسوسات، أو أن يستخدم جميع ما سخر للإنسان من الفوائد الظاهرة في أجسام الآثار، حتى إن الإنسان منذ النشأة الأولى وهو كل يوم تنكشف له من أسرار الحكمة، وتلوح عليه من أنوار المعارف ما لم يكن يتخيله قبل، ودليل ذلك قاطع، وما بين أيدينا من المخترعات والمحدثات من الفوائد الجمة التي عادت على الإنسان بالخيرات والبركات، فلا يدخل تحت الحصر، ولن يزال الإنسان يجهل من خواص الكون المستورة بستائر الجهل، أو الخافية تحت ستار

الغفلة، ما لو ظهر له لتمكن من هناءة العيش وسعة الفكر، فإذا كانت الظواهر المحسوسة المسخرة، لا تزال تجهل خواصها، وتجهل حقائقها، فكيف بما أودع فيها من حكمة الحكيم وأسرار المبدع الكريم؟.

ولكن شغل الإنسان بكشف الأسرار التي بها راحته وسعادته في الدار الدنيا . إذا لم يكن مشفوعا بنظر وفكر في حكمة المبدع وأسرارالموجد سبحانه؛ وكشف آياته؛ وعلم قدرته وتدبيره وإرادته . كان العامل كأنه آلة مسخرة لغيره، لا تنتفع بما تعمل، بل كان أقل من الحيوان الأعجم، والمداد النافع، والسراج الذي يضيء للخلق وهو يحترق.

ولذا فعلى الإنسان أن يتقيد أولا بعلم الواجب عليه شرعا، ويقف حتى تنفتح له الأبواب التي يلج منها إلى سبيل الحق، فإذا فتحت له تلك الأبواب بعد الرياضة النفسية، والتحقق من علم المبدأ والمعاد، والتحقق من معرفة نفسه ومعرفة ربه، قام عاملا في شأنه الذي به يكن خليفة عن المبدع سبحانه؛ الخالق ﷻ، فيكشف أسرار الحكمة، وينفع بكل الفوائد المندمجة في تلك الآثار التي سخرها الحق سبحانه له، فيفوز بحلل الخلافة في الدنيا، وجمال الولاية فيها، وأكبر الرضوان في الآخرة، ويكون عاملا نافعا لنفسه وللخلق أجمعين، ولديها يكون في مقام الإطلاق، محفوظا من سلطان الشيطان في حصون ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم

مُّهْتَدُونَ﴾[1] ولا يكون الإطلاق إلا في مشاهدات الآيات، وكشف الأسرار بعين اليقين المشاهدة للأنوار.

والإطلاق ثمرة التقييد بالحصون، والوقوف عند الحدود ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء﴾[2] وبه يكون العامل هو العالم كله، انطوى فيه الكون، وكوشف بأسرار الغيوب بعد مواجهة علام الغيوب: ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء﴾[3] وليس العامل الذي ينقد أجر عمله قد أحسن العمل، إنما المحسن الذي يعمل لمولاه لأنه عبده، وهو سبحانه أوجده من العدم ووالاه ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾[4].

ومتى فتحت له أبواب الإطلاق كان العامل فرحا بفضل الله، يبتغي بعمله رضاه، ومن غفل عن هذا المقام فقد أخلد إلى الأرض، ورضي بالحياة الدنيا واطمأن بها. فكن عاملا لله محافظا على حدوده، واقفا عند أوامره، متبعا شريعة نبيه ﴿ﷺ وآله﴾ تنل فضله ورضوانه.

([1]) سورة الأنعام آية 82.

([2]) سورة المائدة آية 54.

([3]) سورة البقرة آية 255.

([4]) سورة يونس آية 26.

ب . أهل الإطلاق وأهل التقييد:

ولأهل الإطلاق من المشاهد العلية؛ والأنوار البهية ما لايمكن التعبير عنه بعبارة، ولا التلميح عنه بإشارة، ولكنه يدرك بالذوق ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾(1).

فأهل التقييد صرفوا أوقاتهم في مشاهدة الآيات، والأنس بالخصوصيات في الكائنات، فتراهم يأنسون بالمكان الخاصيته دون المكون، ويفرحون بالزمان لمزيته دون بديع السموات والأرض.

وأهل الإطلاق حنينهم إلى ربهم، وأنسهم به، ولذتهم في القيام بتأدية أوامره، والتباعد عن مواطن معصيته وموارد مخالفته. فالأول دعتهم إليه الخشية، والثانى دعاهم إليه الخوف، ولا تنفك خشيتهم التي عمرت بها قلوبهم بمشاهدة حبيبهم، ولا خوفهم الذي لانت به أبدانهم على تأدية أحكامه، فأبدانهم هينة لينة بالطاعة والقربات، وقلوبهم عامرة بتنزل الأسماء والصفات.

وأهل التقييد الأبرار، وأهل الإطلاق المقربون، ولكل مشهد بقدرعلمه، ومشرب بقدر شهوده ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾(2) وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم آمين.

---

(1) سورة الصافات آية 164.

(2) سورة الجمعة آية 4.

7. الواجد والمتكلف

إن الله سبحانه وتعالى خلق لنا ما في الأرض جميعا، وخلقنا له، فوهبنا ما به القيام بما خلق لنا من حسن التدبير والرعاية، ومعرفة الخواص والمنافع، مما به أهلنا لحسن رعاية جميع ذلك بالفطرة، وجعل ما وهبه لنا سبحانه وتعالى من القوي الفكرية واللطائف العقلية ـ التي بها كان امتيازنا واستعدادنا للقيام بما استخلقنا فيه ـ سراجا تشرق أنواره، فتكشف لنا ما خصصنا به من الفضل الذي لم نر أنفسنا أهلا له إلا بعناية منعم علي، وولاية معط وهاب على علوا كبيرا عن التشبيه والعلة والغرض في جميع أفعاله، وكما أنه سبحانه خلقنا له، وخلق لنا ما في الأرض وما في السموات، وخلق لنا ما به استعمال ما خلق لنا في جلب المنفعة ودفع المضرة، وكل ذلك بمحض فضله تقدست ذاته، ثم جعل لنا هذا السراج الذي به تحققنا العجز عن إيجاد أي شيء مما هو تحت نظرنا، وما في ذلك مما خفي عنا بنفسه أوبنا، ونتج من هذا التحقق أن للجميع خالقا، لم تبلغ القوة الموهوبة لن أن تتجاوز هذا اليقين، لأنه مقام ليس لها قدرة على الحكم عليه، فتفضل ـ وهو المنعم المتفضل ـ وبين لنا ما هو عليه سبحانه وتعالى، مما يجب علينا أن نتحقق به بقدرنا.

ومن أكمل تفضله أن وضح ذلك على لسان أفراد مصطفين من نوعنا إتماما على ما أنعم، لعلمه سبحانه أننا نعجز عن إدراك أنواره إلا بمعونته سبحانه، وكيف أوجد ما به كنا وما به حفظنا بعد الإيجاد به سبحانه وتعالى، كان ولا يزال يفيض نعمتي الإيجاد والإمداد. وكما أنه سبحانه وتعالى هو الخالق، المحدث لجميع ذلك، فهو سبحانه وتعالى واهب التوفيق والهداية، والمقدر الضلال والغواية، فمن

وفقهم من خيرة عباده؛ كشف لهم أسرار الكون حتى علموا أنه مضى عليه دور كنا فيه عدما، لم نكن شيئا مذكورا، فتحققوا بنسبه، وتشوقوا إلى معرفة هذا المنعم العظيم الكبير الكريم الحليم، وتحققوا أنه لا سبيل إلى العلم بجنابه العلي إلا بفضله وإحسانه، فما دعاهم داعيه إلا ولبوا بأرواحهم وأبدانهم وما دون ذلك، باعتقاد وانقياد وتسليم، لا ببحث ونظر وانتقاد وتنقيب، لتحققهم أنه معلوم لا تحوم العقول حول فنائه، وعلى أن تحول الأوهام في أسرار مبدعاته، ومنزه عن أن يستحضر للأفكار بمثيل أو شبيه أو قرين أو ند، فما بقى إلا أن يعلمنا بنفسه سبحانه.

فكان الداعي إليه ضالة المحبوبين لذاته، ونهاية بغية المطلوبين لحضرته أن تحن أرواحهم إلى الاستشراف إلى كشف أسرار آياته، وتهيم نفوسهم، فتلقوا العلم به وأحكامه بيقين فاق عن الشهود قوة، وطمأنينية قلب رفعت عن الوجود تحققا، فكان شغلهم به سبحانه وتعالى فكرا وذكرا ورهبة وحضورا وولها وخشية ورغبة، حتى بلغ بهم الوجد الصادق إلى أن صار الغيب لهم شهودا، والخفاء معالم بين أعينهم، بعد تحققهم بالعجز بهم أن يقدروه قدره، وتيقنهم بضعف كل محدث أن يكون أهلا ليقدره قدره، فعلموا منه سبحانه به جل قدرته ما به صاروا متنعمين بنعيم الأنس بالحضور معه، ولذة المعاينة لمعيته سبحانه وتعالى ولهم.

هذا شأن الواجد، لسانه بمولاه ناطق، وعينه بنوره لنوره تشاهد، وأذنه لسمعه لكلامه تصغى، وقلبه بما طهره به بيته المعمور بعظمته وكبريائه وجلاله،

فبالحق عن الحق ينطق. والمتكلف في ظلمات الكون بالقوة التي لا تتعدى الكون بل لا تقوى على كشف سر من أسراره، يرمي بنفسه باحثا منقبا عمن عز أن ينال إلا به سبحانه، وتعالى أن يدرك إلا بنوره، فيثبت تارة، وينفي أخرى، وينكر آونة، ويسلم أخرى، حتى يدعوه الحظ والعناد ـ لمخالفته ـ أنه على الحق، ويزين له هواه وشيطانه أنه يحسن عملا، والله ورسوله بريئان من المتكلفين.

الفصل الثالث

مشاهدات الرجال

1. مشهد التوحيد للواحد:

تتفاوت مقامات المشاهدين بالنسبة للمشهود والشاهد. فإذا أشرقت أنوار التوحيد بمعاني ظهور الواحد؛ فالمشاهد جامع يشهد بالتوحيد من تمكين واحد، حتى يشهد في نسفه بحقيقة ما هو شاهد، حتى يكون بكمال حاله ممحوا في نفسه بالظاهر فيه، غائبا عنه بالمتجلى له، وهو مشهد ما يشهده الأفراد بعد كمال مقاماتهم، وصاحب هذا المشهد يكون له من التأثير والتصريف ما ليس للفرد المتمكن، ولكنه إمداد من المتمكن، وإكرام من الله لذاته، وهو فان عن تلك المراتب والمقامات، ودليل ذلك قول سليمان: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا﴾[1] قال صاحب مشهد التوحيد للواحد الذي عنده علم من الكتاب: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾[2] فكان هذا الحال إكراما من الله لصاحب مقام التمكين، ظهر على يد واجد ذي حال عن عين يين. ومثال ذلك ما حصل لمريم وزكريا عليهما السلام لما رأى عندها الرزق، وهي صديقة وهو رسول. وحادثة موسى عليه السلام والخضر، فانظر إلى الذي عنده علم من الكتاب، والذي آتيناه من لدنا علما، وتأثير مشاهداتهما أمام الرسولين عليهما الصلاة والسلام. والمثل كثيرة منها: حادثة أبي بكر ﷺ عندما قال لرسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ وهو يدعو على

([1]) سورة النمل آية 38.

([2]) سورة النمل آية 4.

الكفـار: حسـبك يارسـول الله إن الله وعـدك النصـر. فانشـرح صـدر رسـول الله بكلامه. وما حصل بين الحسن البصرى وتلميذه حبيب العجمي، لما أخفاه عنده وأقسم بالله أنه ليس عندي، ودخل الشرطة ففتشوا عليه فلم يجدوه في المنزل، فسئل حبيب عن ذلك فقال: هو عند الله ليس عندي. وصاحب هذا المشهد له ما يشاء عند ربه بكن.

2. مشاهدة التوحيد بالتوحيد:

فهي مشاهدة عن كمال عين اليقين بظهور التمييز بين الخلق والخالق، وقوام الكل به سبحانه وتعالى، فيكون هو الظاهر به لهم، فيشهدون أنفسهم به وفيه، فتكون أنوار الأحدية مشرقة على لطائف قلوبهم، فتثبت حقيقتهم، وتنمحي مشيئتهم وإرادتهم ومراداتهم توكلا على الفاعل المختار، والمدبر المريد، فتكون لذاتهم وأنسهم وبسطهم استحضار الكبير المتعال العلى العظيم، مطلقا في مشيئته وإرادته، لا يسأل عما يفعل، عن مقام علم بالعجز عن الإدراك، وفقه لمعانى الصفات، فتكون الخشية حالا عن مقام حق اليقين خشية ذات أحدية، ومكانة صمدية. وهذا مجمل من مشاهدة التوحيد بالتوحيد، وفيها يكون الأنس بالعبودية حالا عن مقام تمكين، حتى يترقى عن متوحد بواحد، وعن مشاهدات عن سر الأحدية، على بوارق عظموت، ولوامع رهبوت، تحترق من سنا أشعة أنوارها الأرواح، وتضمحل بكبرياء عزة جلالها الخيالات، وتصعق من أضواء سبحات وجهها النوس والعقول والأشباح. لديها يزول الظهور الظاهر والتشبيه والتنزيه، ويلوح نور الغيب يشير بعد المحو والغناء والصعق والعجز والجهل والعدم، باتحاد لا بكيف

وكم، أو بإدراك وفهم، ثم تتميز مراتب الوجود، وتظهر كل مرتبة بقسطها علوا ونزولا، فيتجمل بحلل العبد المتمكن في مقام عبد، وله من المشاهد ما لا تفي به العبارة ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[1].

3. الرؤيا والشهود:

إن أدوار السير في منهج الوصول دائرة بين جمع ماح للآثار، وفرق أشرقت به شموس الأسرار، وحكم التنزيه في الفرق أمكن، والتشبيه في الجمع آمن. ولما كان التنزيه مقام الفارق، والرؤيا بعيون الضمير والبصرة كشفا لكمالات الجمال والجلال اللائقان للحضرة المشرفة، ومعلوم أن أولى العزم من أكمل أهل تلك المقامات، يلوح من طلب الكليم صلاة الله وسلامه على نبينا وعليه، أن الرؤيا المناسبة لمقام الحق؛ المحفوظة بكمال التزيه والتقديس عن الكم والكيف والحد؛ متفضل بها على كل متمكن الرق. والحق لا يجب عليه بالنسبة لعبيده شيء، فقد يثبت أمر لعبد ويتأهل له والحق لا يكشفه له، ولو طلب العبد ذلك الأمر الذي ظهر له بكمال علمه أنه من أهله. وقد يكشف الحق كل أمر تأهل له العبد بدون طلب من العبد، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وإذا فالرؤية التي تليق بمكانة الحق سبحانه بالنسبة لأكمل عبيده المخصوصين بالتفضل والقرب جائزه عند كمال الفرق، ولذلك فالسيد الكامل الأكمل صلوات الله وسلامه عليه تفضل الحق علوا لمقامه على جميع الرسل

([1]) سورة الجمعة آية 4.

صلوات الله عليهم، وأراه حقائق كمالاته التي أهله ﷺ وآله﴾ لرؤيتها، وطلبه إكراما لعلي مقامه لذلك، بما يليق بالطالب والمطلوب من العظمة. والرؤيا تقصر العبارة عنها، وقد يرى الوارث لهذا السيد الأكمل صلوات الله وسلامه عليه من الجمالات الربانية؛ ما هو مؤهل له من حيث عناية الحق به بما يليق بمقام ذلك الوارث بالنسبة له.

أما مقام الجمع وهو رتبة السلوك ففيه أسرار التجليات الشهودية، والشهود هنا عبارة عن دوام استحضار الأسماء الربانية، والنعوت القدسية في معاليم المشاهد الكونية، بمعنى أن تنمحي عنه ظلال الآثار الحاجبة بنور الأسرار، فيشهد من كل أثر نور المؤثر، شهودا يجعل الشاهد حاضرا في معية الحق، مشاهدا لأنوار التجليات. والشهود مقام السالكين، وقد يكشف الملكلوت الأعلى لأولى القرب من كمل الأولياء.

4. المشاهدة الكونية:

لا تنكشف قيود الحس الناسوتية عن النفس الملكية انكشافا يفيد الشهود العيني والرؤيا الحقية لذي هيكل آدمي إلا بتجرد عن تلك النسب، وتخل عن كل لوازمها الإنسانية، الذي هو عين المجال في عين الواقف لما يلزم عليه من الجمع بين النقيضين، وشهود الضدين. ولو تبصر السالك تلك المسالك؛ لتحقق أن هذا الانكشاف ليس إلا لمحات قدسية، ولحظات ملكية، تلاعبت بالقوى الآدمية، وتمايلت بالصفات الخلقية، حتى انمحت قيود النسبة في العين البصيرية، وانسلبت

أفياء الوجه في العين البصيرية، فانطلقت الوجه وعم النور، فأشرقت كل الوجه شمسا ملأت أرجاء الوجه التقييدية بدون نسبة عقلية، ولا تناسب مادي، فلاح النور للنور بالنور، فشهد الظهور الظاهر، والظاهر الباطن ,وليست المشاهد كما تتصور، أو على الكيف الذي يتوهم، فسبحان من تنزه في ذاته وأسمائه وصفاته عن أن يحيط به عقل، أو يدركه وهم، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا. وصلى الله على سيدنا مُحَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

5. المشاهدة الملكوتية:

نعم، إذا انجاب غمام الأين؛ وانسلبت نقطة الغين؛ وذاب سحاب البين؛ نطقت ألسنة الآيات بحقائق البينات ظاهرة في مرأى الكائنات، فتغيب البين عن العين، والكاف عن الهاء وتفك رموز الصاد مشرقة بضياء الياء عن سر مكنون الياء، لعين هو نور العين، مجردة عن قيود انتسابها لحقائها في غيبها بما تلألأ من حقيقة الظاهر، المنزه عن قيود من حيث هو في المطلق عن الحجاب من حيث الحجاب، لديها تنبعث أنوار الحقائق، وتشرق شمس التقديس في أفق التنزيه التشبيهى، من حيث التقرب الإضافي والعلو النسبي، حتى تخترق الإضافات، ويذوب ثلج النسب، وينمحي اللغو والنصب: ﴿لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1].

([1]) سورة يونس آية 62.

على أرائك الود الانبعاثي، والوصل التجلي، بعد محو الفصل التكليفى، والنأي التعريفي. وهذا هو الشهود الملكوتي، وليس كما يذوق أهل الذوق الصادق، ولا ما يجده أهل الوجد الموافق، إنما هي شمس وهي نور وأفق منير، والترجمان قاصر، والناسوت مقتضى، والحق منزه، والتشبيه براق.

6. الشهود البصري والرؤيا البصرية:

إذا تزين القلب بأسرار العلم؛ أضاءت أنوار الفكر بعد الذكر على الآثار الكونية، فتجملت بحلل الدلالة على الموجد لها سبحانه، وظهرت تلك الدلالة مظهر سرور للحواس. تتلذذ بها، وتكتسب منها سرا حقيا يكون كراح قوى، عامل في جميع الحواس قوة نشوة غرامية ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾[1] ثم لا يزال المشاهد ببصره يتناول رحيق القرب والتعارف بمظاهر جمالات تلك الأكوان العلوية والسفلية، وكلما اتسع أمامه نطاق الشهود قوى حاله الحسي، واشتدت نشوته، واهتزت أعضاؤه هزة المشتاق الذي ظفر بمن يهواه، ويرتقي رتبة رتبة، حتى يصل إلى نيل مقام شهود العرش، الذي هو أثر انمحت فيه جميع الآثار، ودونه تنتهي علوم المخلوقات.

فإذا أشرقت عليه نفحات عبير روض هذا العالم العظيم الذي انمحت فيه كل الآثار؛ وعندها يقف لنهاية علم الخلائق عند السدرة، ولكنه لما كان من الذين لحظتهم عين العناية؛ تفاض عليه أنوار التدبر في هذا العالم العظيم، ويخطر

([1]) سورة آل عمران آية 19.

عليه أنه أعظم عالم ليس بعده بعد، لأنه أحاط بكل الكائنات السماوية والأرضية، ثم ما يمكث إلا أن، تتجلى عليه جمالات الصفات؛ بعد غرقه في شهود الآثار، فيلوح له نور التلجي، فيشهد هذا العالم العظيم الذي هو العرش يمحى بوصف الرحمة، وهو قد انمحت فيه الآثار، ولديها تعلوه دهشة الانتقال من حس وبصر إلى ذوق وبصيرة، وفي هذا المقام يذوق حلاوة التجليات، وتتوالى عليه تجليات الأسماء والصفات، حتى ينعدم الشهود البصرى لانمحاء الآثار في العرش، وانمحاء العرش في الصفة الربانية، ولديها يكون مبدأ الجمع، فإن نظر إليه سيد المقربين بأعينه، حفظه الله تعالى ظاهرا وباطنا، فشهد ورأى، وهو المقام المصون بالحقيقة والشريعة، ولا يتحصل عليه عامل بعمله، بل يناله بمحض فضله الله تعالى، وفضل سيدنا ومولانا مُحَمَّد ﴿ﷺ وآله﴾.

نسأل الله تعالى دوام إقباله علينا، وتوالي نعمته إلينا، وإسباغ فضله وفضل سيدنا مُحَمَّد ﴿ﷺ وآله﴾ علينا وعلى جميع إخواننا وأهلينا وأولادنا والمسلمين آمين.

7. مفتاح الفكر:

الفكر في المشهود ظاهرا، ودقة صنعه، وبهجة حسنه، وإحكام نظامه، وترتيب نواميسه بحكمة حكم الحس بكمالها، ودوام حفظها، وعدم خللها، بحيث أن كل متفكر يتتبع كل الظواهر الكونية ـ سماوية أو أرضية أو ما بينهما ـ ونظر بفكر في قيام كل مخلوق بتأدية ما خلق له، يعلم بسلامة فكره ودقة نظره حسن انتساقها، وقيامها بتأدية ما هي له في وقتها، حتى أنها لا تختلق. فإذا نظر الناظر

بفكره المكتسب من أعضائه الجسمية، يتحقق أن هذا النظام اكتسى حلة من الحسن قام بها، ولو سعى ليتحصل على أقل فطور في حاله المنتسق عليه؛ وما فيها من الجمال المنطوية عليه؛ لنادته ألسنة الحكمة الخفية في غضونها: أيها المتفكر اجهد في البحث، وأنت أيها الباحث ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ﴾[1].

فإذا ذاق حلاوة حسن الترتيب الكونى: لمح ـ من شدة ما ظهر من حسن كماله وبديع جماله وغريب صنعه ـ الذي أوقف فكره حائرا أن ينتقل من تمتعه بهذا المشهد؛ إلى البحث عن أسراره الخفية، ليستنتج من ذلك ما به يكون له على تلك الظواهر الهيمنة والسلطة، بما أودع فيه من قوة النظر والتفكر، فيميل بقوة شديدة، عالما أن ذلك ناشيء عن مصادفة شيء بشيء يحدث عنه هذا الانفعال، ولدى تمكن هذا الأمر في فكره؛ يرى قدرته عاجزة عن إيجاد بعض ما يلزم، وعندها يلوح له انفكاك المراتب الكونية عن كل ما حكم بإثباته لها، فيتحير ويندهش، ويعاود الفكر في أن ذلك ليس مترتبا على مصادفة، بل هو سر خفى، فيميل إلى أن ذلك محتاج إلى بحث وتنقيب آخر، فتناديه ألسنة الأسرار المنطوية في تلك الكائنات: أيها الحاكم على مالم تحط به خبرا، رويدك، فليس الأمر على ما تفكرت، ولا هذا هو الباب الذي به تتوصل على كشف حقائق تلك الأسرار، فإن لم تتأن وتدخل البيوت من أبوابها﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِأً وَهُوَ

([1]) سورة الملك آية 3.

حَسِيرٌ﴾[1] وفي هذه الرتبة التي يسمع خطاب الكائنات منها؛ ينتقل من مفتاح الفكر إلى مقام التدبر في خفي تلك الحكمة.

8. مفتاح التدبر:

إذا لاح نور أسرار الكائنات على صاحب الفكر المنير بنور الإيمان؛ وظهرت له الحكمة الخفية فاستعملها في جلب المنفعة له ولنوعه ولأهل دينه؛ أو لبني وطنه؛ مشاهدا ذلك من تفضل الحق سبحانه وتعالى عليه؛ أضاءت له شموس ما وراء ذلك السر، ألا وهي التدبر في سر أخفى من ذلك، سر ظهور أسرار الأسماء الربانية، سارية في جميع تلك المظاهر الناطقة بالتسبيح والتهليل والتنزيه لذات الحق تقدست وتعالت. فإذا فاح على المتدبر أريج روض قيامها كلها بالقيوم سبحانه وتعالى؛ انبلج له صبح التحقق بسر ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[2] فيأنس بالوحدة لشهوده مالم يشهده غيره، فصار كأنه نوع آخر مخالف لنوع الإنسان الذي لم يتحقق بذلك، ومن هذا المقام يبتلي الابتلاء الحسن، بإنكار الناس عليه، ورميهم له، وميله إلى إجابته وتصديقه لشدة يقينه.

وما ابتلاؤه إلا ليتجرد ويتخلى عن كل مخلوق، ويعكف ويقبل على الخالق سبحانه وتعالى، فيكون ابتلاؤه لجذبة من الخلق إلى الحق، لأنه ـ بمعارضة الناس ـ ييأس من الخلق جيعهم، ويأنس بالحق سبحانه وتعالى.

([1]) سورة الملك آية4.

([2]) سورة الحديد آية4.

فإذا كمل يقينه؛ وثبت إيمانه، ولم يتألم بمعارضة الناس ألما يزعجه ويغفله عن المشهد الذي ظهر له؛ وفي هذه الرتبة يخشى على الإنسان من أن يشتغل بجدل الخلق ومعارضتهم ومحاججتهم، فيكون ذلك موجبا لبعده عن كمال الترقي. بل الواجب على أهل هذا المقام انحصار قواهم النوراينة في التبدر في الآيات الإلهية ﴿قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾(1) ويتنعم بتلاوة القرآن مع التدبر والذوق، فيحل كل آية في المقام الذي يليق بها من التنزيه والتشبيه، حتى بذلك يفتح له قفل القلب، ويضيء فيه نور الغيب، فلا يشعله شاغل الكون عن شهود الأسرار التي سرت فيه من مبدعه سبحانه وتعالى، ولديها يرتقي من حضيض الحس على أوج الروح، وتنكشف له أسرارا الملكوت، فإذا تمتع بشهود الأنوار الملكوتية تحلى بلسان العبارة، فترجم عن تلك الحقائق بعبارة كشف عن نور الحكم، فيفيض على إخوانه علوم الغيب التي بها سعادة الدنيا والآخرة، فإن أفادهم في مقام الفكر فوائد استعمال الآثار الكونية في جلب المنفعة ودفع المضرة، يكون بذلك كالغيث النافع عند نزوله لشرب المخلوقات الحية، وإحياء الأرض الميتة بعد انقطاعه، وإذا تجمل بحلل توجه المعية تلذذ بشهود جماله سبحانه وتعالى ظاهرا.

الأخذ بالرأي

مهما ترقى الإنسان في درج الكمالات العلية؛ وأدرك بمقدمات المعلومات نتائج الأحكام؛ فهو مخطيء في إدراكه، إلا إذا تلقى تلك المقدمات مسلمة من

---

(1) سورة يونس آية 11.

حجة عدل عالم متمكن، تلقاها عن مثله، وهكذا حتى تكون نتائجه عبارة عن أحكام مندمجة في تلك المقدمات الحقة، وبذلك يكون حجة . وإن لم يبرأ من الخطأ . لأن الإنسان مجموع قوى متفاوته علوا وسفلا، لا تتجرد قواه العقلية الظاهرة من أدران القوى السافلة من الحظوظ والشهوات، فهو بهذه الواسطة قل أن يكون مصيبا في يقينياته العلمية، فكيف يصيب في أحكامه الدينية؟! اللهم إلا إذا تحقق بكمال اليقين الذي جعله مراقبا لعظمة الحق في أقواله وأعماله، وعلم منه كمال التورع عن الشبهات، والتباعد عن الصغائر، والتمسك بحكم الكتاب والسنة، حتتطهرت تلك البواعث النفسانية، وتبدلت صفاته الحيوانية بصفات كاملة، وأخلاق طاهرة، يطمئن بها أهل الإيمان الكامل، وتنشرح لها صدور المخبتين إلى الله تعالى.

فيكون ذلك الرجل هو القدوة في القول والعمل، لأنه يصير أعلم بالأحكام من غيره، فإذا أفتى بحكم يجهله بعض الناس أو ينكره البعض لم يكن ذلك عن رأيه، بل لأنه متمكن من فروع الشريعة وأصولها، عالم بظاهرها وباطنها مما هو مراد الله تعالى من هذا الحكم، وهو الإمام المقدم.

ولكن مجرد فكر ورأي دفع إليه حظ خفي وهوى متبع، مع علم العامة والخاصة بمن هو الحاكم به، من حيث تمسكه بالدين وميله إليه، وحبه لأهله، والعمل لأحبائه، وبغض أعدائه، والحكم بما حكم الله، والكرهة لغير ذلك، لا يتحقق متحقق أن هذا هو الحق، خصوصا إذا كانت ميوله بغض المتمسكين

بالدين، وكراهة المقبلين على الطاعة والذكر، والإنكار على المحبين لأهل الخير، والمعظمين لمن أحب الله تعالى، كل هذا دليل على أن الحكم من هؤلاء. وإن وافق العقل وبعض النقول . يأبى الورع أن يعمل به أو يقبله خشية أن يكو مدسوسا عليه فيه، أو مرادا لأمر لا يرضاه الله ولا رسوله ﴿ﷺ وآله﴾.

الغرور بالدنيا

الإنسان أقرب حيوان للتأثر بالظواهر الكونية، خصوصا إذا كان فارغ الفؤاد من الكمالات الإنسانية الذي بها يذوق لذة التفكر في الآثار الكونية، التي ترجع به إلى العلم بمبدئه ونهايته، وتحقق المشهودات والنظر إلهيا بالفكر العلمى، الذي يشير إلى خواصها المودعة فيها بقوة المبدع لها، والفكرة التي استنجت فوائد تلك الخواص للانتفاع بها، ويذوق لذة الإيمان بمن وهب المادة وأودع فيها الخاصة ووهب العقل المرشد لعلم تسخيرها، بترتيب أو تركيب أو خلط أو مزج أو غير ذلك، حتى يتحقق كمال التحقق بمكانة الواهب المفيض سبحانه، ويعلم حق العلم أن هذه إنما جعلت ليستخدمها الإنسان في منفعتين:الأولى استعمالها في حفظ حياته وراحته. وشكر المنعم عليها بمساعدة عبيده والتقرب إليهم، ومساواتهم بنفسه. بحيث لو غفل عن إحدى المنفعتين كانت للضرر أقرب منها للنفع.

وإن كان السواد الأعظم تشغلهم المنفعة العاجلة فيزاحمون عليها، ويقفون عند من وهب له الفكر في انكشاف خواصها، مادحين له، شاكرين لفضله، وتحصل لهم الدهشة، ويفتخرون بمن وهب له هذا الفكر. ولو كان ممن غضب

عليهم الواهب سبحانه ـ لأنه يهب من يشاء ما شاء، لا لعلة ولا لغرض، بل يظهر آياته على يد من يشاء عبرة للعباد، وذكرى لآياته. وهذه البحار والهواء والجبال والحيوانات؛ تحدث ما يدهش العقول ويحير الألباب من المنفعة للنوع الحي، والشمس والقمر وغيرهما من جميع الكائنات. وكثير من الناس من اتخذ هذه الأشياء آلهة تعبد من دون المفيض للخير، وكذلك أهل الغرة بالله تعالى ـ الذين غرتهم الدنيا ـ يكادون يعبدون من اخترع صنعة أو كشف خبئة نسيانا للمفيض سبحانه، وغفلة عن الحق، حتى تهوى بهم الغرة إلى جهل الحق، وإنكار الدين والإقبال على الذهد والكبر، والتهاون بأمور الدين ﴿حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾[1] وليس ذلك إلا من مجالسة أهل الغفلة المغرورين بعاجل الأمر، فلا يشغلك هذا الأمرالذى هو في الحقيقة موجب ليقظة القلب والفكر والتدبر في آيات الله سبحانه وتعالى، وكثيرا ما أوجب هذا الأمر الغلو، حتى أنكر المغرور كثيرا من آيات الله وأوامره، حتى أنكر مقام الألوهية، ولم يتمتع بالدنيا إلا قليلا، ثم سيق إلى القبر مغضوبا عليه ـ والعياذ بالله تعالى ـ فندم ولات حين ندم، فتنبه أيها الناظر لهذه المظاهر، ولا يشغلك ما به تتقرب إلى الله فتتقرب به إلى النار، والله سبحانه وتعالى الموفق.

([1]) سورة الأنعام آية 44.

الفصل الرابع
السير إلى الله تعالى

1. الصلح:

ربك أقرب إليك منك، وأولى بك من نفسك، لو تدبرت في حقيقتك ومنشئك، وما يتولاك به من مدد الإمداد والإيجاد، وما هو عليه سبحانه وتعالى من الغني المطلق عن جميع الكائنات، وأنه سبحانه لا تضره معصيتك، ولا تنفعه طاعتك، ويحب إقبالك عليه، ويكره فرارك منه. ومهما ظلمت نفسك وأنبت إليه سبحانه مقرا بما اقترفت؛ موقنا بأنه هو الله القادر الغفور الرحيم؛ الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن كثير، فإذا أقبلت أيها المسيء لنفسه بقلب خالص وعزم ثابت؛ لباك مولاك، وأبدل كل سيئة بحسنات من فضله، لأنه سبحانه العلى العظيم، الولى الغفور، يحب أن يظهر العبد أمامه متحليا بحلة الذل والمسكنة، والتملق والرجاء، والخوف والتوبة والإنابة، لأن تلك الحلل هي أجمل حلل العبودية أمام عظمة الربوبيه، ومتى تحقق العبد بهذه المقامات؛ أفيض عليه من لدن حضرة الحق حلل القبول والإقبال، والعفو والغفران، وفتح له باب الفهم والتدبر، ومشاهدات الملكوت الأعلى، حتى يذوق من رحيق القرب شراب الود، فيطيب ويغيب عن ذنوبه وعيوبه، راتعا في رياض المكاشفة والأنس بالنظر إلى جمالات الآيات الإلهية، حتى يتحقق كمال التحقق. ولذا قيل: "من لمحة تقع الصلحة" ومن تدبر أسرار هذا الأمر يذوق حلاوته والله الموفق، وصلى الله على سيدنا مُحَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

2. صدق الحال:

قد يتحلى المريد بحال صدرت أنواره عن رياضة بدنية، ويدوم حاله بازدياده من هذا النوع، حتى يذوق لذة العمل. وقد يتحلى بحال ناشيء عن قول علمى منحه بمقدمات علمية فيجد ويتلذذ بحاله، وقد يكون الحال بنشوة فكر، أو جلوة ذكر، أو ورود خاطر، فينمو الشوق ويزداد الوله. ولكن كل حال ورد على المريد في بدايته فلا يسمى حالا صادقا إلا إذا تحلى به بصحبه مرشد عارف، يميز بين الواردات الروحانية والنفسانية، حتى يتحقق المريد بالصدق في الحال. وإلا إذا تحلى بدون الصحبة فزوال الحال متحقق، وذلك لأن النفوس التي تكتسب الحال بعوامل المجاهدة يزول حالها بأقل وارد، فكثير من المقبلين المجدين في العمل، المتلذذين بالجهاد قطعتهم كلمة يقولها رجل في دسائس النفوس، أو جملة كتبت في كتب تشير إلى مقام اعلى، أو بعض حكايات أهل الرياء وما ورد في ذم المرائين من الآثار، انعكست عيله أحواله، وسئم الجهاد، وتوانى في العمل حتى تنمحي أحواله، وما ذلك إلا من عدم الصحبة.

أما المريد الذي أسعده الله بالاسترشاد على يد أخ عارف بالله تعالى، وبطرق الوصول إليه سبحانه، ذاق فهم الأحكام، وعلم قوي النفوس ومناهج تطهيرها، وأبواب تجريدها من درن الهوى والشهوات والحظوظ، وبلغ منزلة الاستنباط، وتحقق بحق اليقين حتى يسير به على سنن مسنون شرعا، وسلك به مسلكا سلكه قبله السيد الهادي ﴿ﷺ وآله﴾، فيصل بصحبته لأعلى عليين، آمنا من قواطع الطرق، ومن دسائس النفوس، ومن التطرف لحد لم يسكله نبي ولا

صديق. بهذا يسعد السعادة الأبدية ويكون من الذين لهم الأمن وهم مهتدون. نسأل الله تعالى أن يمنحنا الهداية وحسن الدلالة والتوفيق بجاه النبي الكريم آمين.

3. الفرار إلى الله:

الإنسان الذي ذاق حلاوة الإيمان الكامل من باب التسليم بفرح العلم، وطرب سماع نغمات اليقين الصادر عن أفق أنوار شورق شمس الحق، هذا هو الإنسان الذي ﷺ وضي عنه الله، فإذا تحقق بمقام الرضا؛ وتحلى بالثياب الصفاتية التي أمر بطهارتها؛ حفظ بالحفظ الرباني من حضرة التنزلات الإلهية، من سماع خطاب الخير الذي هو أمر في الحقيقة بالنسبة لولايته تعالى من حيث قوله ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾[1] وإذا حفظ بحفظ الولاية؛ هبت عليه نسمات الجذب لتلك الحضرة بشهود فناء ما سواها، فيميل بكل ظاهره وباطنه بهذه الولاية الربانية والتوفيق والعناية إلى تلك الحضرة العلية، حتى لا يكاد يشتغل بغير هذه الأنوار القدسية والآيات الحقية، وفي هذا المقام تتجلى له مظاهر المحسوسات.

مذاكرة:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[2].

([1]) سورة الحجر آية 42.

([2]) سورة طه آية 98.

الإنسان إذا ذاق حلاوة الأنس بشهود سر ما أودع فهي من تجليات الربوبية؛ المشهودة بعين يقين ضميره من حضرة الغيب؛ مال حسه إلى أن يشهد تلك الرتبة . رتبة الربوبية .، فإذا لم يتداو بدواء سماوي عن تلك الميول الحسية، انعكس نوره ظلمة، وأنسه بالغيب وحشة، فجسم وأشار، وجعل الرب ناسوتا جسمانيا قام بلاهوت حيواني، واستدل على ذلك بآية خارقة للعادة، يستأنس بذلك من لم يذق أسرار الغيب، ويميل إلى ذلك من لم يشهد نور تجلى الرب، وقد ظهرت تلك الانفعالات النفسية من قوة الخال إلى حضرة العيان، أعني به سامري بني إسرائيل، وعكف هو وكثيرون على عبادة ما جسّمه بيده من الحلى، حتى جاء سر السماء الظاهر على لسان موسى وعصاه ويده،، فصدع بالحق، وأبطل الباطل، وكشف حجاب الحس عن عين البصر، فلمعت أنوار البصيرة على أولئك المارقين من حصن الإيمان، فندموا ندامة محقت أنفسهم الحسية الحيوانية بدليل ﴿فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ﴾[1] فتفضل الإله المنزه فتاب عليهم، ثم ترجم لسان الربوبية الناطق بلسان النبوة عن حضرة الألوهية بالتنزل الفضلى قائلا: ﴿إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ﴾ مشيرا أولا إلى رتبة الألوهية لظهورها حسا ومعنى لكل متدبر، واختصاص تلك الرتبة بالذات الأحدية المنزهة عن الحيطة والنسبة، العلية من إدراك العقول والأوهام والخيالات، فاندهش السامريون لقصير مداركهم وعدم تأهلهم لحضرة القدس الأعلى، لأنهم لا يمكنهم أن يخصصوا تلك الرتبة بالذات العلية قدرا، التي: العلم بها جهل، والجهل بها علم. فتنزل فضلا منه وكرما، وأوقفهم في موقف الغيب عن

([1]) سورة البقرة آية 54.

الحس، ليذوقوا حلاوة الشهود البصري من حضرة الغيب المطلق عن التقيدات الغيبية، فقال ﴿الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ مخصصا تلك الرتبة الألوهية على غيب الهوية، ليتيقنوا أن الحق غيب لا يشهد إلا بعين البصيرة، وظاهر لا يعلم إلا بكشف الحجب الكونية، فانبعثت من شمس بيان التخصيص الأول بالذات القدسية أشعة أنوار المعرفة لأهل الاختصاص بالقدس الأعلى، ومن التخصيص الثاني الغيبة عما سواه سبحانه وتعالى، فكانت الرتبة الأولى رتبة المتمكنين من الأنبياء والمرسلين والصديقين، والرتبة الثانية رتبة المجذوبين للحق بالحق، أهل الغناء المطلق. ثم أيد معنى اللسان الحقي المشرب الأول والثاين بكلمة هي من جوامع الكلم، يذوق كل سامع منها حلاوة مشربه قائلا ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ فالأول شهود السعة الذاتية الماحية لكل شيء والثاني السعة الهوية، الساريين في كل شيء، فثبت قدمه في حضرة ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[1] وأشرق أنوار بصره من حيث الوجهة، فارتفعت ستائر الكون في لآلئ الغيب وذاق حلاوة ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[2] من حيث لا حيث بالنسبة المقيدة، بل من حيث إطلاق الرتبة المقيدة.

([1]) سورة الحديد آية 4.

([2]) سورة البقرة آية 115.

رموز التكاليف:

التكاليف في مقام الإسلام لرياضة الناسوت وصفائه من كدورات التشبيه بإبليس، حتى تضعف القوى النفسانية لاتباع أوامر الناموس الشرعي، واجتناب نواهيه، وبذلك تقوى اللاهتية على النفوس، وتصفو من الأغيار، فتذوق حلاوة الإيمان السمعي، وعندها تقر المحبة وتكون التكاليف كقربات من المحبين المحبوبين. والرتبة الأولى رتبة الصالحين وحالهم بالمجاهدة، والرتبة الثانية رتبة الأولياء وحالهم الاستقامة. ثم تقوى الروح بالانقياد للشرع الشريف، حتى تشهد مفصل المجمل منه به ذوقا، وتقوى المحبة فتحن لأصلها، وتميل لكلها مع علم يقين، وهي رتبة المحسنين وحالهم الرجاء لتحققهم، لأنهم فرع من شجرة وحدة الكن. والتكاليف في هذه الرتبة إظهار للتحقيق بمقام ومحدة الأفعال والأسماء والصفات، ويرمز عندهم بالفرق المشوب بالجمع، ولم يزالوا في رجاء للالتحاق بهذه الوحدة مع أنهم في مشهد ق أفناهم عن الحسيات لاستغراقهم في عالم الروح، ومتى دخلوا حيطة الأحدية المقدسة؛ وشهدوا تجليات الأسماء والصفات عين يقين انجلت لهم الوحدانية، فتحققوا بالتجليات حق يقين، وعند ذلك تشرق شمس الوحدانية على قمر التكاليف فيتحققون بالعبودية، وهي رتبة اليقين، وحالهم الخشية. والكاليف عندهم هي العبادة لأنهم هم العبيد حقا. وليس بعد هذا المقام إلا التحقق بمجلى الذات الأقدس في مقام نهاية النهايات، ولا يكون صاحبه إلا حقيقيا بجميع شرائع الرسل السابقين من حيث اليقين، وارثا حقيقا لحضرة سيد الرسل على ذاته الشريفة وعليهم الصلاة والسلام.التكاليف في الرتبة الأولى رياضة، وفي الرتبة الثانية قربات، وفي الرتبة الثالثة طاعات، وفي الربتة الرابعة عبادات. قال الله تعالى مخاطبا

لأهل الأولى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾[1] ولأهل الثانية: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾[2] ولأهل الثالثة: ﴿أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾[3] ولأهل الرابعة: ﴿وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا﴾[4]ففي كل آية من المشارب الذوقية والمعاني المعجزة؛ ما لا يقف على حقائقها إلا من سمع الخطاب الإلهي من كشف حجب صفات الكمال المنزه عن الحرف والصوت، فسبحان المعطي الوهاب والصلاة والسلام على حيطة العلوم والمعارف وعلى آله وصحبه وسلم.

الدرجات العلية الوهبية:

مقامات الترقيات تبتدئ أولا بالانقياد والتسليم ولو ظاهرا، ثم تنتقل بما هو برهان على كمال الانقياد، فالأول هو النطق بالشهادتين، ويؤيدهما ظاهرا لعمل بما يشعر بتصديق ذلك، وهو الصلوات الخمس على أتم شروطها، والصيام في أوقاته على أكمل واجباته، والزكاة بحسب ما بين في تأديتها، والحج بجميع أوامره، وهذه درجة الإسلام. فإذا ارتقى الإنسان بتلك الدرجة وتحلى بكمالها أشرق عليه في كل ركن من أركانها نور رباني، يكسوه حلة يرتقي بها إلى الدرجة العلية فيشرق عليه من النطق بالشهادة أنوار سر العقيدة، وغوامض أسرارها، وجواهر كنوزها، فيذوق

([1]) سورة الحج آية 78.
([2]) سورة الحديد آية 11.
([3]) سورة النساء آية 59.
([4]) سورة النساء آية 36.

حلاوة الإيمان، فيرتقي من أنوارها إلى درجة الإيمان بحسب اليقين العلمي، ويلوح عليه من كنوز أسرار الصلوات الخمس خفي شهود مقام الوقوف بين يدي مولاه، الذي كمل إيمانه باستحقاقه لجمال الصفات وجلال الأسماء، فيذوق لذة الخضوع والخشوع العبدي بالأعضاء الناسوتية عن علم اليقين بالفؤاد، فيسلك في عقد القانتين، ويرتقي درجة القرب الإنساني، بلذيذ حلاوة الذل للحضرة العلية عن الشبيه والمثل، وهذه هي درجة القانتين.وتنكشف عنه حجب الحظوظ الدنيوية عندما يقوم بإيتاء الزكاة صادقا بها، موقنا الانقياد لله ورسوله ﴿ﷺ وآله﴾، وبذلك تفاض عليه حلل باطنية عن علم اليقين، يقوى بها اعتقاده بانفراد الحق بالملك لكل شيء، ويشم منها أنه عبد لله، مأذون من قبله بالتصرف فيما يملكه، المودع عنده من ملكه سبحانه وتعالى، فيكسى جمال حلة التصريف، ويرتقي درجة القرب المخصوص بالصادقين، ويكون أهلا لأن يتحلى بحلل أهل العزم من كمل المقربين، الذين قال فيهم الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾[1] فتظهر له أحوال امتحانيه، يظهر بها كمال إيمانه أو ضعفه، فإذا ثبت موقنا رفع إلى درجة الصابرين، ويصدق عليه أنه من أهل تلك الدرجة الرفيعة.

وبهذا المقام يكون للصبر مظهران: مظهر قلبي وآخر جسماني، فإذا تحلى بالرضا ظاهرا وباطنا بدون أن يكون له في ذلك حال ينبئ بأنه مقهور لا قوة له على التخلص من هذا؛ فهو ناقص الإيمان إذا كان كذلك وأما الصابر فهو الذي

([1]) سورة مُحَمَّد آية 31.

يتحقق أنه يرجرو بالصبر على الابتلاء رضاء الله تعالى، ويتلذذ بذلك سرا وعلنا بدون جزع ولا هلع فهو الصابر. وبهذا يرتقي درجة الصابرين العلية قدرا، ويكون بها أهلا لأن يكون في درجة الخاشعين، الذين تحلوا بالرضا ظاهرا وباطنا، واطمأنت قلوبهم، ولانت جلودهم. وهي درجة الخاشعين حقا.

ولدى تحليه بتلك الجمالات العلية تشرق عليه من شمس التصديق السابق حقائق ﴿لِلَّهِ ما فِي السَّمَاواتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾[1] فيشم طيب أن المال لله، وهو وديعة عنده يتصرف فيه سبحانه وتعالى كما يشاء، ويقوم بإخراج الزكاة المفروضة التي أمره بها مالك المال سبحانه للوجوه التي أمر بصرفه فيها، وبذلك يتحلى باطنا بحلي أنه عبد، وظاهرا أنه مأمور بأوامر مقدسة، يلزم القيام بتأديتها إجابة لأمر سيده سبحانه، ويتلذذ بكونه مؤتمنا عند من أودعه ملكه، ووكله على ملكه، وبذلك يكون من المتصدقين. والصدقة صادقة بأن يتصدق بواجب أو بنفل، وقد بين ذلك في مواضعه. فإذا ارتقى إلى تلك الدرجة العلية؛ ظهر له من وراء الحس نور يذوق به الاستئناس بأنه سبحانه وتعالى له ملك المال، وله ملك النفس، يتصرف فيهما سبحانه وتعالى كيف شاء، فيلمع عليه نور: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم﴾[2] ويرى سر ذلك ظاهرا في وجوب الصيام، الذي هو امتناع عن المباح مطلقا مدة معينة، عينها الحق سبحانه وتعالى لكمال تصرفه في

([1]) سورة البقرة آية 284.

([2]) سورة التوبة آية 111.

النفس، بعد كمال تصرفه في المال. ولدى قيامه بهذا الركن يرتقي لدرجة القرب إلى الملأ الأعلى، ويتنسم نسيم اليقين الكامل، الذي به يعتقد صحة بيع نفسه وماله للمالك لهما سبحانه يتصرف فيهما بحسب أوامره الشرعية، وبذلك يرتقي درجة الصائمين، وبهذا يتوج بتاج اليقين.

فإذا تطهر بغيث توفيق شهود أنه باع ماله بالصدقة، وباع نفسه بالصيام والجهاد، انكشف له بنور يقينه ستائر إلزامه بانه لا يتصرف في نفسه بأكل وشرب؛ أو حركة أو سكون؛ إلا بأوامره الصادرة من عنده سبحانه وتعالى، فنشأ من ذلك حفظ الأعضاء إلا في مرضاة السيد سبحانه وتعالى، ومن أعظم أعضائك الفرج فتكون بحفظه الذي يتعسر على أكثر الخلق؛ قد تمكنت من حفظ غره بالأولى، لأنه أشد وأقوى الأعضاء دفعا إلى المخالفة، وبذلك ترتفع إلى درجة الحافظين لفروجهم، وبذلك تطهر قواك ظاهرا وباطنا، طهارة تنكشف بها عنها الحجب التي رانت عليها فحجبتها عن القيام بما خلقت له من رفيع المنزلة وعلي المكانة. وبهذا الكشف ينتقل هذا الكامل إلى مقام الإحسان الذي هو عين اليقين، وبه تتجمل جميع قواه ظاهرة وباطنة، بشهود ما أودع فيها من بديع رفيع الجمال الرباني، فتنطلق كلها ألسنة ذاكرة، وعيونا شاهدة، وقلوبا واعية، وآذانا صاغية.

وبهذا يتصف بأكمل صفة وهبها الله تعالى لمن اصطفاهم، ألا وهي درجة الذاكرين الله كثيرا، فإن الذكر ليس المقصود به ذكر اللسان فقط، بل المقصود به

نطق كل عضو من أعضائك بالذكر بحسب ما يناسبه، فذكر الآذان السماع، وذكر العيون النظر، وذكر القلوب العقل عن الله، وهكذا باقي الأعضاء، وفي هذه الدرجة يتحقق الإنسان بقوله ﴿ﷺ وآله﴾ عن ربه ﴿كنت سمعه الذي يسمع به﴾ وهو مقام الإحسان وعين اليقين، وهذه هي الدرجة العلية والمقامات السامية، وليس بعدها إلا مقامات حق اليقين، نسأل الله تعالى أن يجملنا بجماله إنه سميع الدعاء، وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

الإنسان:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾[1].

الإنسان وما أدراك ما الإنسان، مجموع قوى الحيوانات، وانفعالات الشيطان النفساني من حيث وقاه النفسانية، لا يشهد نور ما ظهر بعيون اليقين لاحتجابه بظلمات تلك القوى المؤثرة عليه بدواعيها الفعالة به، فهو المحجوب بالأدران النفسانية، المبعود بالحظوظ الحيوانية، لا يذوق لذة الإيمان في حال من الأحوال ولا حلاوة الإحسان في مقام من المقامات، فهو في حال النعمة معرض عن المنعم الحقيقي، غافل عن مفيض النعم، معتقد أنه هو الموجد للنعم ـ غرورا منه ـ وليته وقف عند هذا الحد، بل يدعوه الغرور إلى التهاون بالدين والتلاعب به فيتخذ دينه لعبا ولهوا، وتغره الأماني، هذا حاله في النعمة. فإذا سلب المنعم نعمته عنه؛ وأذاقه ألم الاحتياج يئس وقنط، وباع دينه بدنياه، وتلاعبت به الحاجة كيف

([1]) سورة فصلت آية 51.

شاءت. وهكذا، حتى يزكي نفسه بنور التسليم والانقياد للدين، ودراسة العلم النافع وتلقيه من العارفين المتمكنين المخلصين.

نعم، الإنسان المقيد بأحكام المادة خاضع لأدوار الحوادث، ينظر ما يسره مما يلائم طبعه وحسه وراحته وعلو مكانته، إن بموافق للشرع، بمخالف له، حتى تراه يسره ملك ما به يخلد في النار، وعمل ما به يطرد عن رحمة الله بدون تبصرة في مستقبل، ولا تأمل في حال وشأن، ويدوم هكذا حريصا على هذا، ناهجا مناهج الطمع الحرص على أن ينال الشهرة والمجد والشرف والعلو في الأرض، ويسعى بنشاط لنيله بالفساد في الأرض وأذية الخلق، يسره ضرر غيره، ويفرحه نيل مطلوبه، حتى يهاجمه المرض العضال، ويقوى هين الأمراض، فيئن عند شدة المرض وينسى الدنيا وما فيها بشواغله القوية، فإذا سكن هذا الألم رجع إلى حرصه ومقته للناس، ويرتب ما يعمله غدا مما يعود عليه من الفاسد والبغي، حتى ترهق روحه وهو في غفلة عن مآله، فيرجع بأحمال تثقل الجبال، فيندم ولات حين ندم.

كل ذلك من قوى النفس القائمة بهيكله التي تنفعل عنها الانفعالات النفسانية، فينقاد بهذا العامل بدون ترو، والله سبحانه وتعالى لتكون له الحجة البالغة . أرسل الرسل الكرام بالهداية والحكمة والموعظة البالغة، التي تومي إلى مشاهدات الروح، وما تؤول إليه نهاية مرجعها ومن أين مبدؤها، لأن الروح الملكية سماوية مصدرا ونهاية وإقبالا وقولا وعملا، لاستمدادهامن نور الملكوت الأعلى. ولا يمكن أن يتحصل الإنسان على تلك المنزلة السماوية إلا بتزكية نفسه، وتطهير

قواه الحيوانية، بالانقياد للأوامر الشرعية الموضوعة لتطهيره من أخلاق القوى الإبليسية من الحسد والكبر والفساد والتفرقة والتعالى، وحب الجاه، والبغضاء والحقد والكيد والخبث وغيرها، وأخلاق الحيوانات المفترسة، والحيوانات الداجنة من الخوف والجبن والحرص والبخل والنفاق والتملق والحيل وحب الشهوات وغيرها، وبقدر انقياده للشرع؛ وتمسكه بأنواع العبادات المختلفة الموضوعة لحكمة تطهير مجموعة نعوته وأخلاقه الإبليسية الحيوانية؛ بحسب ما يناسب كل قوى، لديها يذوق لذة كل نوع من أنواع القرب، ويشهد لدى التلذذ سر الحكمة فيه وفيها، وإذا شهد هذا المشهد يترقى من رتبة الإنسان إلى مقام الإنسان الكامل في نوعه، وبذلك تنكشف له حقيقته فيعرف ربه، وبذلك تكون أنفاسه وتسبيحاته وحركاته: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[1] فيكون في مشاهدات الملائكة المقربين حكما وحالا ومآلا.

وهذا هو الإنسان العالم بالله تعالى، المتمكن من مغرفة حقيقته، نسأله سبحانه وتعالى أن يناولنا من شراب القرب رحيق الحب، وأولادى وأهلي وإخواني والمسلمين آمين.

السلوك:

الرجل السالك حقيقة من ذاق حلاوة الإيمان بسر أضاء بالعلم الحقي، ومحقق باليقين الكامل، وبظاهر تطهر بعلوم الشريعة، عاملا بما علم، حتى تكن

---

(1) سورة التحريم آية 6.

أخلاقه كاملة، بمعنى أنه يتحقق بأن كل إنسان سواه مجمل بجمال الأخلاق، وأنه محتاج أنه يتخلق بما عليه غيره من حسن الأخلاق وصحيح الأعمال، وذلك لأنه لا يجالس إلا أهل الخير، ولا يعاشر إلا أهل الصلاح والعلم، لأن السالك من سلك طريق أهل الخير لحبه لهم وحبهم له، وميله إلى اتباع مناهجهم. فهو لا يهوى إلا أهل النفوس التي تزكت، والأبدان التي تخلت عن خبيث الصفات وقبيح الأعمال، وتحلت باتباع الشرع، والعمل بما يقتضيه كتاب الله وسنة رسوله ﴿ﷺ وآله﴾، ويتباعد عن مجالس اللهو والفسوق، وأهل الغرة بالله تعالى، الجاهلين المستدرجين.

فهذا السالك لا يقع نظرة إلا على تقي مقرب، أو زاهد عابد، أو فقير مبتلي، فيكون ساخطا على نفسه وتقصيره، شاكرا ربه على نعمه ونواله، لا يزداد في كل نفس إلا قربا إلى الله تعالى، وشوقا إليه، وذما لنفسه، وتخليه لهاوطهارة لأخلاقه وتجملا بكمالها، فلا يرى على البسيطة أقبح عملا منه، ولا أجهل منه، ولا أحوج منه. وبذلك يحبه الله، ويجمله بأخلاقه الربانية، ويحليه بنور الشرع الشريف، فيحبه النسا من أهل الخير ويألفونه، فلا يزداد من الله إلا قربا، ومن الناس إلا حبا يتباعد عن الدنيا فتطلبه، ويجتهد في القربات فيجعله الله ميسر الأمر، منشرح الصدر، تتوالى عليه البشائر، وتوافيه الخيرات والبركات، وهو ذلك المشغول بربه، الخائف منه، الراغب فيه؛ فإذا أحبه الخلق وتوالت عليه النعم؛ وجب عليه الفرار إلى الله من الركون إلى تلك الآثار. التي ربما شغلته، فجعلته يعرض ونأى بجانبه، وهي نقطة المحنة ومكانة الفتنة. قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى

الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾[1] وهذا سببه أنه لم يخرج من إنسانيته، ولم يتطهر من بشريته. والأحرى بمن هذا شأنه؛ الفرار من الخلق والتباعد عنهم، حفظا على نفسه من القطيعة، إذ السالك الصادق هو ذلك العبد وإن متع بكلمة كن، لا تحجبه الآلاء عن عظمة المنعم، ولا تشغله الآثار عن خوف مقام المؤثر، ولديها يرث الأحوال النبوية، ويتناول من كوثر التحقيق شرابا طهورا، يتلقى به من ربه سبحانه وتعالى أسرار المعرفة، وآيات القربات، وعيون حقائق الأعمال والمعاملات، وبذلك يصلح أن يكون رجلا من أفراد الرجال المخصوصين بخلوته وجلوته.

وقد يتحقق الرجل بكل تلك المقامات بسابقية الحسنى فتفاض عليه حلل الإقبال والقبول فضلا من الله: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾[2] وهم أهل العناية المطلوبين للحق بالحق.

انظر إلى الصديق الأكبر، وإلى باب الفتوة لسان النبوة حيدرة، وإلى سلمان الفارسي، وبلال وأمثالهم عليهم السلام، كيف اختطفتهم العناية ففازوا بالخصوصية المحمدية بباعث نفساني، بدون سابق جدل أو معارضة أو بحث: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء﴾[3]. وهكذا في كل زمان أفراد جذبتهم العناية، فكانوا نجوم الدين، وشموس السنة، وبدور الشرع، بهم ينظر الله تعالى إلى عباده،

([1]) سورة فصلت آية 51.
([2]) سورة يونس آية 58.
([3]) سورة الجمعة آية 4.

وبهم يسبغ رحمته، وبهم ينزل الغيث ويمهل الظالمين ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾[1] ورسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ في هؤلاء الأفراد حالاً وقولاً وعملاً بحقيقة الرسالة للوراثة المخصوصة ﴿وفيكم ورسوله﴾ وإذا تحقق عبد الذات بهذا المقام كان فرد الحق المخصوص بأنه بأعينة، لنيابته عن السيد الأكمل﴿ﷺوآله﴾ وخلافته عن ربه في الأرض تحققا وشهودا، وهذا سر لا يدرك بالعلوم، ولا يؤخذ بالرياضة العقلية والبدنية، وإنما هو نور يهبه الله تعالى لأهل الخصوصية، بلسان الحكمة الحية من عين الحياة، فتلقى في فؤاد مؤهل تنمو وتربو، حتى تشرق تلك الأنوار من جميع الأعضاء العاملة في الهيكل الإنساني فيكون كله نورا، والنور هو النور ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[2] الحمد لله على فضله بفضله، وكرمه بكرمه، وإحسانه بإحسانه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أسأله المعونة على شكره وذكره وحسن عبادته آمين، وصلى الله وسلم على فرد ذاته من العالم كله لأجله وعلى آله وورثته والتابعين آمين.

نعم للرجال أسرار حجبت عنها أهل العقول:

سبحان من يهب الحكمة لمن يشاء، إن الحق تقدست صفاته وتعالت آياته، اختص من عباده قوما اجتباهم للدار الآخرة فشغلهم بها، فأجسامهم في الدنيا عاملة على نوال تلك الحظوة، التي تحققوا يقينا بأنها ولا محالة كائنة، ولا بد

([1]) سورة الأنفال آية 33.

([2]) سورة النور آية 35.

من الرجوع إلهيا، وأنها لا تنال السعادة فيها إلا بنوال الوسيلة إليها في تلك الدار الدنيا، فوفقهم الموفق لما يحب من الجد والنشاط في كل ما به نوال تلك السعادة الآجلة في الظاهرة العاجلة في اليقين، حتى بشدة صدقهم تحققوا بأنهم يرون الجنة ويتمتعون بها عند المعمل الصالح، كما يتحقق التاجر بربح السلعة الرابحة، ويجد في طلبها، منشرح الصدر مرتبا ما يكتسبه وما يربحه، حتى كأنه قبل البيع قد ملك الربح في خزينته. فهؤلاء حدى بهم اليقين حتى ذاقوا لذة وقوع البشرى والوعد كما يذوق المحقق لذة حصوله النتيجة، فهم العاملون على نوال هذا الخير الباقي والنعيم المقيم، واللذة الدائمة في الدار التي لا فناء فيها.

بيد أن غيرهم شغلهم الحظ العاجل المشكوك في نواله، المتحقق زواله، إما عمن ناله أو زوال من ناله عنه، لقصور مداركهم، ووقوفهم عند أملهم وهواهم، حتى حسن لهم الحظ والهوى تلك الحظوظ الفانية فطلبوها، وقوى ذلك الرأي الناتج عن تلك الميول، وزين لهم مدد الرب لهم: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾(1) حتى رأو بسببه الحسن ما حسنوا، والقبيح ما قبحوا، فسعى بهم ساعي المهلة إلى القول بالرأي والعمل بالهوى، فعلاماتهم ألسنة تنادي بتقويم أود الدين، وقلوب ملؤها الحظ والشقاق والتفرقة، ومساعدة أهل السؤدد الدنيوي، وأبدان متعاصية على أعمال الدين ﴿وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾(2) الحج عندهم ساقط لأن الله

---

(1) سورة مريم آية 75.

(2) سورة النساء آية 142.

أوجبه، ولأنه بأرض بها آثار دينية مجردة عن الزينات والبهجة الدنيوية، فترى أعلمهم يرى بلاد الكفر كعبة له، والتجول فيها قربة لربه الذي يسعى في نواله، وأهل العقول القصيرة التي لا تمتد إلى كشف حقيقة السعادة إخوانا له، حتى حكموا أن الله ليس إلا كما يتخيلون، محكوم عليه بعقولهم أن لا يختص بسر غامض عن الأعضاء الحسية عبدا من عباده، وكيف يمكنه أن يفعل ذلك وقد حكم عقلهم السخيف عليه سبحانه بحكم لا يتعداه عقلهم، وفهم هذا الواهم الكاسد كتابه العزيز برأي حكم أنه مراد الله حقا حتى لو كان لله مراد سواه لخاف الحق سبحانه وتعالى من هذا الشريك، وغير مراده لمراده، تعسا لك أيا الغبي الغر.

إن للرجال لأسرار أذاقهم حلاوتها، بعد أن هذب نفوسهم بتوفيق، وألبسهم حلل الذل والتسليم، والمجاهدة لذاته وفي ذاته، فهم المجلمة أبدانهم بالعمل الصالح والخشوع والتواضع والذل، وقلوبهم بالثقة والتوكل واليقين والتسليم، والتوجه إليه، والرضا عنه، والحب فيه، والدعوة له بالحكمة الموعظة الحسنة. للرجال سر أخفاه حتى عن الملائكة، حتى كأن العبد المصطفى له سبحانه يبتليه، فإذا صبر اجتباه، وإذا رضي اصطفاه بنص الحديث، لم يكن أيها المغرور الدين كما تزعم عكوفا على العمل الصرف للدنيا، والغفلة عما أمر الله به أن يعمل.

الدين عقيدة كما نص القرآن، وخلق كما كان الأنبياء وعمل كما كان الصديقون، ومعاملة كما كان الحكماء الرحماء الكرماء أكان الدين جدلا ومعارضات برأي وترجيح؟ قم فتريض، وزك نفسك، وقف موقف الجاهل بنفسه

أمام الحق ليفيض عليك غيب علم من أنت، ولديها تذوق لذة أسرار الرجال، التي جعل الصحابة رضوان الله عليهم يتركون دينهم وأعراضهم وبلادهم، ويبذلون أنفسهم ونفيسهم في نوال تلك الأسرار بعد التحقق بنوالها، لم يكن ذلك بشقشقة لسان ولا مقدمات جدل، بل كان بحال نبوى ونور قدسى.

إليك عني يابطال، للرجال أسرار خفى ظاهرها عن العقل، وغاب باطنها عن اللب، ليست بذكاء ولا بمدارسة ولا بحكم عقلى، وإنما كان ذلك بفضل الله، والجد في تهذيب النفوس، والذهد في تلك العاجلة وما فيها مما هو مأمولك ومتمناك. أنت بسعيك في طلب الدنيا خصصت منها بأسرار يجهلها كثر من العلماء أمثالك، وعلمت رموزا تغيب عن أكثر الخلق من روابط الدول وأسرارها، ومعاملة الخلق وأسرار الصنائع والتجارات والمعاملات وأخلاق طباقات العالم، حتى كأنك بهذه الأسرار عالم بالمستقبل وما يكون للعالم. فتنبه كيف يقبل عبد بقلبه على ربه ؟ ولم يعلم منه أسرارا تغيب عن مثلك، ويحيط علما بما يحبه ويرضاه، ويذوق لذة ما يقرب إليه.

قم أيها المشغول بما لا يجدي، واسع في تزكية نفسك ورياضتها، وتجمل بحقيقة العقيدة الحقة لكمال التسليم، وتخلق بجمال الأخلاق، واجتهد في القربات وحسن المعاملات، ثم شاركني نادما مقبحا مسعاك، ساخطا على نفسك ونفس

زمنك، والله يوفق من يشاء، ثم بعد ذلك تنعم بمشاهدات تلك الأسرار من ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[1].

لعل خيالك الكاسد فهمك أن تلك الأسرار هي قلب الحقائق، ونفع الخلق ومضرتهم، ومشاركة الربوبية في الإيجاد والإمداد. جهلت وبعدت. هذه الأسرار هي يقظة القلب بعامل الفكر، والتدبر في السموات والأرض كما نص الله تعالى، وخوف بالخشوع والرهبة والرغبة على أعتاب الأوامر الإلهية، وسعى وجد بنشاط في العمل المقرب لرياضة النفوس وتطهيرها من أدران الحظوظ والميول إلى الحضيض السافل. والتعلق بمعالي الأمور الطاهرة الموصلة إلى الحق، بقطع الآمال الفانية من الجاه والرفعة، والعلو في الأرض والفساد فيها، ونقد الخلق، فتح أبواب الفتن والجدل، ومحاربة أولياء الله، والذل والخضوع للكافر، والعزة والعظمة على المؤمنين، وتحسين أعمال من حكم الله عليهم بأن أكثرهم لا يعلمون أو لا يعقلون، وتقبيح أعمال أهل الذهد والورع في الدنيا والدعاة لله، والمتحابين على ذكره والإقبال عليه.

أبعد هذا كله تبتغي أن تنال سرا من أسرارهم ؟ أو تفوز بحظوة من حظواتهم؟!! دع عنك التكلم فيما لم تحط به خبرا، ولن تستطيع عليه صبرا. تمنعك

([1]) سورة الذاريات آية 2، 21.

عناصر مادتك، وتبعدك أدارن آمالك. ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[1] فاشغل نفسك بذم المشوهين للدين المتهاونين بحدود الله تنل الثواب الجميل.

منه ونعمة وإكرام

أكمل منة عليك أن يجملك بحلل رتبتك، حتى تجتلى فيك معاني صفاته وأنت مجمل بجمال مكانتك. والنعمة أن يقيمك عاملا من عماله بمقتضى مراده في كل وقت. والإكرام أن ينفع بك أحبابه وأولياءه. وغير ذلك كله بلاء ونقم.

حفظ المنن والنعم والإكرام؛ أن تحصنها بالتبرئة من الحول والقوة في نوالها بنسبتها إلى الحنان المنان المنعم، وتحيطها بسور من الشكر عليها عند المقتضى، وما من نفس ولا طرفة ولا لمحة إلا ولله علينا منة، وله فيه نعمة، فلا ينفك المقتضى يوجب الشكر، فمن أراد حفظ النعمة تيقظ.

الوقوف عند المرشد:

الوقوف عند المرشد أمان ونجاة . وإن أنزلك عن مقامك وحالك . لأنه يريد لك الوسط لتتمتع بشهود ربك في كل شيء بوجود كل شيء، وهو السنة في التربية. وانظر إلى ذات السيد ﴿ﷺ وآله﴾ برده ابن عمر إلى الوسط، فكن كالميت مع المرشد تحيا أبدا.

([1]) سورة الإسراء آية 85.

نظر المرشد ببصره أعلى في مراتب التمكين من كشفك ببصيرتك إذا كان أنس بما هو بك لك فهو وحشة، و إن كان بفضل تفضل به عليك فافرح مطمئنا.

احذر أن تقف عند حالك أو كشفك، فإن للمرشد منازلات يكون فيها أحقر الحقل ظاهرا وباطنا لمقتضى المنازلة الإلهية، وتكون أنت مجملا بحال فتجعل ميزانا بينك وبينه. وكن ـ مهما ترقيت وتنزل ـ حلة من حلل جماله، وغصنا نضرا من أغصان شجرته، اتصاله حياتك،، وانفصاله هلاكك. قد يكون المرشد مجملا بحقيقة ذاته التي أنت لم تصل إليها، وأنت مجمل بمعية الحق لك، فتسخر لك العوالم وتلبيك الأسماء، والمرشد بين خوف ورهبة واستكانة وهيبة، فتجهل مقامه وتزهو بجمالك.

المرشد سر غامض مرتبته، وجهر جلي مكانته، ظاهره ذل العبودية وخشوع المشاهدة، وخوف الإطلاق، واستكانة المعرفة. وأنت في بسط الجذب بعامل الود، كن أشفق عليه من شفقتك على نفسك، وارهب له من خوفك من النار، ومهما ظهر لك من ذله واحتياجه إليك واستعانته بك؛ فاجعل ذلك منزلة الاختبار، وميدان الامتحان، وابذل النفس والنفيس قبل الإشاراة، والروح عندها، وانظر إلى حوادث الصديق مع السيد ﴿ﷺ وآله﴾، وعلى ذلك فانهج. إذا ميزك بخصوصية أو رفعك بمزية فلا تجعلها شاغلا لك عن العكوف على ذاته، واحتقار ملك الأرض في جانب خدمة أعتابه، فإنه لو أنس بك ما أبعدك عنه؛ إلا إذا أقامك

مقام ذاته في شأن، من شئون واجباته كما فعل موسى بهارون عليهما الصلاة والسلام؛ ورسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ بعلي بن أبي طالب في غزوة تبوك.

حال الرجل:

الرجل فرد من حيث مشاهده، فإن تمكن وصار وسطا كان حضوره غيبته، وغيبته حضوره، فيكون مع جلاسه كأنه معهم لما يشهدونه منه من ملاحظته لكل فرد منهم، وهو بقلبه سابح في عوالم اللاهوت الأعلى، وحاله حال يخفى معقوله لكمال عقله، وأخفى منه مشهوده لفنائه عن نفسه، ولكنه محفوظ بحصون الوراثة الشرعية عن أن يبيح لسامع إلا ما يتعقل، إلا لأهل الذوق العالى والتسليم الكامل.

لأن الناس بالنسبة لاشتغالهم قلبا وقالبا بالمحسوسات الكونية والآمال الوهمية؛ محجوبون عن مشاهده، غافلون عن منازله، غير متيقنين حقيقة ما عنده وقفوا، فهو بينهم غريب حكما، منتقد عليه من أهل الجهل والضلال حقيقة، حاله منكور مع معرفته في الملأ الأعلى وفي كتب الأولين، وسره خفي مع ظهوره في قلوب الموقنين، ظاهره الضعف، مع أنه لو أقسم على الله لأبره، وباطنه الرهبة، مع أنه لو شفع عند الله تعالى لشفع، مجهول عند البعداء، معروف عند المقربين، وهو

مع ذلك في رياض الأنس بربه سبحانه ﴿لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1] لا يشغله ما يشغل غيره، ولا يحزنه ما يحزن الناس.

ظهرت له أنوار عظمة الذات الأحدية فملأت عينيه جلالا، وقلبه رهبة وخشية. ظاهره الرحمة العامة لجميع أنواع الخلائق وباطنه تمنى نجاتهم من هول الآخرة، وهو مع ذلك يتيقن انفراد الحق بالإيجاد والإمداد، وأنه يغفر لمن يشاء بدون استثناء، فلا ييأس من قبول المتباعد الجهول، ولامن تحويل حال المعاند الكفور، ولا يأمن مكر الله سبحانه ولو كان في الجنة، لأن مقامه العلى سبحانه لا يتقيد بطاعة ولا معصية، فهو الرحمن بوسعته الإلهية، وهو القهار بعدله الرباني، والكل مقهورون بقهره، مسيرون بتقديره ومشيئته، ذلك الذي جعله لا يحزن إلا حزن خوف مقام ربه، ولا يفرح إلا بإقبال مولاه سبحانه عليه، وولايته له، مع التمكن الكامل من لاحول ولا قوة إلا بالله، تمكن كشف وعيان وشهود وبيان.

هذا حال الرجل. وما سواه مريد رجل حتى يكون هو ذلك الرجل، والله سبحانه هو المعطي الوهاب.

([1]) سورة يونس آية 62.

الباب الخامس

التجليات الوهبية وحال التلوين

ومقام التمكين والمواهب اللدنية والخصوصيات

الفصل الأول

التجليات الوهبية

التجلي الأول:

الكون منفعل بمظهر الأسماء، ومنور بسنا الصفات، والمواليد كلها حية بالنسبة لأنواعها، يشهد ذلك من ذاق حلاوة الحقيقة، وهي خاضعة لناموس العلم الإلهي وسيره، ومسيرة بتدبير القدرة طبق الإرادة﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾[1] ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ﴾[2]

فالمحققون شهدوا الكون وما فيه من مظاهر الصفات والأسماء. فآمنوا بوحدتة، واستملحوا جماله الظاهر في روض الكمال الإلهي، وإذا كان المنشيء قادرا مريدا فلا تتعلق قدرته إى بما خصصته إرادته، ولا بد لكل اسم وكل صفة من مظهر يظهر به بحسب العلم الإلهي المتعلق بكل الممكنات والمستحيلات والواجبات، ومن تأمل في حديث جابر؛ وعلم أن أول مخلوق نور النبى ﷺ وآله﴾؛ تحقق بأن الكون من نوره سبحانه وتعالى، ولذلك فأهل الحجاب يستدلون

([1]) سورة الصافات آية 164.

([2]) سورة الإسراء آية 44.

عليه بالكون، وأهل الشهود يثبتون الكون به، ويوحدونه فيه، ومعلوم أن تمام النظام متوقف على ظهور كل اسم وكل صفة بمظهرها من محو وإثبات، أو فقر أو غنى، أو رحمة أو عذاب، أو توفيق أو ضلال ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[1] فسبحان من حجب بآثار من تعلقت قدرته أزلا بحجابه، وظهر بصفاته وأسمائه لمن علم سعادتهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾[2]

التجلي الثانى:

الظواهر الكونية حجب لمشاهدها، وقد ظهرت مزينة الظاهر لمن وقف عندها، ومحلاة الأطراف لمن اشتغل بها، ومنطوية على لألئ الكنز الأعظم والنور المطلسم لمن تأمل في مبدئها. فهي حجب لمن حجبه الباطن، ومعراج لمن قربه الظاهر، هكذا هي حكمة دقت على الأفهام، وخفيت إلا على أصحاب الأذواق.

كيف يتصور أن يدرك النور بحالة يحجب بها؟ أو يتصور أن يظهر بمظهر يخفى به؟ هكذا تكون الحكمة البالغة، فالمظهر واحد والنسب مختلفة، وكل يشهد بحسب ما وعده ووهب له من الفتوحات، لا بقد رما اكتسبه من العلوم العقلية،

([1]) سورة هود آية 119.

([2]) سورة الأنبياء آية 11.

والأعمال البدنية. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾(1).

التجلي الثالث:

مظاهر الصفات والأسماء عند التحقق بها وشهودها؛ آيات دالات على موصوفها، لديها يشهد وحدة الصفات والأفعال عن الأحدية المطلقة عن قيود الوهم والخيال، والنسب والإضافات، وبهذا التحقق يدخل ميدان الدهشة والحيرة، إذا نظر وجودا وعدما وفناء وبقاء، وشهد الكل عينا والكل غيرا، وهكذا حالة النظام الناشئة عن صفات متعددة في التجليات، متحدة في المبدأ، فإذا نظر إلى الدنيا المرتبطة بالأسباب المباشرة تخيل الغير، وإذا بحث عن بدء البداية وحد ونفى الغر وشهد العين فالصفات مختلفة في المتعلقات، متحدة في التأثير، وكل صفة لا تتفاوت عن غيرها من الصفات من كونها قائمة بالذات المقدسة، فالمتحققون يرون الكل عين الكمال، ويشهدون الجمع. اللهم إلا أن التفاوت ليس إلا في نفس النسبة المضافة إلى كل صفة من حيث مصدرها، ولذلك كان جمال الكون وحسن نظامه ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾(2) هذا نظر أصحاب مقام الشهود، وأهل رتبة التلوين. وأما أهل الفرق الأول فيشهدون النقص والجمال والكمال؛ بحسب ما يظهر لحسهم من اللذة والألم. والحقيقة عند أصحاب مقام التمكين هي: شهود

---

(1) سورة فصلت آية 3.

(2) سورة هود آية 118-119.

الفرق بين الإرادة والأمر، فيشهدون الكمال في كل شيء بالسنة لإرادته، والقبح والحسن بالنسبة لمخالفته الأمر وإطاعته ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[1] ومن تأمل في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾[2] تحقق بصافي الشراب، وتتوج بتاج الفوز والوصول

التجلي الرابع:

الواصلون إلى الله لا يتقيدون لسرعة تنقل التجليات الإلهية، وانفعالهم بخواص الأسماء ومظاهر الصفات، فقد يكون الواصل في مشهد جمال بظهور اسم من أسماء الجمال، فيشتد الظهور ويقوى الشهود، فينتقل من مشهد جمال صرف إلى مشهد جلالي جمالي فيندهش، وينتقل بسرعة من حال إلى حال، ولذلك فأهل الله يدعون بأصحاب الأحوال، وليس في طاقة المشاهد للجمال الصرف أن يتكلف حالا من الأحوال المغايرة للحال الذي به، لأن الواصل في كل طرفة عين يمد بفيض إلهي وفتح رباني ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾[3] وهذا سبب قولهم: الكامل لا يتقيد. ولذلك فالكامل لا تؤثر عليه مؤثرات الأغيار، ومعارضات المحجوبين بوجه من الوجوه، بل هو دائما في بسط وانشراح صدر مع الله تعالى، فان عن شهود غيره وعن حواسه، فهل من كان هذا شأنه يحجب عن الله تعالى؟!!.

([1]) سورة الصافات آية 96.

([2]) سورة الرعد آية 15.

([3]) سورة إبراهيم آية 34.

التجلي الخامس:

إذا عجز الناظر عن علم حقيقة مظاهر الصفات الظاهرة في نسب المحسوسات؛ ووقف عند عقله مدهوشا عن أن يحيط بكشف تلك الحقائق معقولا بعقله، محجوبا بحواسه؛ كيف يدرك سر الأسرار؟! ويحيط بحقيقة الأنوار؟! حاشا أن يفوز من تعلق فكره بالسبب، أو مال إلى كشف تلك الحقائق بغيرها، أو شهد غيرا والغير حجاب لمن ركن إليه. فهذا السر إنما يظهر عند خفائه، ويخفى عند ظهوره، ولا يكون الوصول إليه إلا به. ومن ذاق طعم رحيقه نظره ببصره، وسمعه بأذنه، وحسه بحواسه، بل وكان هو الحواس، كما تحقق بنص الشريعة. مادام الشراب في الكأس فلا أثر له في الرأس، فإذا ذاقه الشارب تغيرت جميع حواسه، وظهر بغير مظهره، فتأمل.

الجمال الحقيقي والقبح الصوري:

العيون الناظرة لا يخلو حالها؛ إما أن تكون ناظرة به أوبها، فإن نظرت به شهدته فيما نظرت، فلا ترى إلا كمالا ولا تشهد إلاجمالا مهما كان شأن المرئى، وعندها يكون التحقق بنفس المظاهر المضافة إلى الصفات والأسماء، فإذا نظر صورا جميلة شهد المنعم، وإذا نظر كرما وعلما شهد المعطي الوهاب، وإذا نظر عناء وشدة شهد المنتقم الجبار فهو لا ينظر إلا الأحدية المحيطة بكل العوالم، وبهذا المعنى صار الناظر له به يشهده، فإذا شهده وشهد عنه وشهد به وشهد منه وشهد فيه وشهد له، مع التنزيه شهد الجمال المطلق، وعاين الحسن الصرف، وصار حق اليقين سمعه وبصره ويده، إلى آخره. والعين التي ينظر بها تشهد تلك المظاهر

والصور هي الفعالة، فتنسب ما للرب إلى العبد، وما للعين للغير، فتحكم من حيث مظهرها، لأنها هي القادرة المريدة المدبرة على تلك المظاهر والصور المختلفة، بحسب ما تقتضيه خواصها، وتميل إليه ميولها، فتقبح عندئذ وتحسن، وكأنها هي الفياض الحقيقي للعالم، الحسن والقبح، والحقيقة أن تلك المظاهر كلها عند المحققين جمال وصرف وكمال، وعند الواقفين لدى عقولهم نقص وكمال وقبح وجمال، ولا يعارض مذهب مذهبا ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[1].

التجلي السادس:

سوابق العزائم بالنسبة للواردات الإلهية لا تؤثر على الخواطر، لأن الواردات الإلهية لا تتعلل بعلل، وكيف؟ والفتوحات الإلهية وهبية بالنسبة لمصدرها الفياض، ومن تأمل بعين الحقيقة، أو ذاق سلسيل هذا الشراب جعل مطمح أنظاره ومركز دائرته قطب الأقطاب، وغفل عن شهود الغير والأثر لنفسه، وفنى فيه بشهوده له، بغير ميل طبيعي إلى ما تميل إليه الأنفس وتلذ به الأعين. وهكذا أهل النظر الحقيقي يفنون به فيه عن سواه، فيشهدونه بهم فيهم عنه له هو من حيث تنزيهه، ولا يشغلهم شأن في مظهر الصور عن شأن ظهور الحق في أسمائه وصفاته، هذه حالة من وحد، فهو لا يرى لنفسه همة لشهود معبوده الحق فعالا حقيقيا في كل المظاهر المجلوة على الأعيان البصرية والبصيرية، ولا بعد ولا كسل ولا تأخير، لتعلق كل ذلك بالإرادة الإلهية والقدرة الواحدية.

([1]) سورة يوسف آية 16.

التجلي السابع:

الآيات البرهانية بحسب النظر والاستدلال، حجب لك أيها المستدل بالقيود الظاهرة على الحقائق الكائنة في مظهرها، الباطنة بها فيها، الظاهرة لذوي الشهود، فهم يشهدونها بها صرفا عند المزج والخلط، مجردة عن كونها غيرا وسوى، فهي عين معاني الذات، التي تجلى عن مجلاها الجمالات والمظهر في كل شهود وظهور.

تجلي السجود الأول:

العيون الناظرة لأصلها؛ هي في كل أحوالها مشاهدة للحقائق بحسب المظاهر المختلفة الناشئة عن مجالي آثار الأسماء والصفات، وعند التحقق بهذا النظر ينمحى الأين عن العين، وتظهر شمس الحقيقة مضيئة بما في الشريفة. وبهذا تنعكس الأنوار البصرية، فيشهد العوالم العلوية، وتنفذ أشعة الإنسان العيني الكامل في جميع أنظار دائرة الحيطة الإلهية، فيكون داخلا في ميدان التحقق بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ﴾[1] فإذا أبصر تلك العوالم؛ ونظر تلك الآيات؛ وقف مندهشا فيما عاين من خفي تلك الآيات. قائلا بعد أن تعلم الأسماء شهد المسميات ﴿سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[2] وعندها يسجد للمظهر الإلهى؛ الذي ظهر في مظهر الجمال والكمال في الناسوت الآدمي، فإذا

([1]) سورة البروج آية 2.

([2]) سورة البقرة آية 32

سجد وحد، فخلص وتطهر من درن الكبر وحجب البعد والكفر ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ﴾[1] فهذه مرتبة الناظرين العارفين.

التجلي الثامن:

معاني المبدأ محاطة بلمعات أنوار شموس الزينات الظاهرة، ومحجبة للمحجوبات النفسانية والميول الناسوتية فمين انفعل بتلك الجمالات واشتغل بتقلباتها؛ حجب بها عن إدراك حقائق مبدئها الفعال، الذي أفاض عليها بهجة الوجود ونور الحياة، ولولاه لم يثبت لها كون ولا زمن، ولذلك فالجميل الأول أفاض الجمال بتجليات الألوان الناشئة عن مجلى ذات الحسن، ليعرف من لم يذق في مقام "ألست" شراب ﴿بَلَى﴾[2] وليطلعه بما أنعم به عليه على أسرارها ﴿وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[3].

فعرفوه به﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ.. وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا..﴾[4].

([1]) سورة البقرة آية 34.

([2]) إشارة إلى قوله تعالى: " ألست بربكم قالوا بلى" سورة الأعراف آية 172.

([3])سورة النحل آية 78.

([4])سورة الشعراء 78، 8.

وأما من ذاق هذا الرحيق في المقام المتقدم؛ فهو في فناء عن شهوده نفسه وحواسه بل وعن الكون جميعا. وأما من استعلموا تلك النعم في غير ما خلقت له؛ وبرقعوها برداء الصور الوهمية؛ وباعوها بأبخس ثمن﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[1].

التجلي التاسع:

مطالع أقمار الشريعة من مشارق شموس الحقائق، فلا يهل هلال إلا بعد شروق شمس حقيقته. وليس هناك مطالع للبدور إلا من هذا الأفق المبين، أفق التجليات الإلهية والمظاهر الربانية. فلا تجد منسكا من المناسك، ولا فريضة من الفرائض، ولا سنة من السنن قد انبعثت لها الأعضاء عن نور القلب وشدة الفكر وطول الوجد والشوق؛ إلا وقد طلعت شمس حقيقتها، فأنارت بدر شريعتها، فأهدت الأعضاء في دجى ليل قد أضاء بدره، فهذا هو الدستور الذي عليه مدار كل عوالم الثقلين، فلا يتحرك متحرك ولا يهتدي حائرا إلى بأنوار شموس الحقائق الساطعة على أقمار الشريعة، وبذلك يكون الإنسان قد نظر بعين الشريعة والحقيقة نظرا يجعله إنسان الكمال وكمال الإنسان، فيشهد نور خالقه ﷻ من مساطع أنوار كل شيء، وتكون حركته كلية تتحرك بها العوالم كلها، ويكون نظره حادا، ينظر إلى العالم الذي ينسخ الأعمال، ويسمع حتى صريف الأقلام، وتكون كل تلك الهيئات معارج يعرج بها إلى الروح الأعلى، ومراقي ينتقل في بساتين

([1])سورة الفرقان آية 44.

جناتها حتى يصل إلى سدرة المنتهى، وعندها يشهد أرواح المؤمنين في حواصل الطيور الخضر، تغرد بألحان التسبيحات الملكوتية، والتمجيدات والتهليلات السبحانية، ويعاين بعين بصيرته و بصره أن سيدنا الهادي هو المحيط بالعوالم العلوية جميعها، المفيض جميع الإفاضات الرحمانية، والهدايات النورانية، وعندها ينادي ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾[1] وما عرفناه حق معرفته، صلى الله عليه وسلم صلاة منه ربانية لنوره الأعظم، تليق بمقامه كما هو يعلم، عدد ما كان وما يكون إلى يوم القيامة.

التجلي العاشر:

المراتب الأولية أربعة: شاهد، وعارف، ومتحقق، ومطلع.

فالشاهد إن كان عن علم فشاهد حس وعقل، وإن كان عن رؤية فشاهد يقين عن واحدية هوية المظاهر وهو مقام نسب على أعلى مقام تصديق ما بلغه.

والعارف إما بالأثر أو بإلهام. فالأول: رتبة الباحثين في مقام إحسان المريدين.

والثاني: رتبة من صفت ضمائرهم، بحسب الاستعداد الإلهي المنبلج عن سنا صبح الأحدية، السالبة كل إيجاب بمظهرها، الموجبة كل سلب ببطونها، فلا

([1])سورة آل عمران آية 144.

ظهور لشيء إلا عند بطونها، ولا خفاء لشيء إلى عند ظهورها، وهذا ناشيء عن إحسان المرادين.

والمتحققون انكشف لهم المشهودات عن غيبها، فتحققوا بما سرى في جواهرها من سطوع شمس مجلى الذات المهيمنة في حضرة العلم والإرادة والقدر فتحققوا بذلك، ووقفوا عن إحاطة معرفة حقيقة سر ذلك المجلى، لأن التحقيق عند العارفين هو عين الجهل المطلق في هذه الدائرة المدهشة للعقول، المحيرة للألباب "كلكم حمقى في ذات الله ".

والمطلعون شهدوا فناء وجودهم، و إيجاب سلبهم، مع الاطلاع على ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[1] فسلموا وعجزوا وفنوا وجهلوا، فأبقاهم وأعزهم وأطلعهم على مجلى وحدانيته من حيث اليقين وصفا واسما، ومن حيث الذات شهودا علميا صارداً عن حقيقة جهل محض، حاصلة من روض ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[2] وسلام على عباده الذين اصطفى.

التجلى الحادى عشر:

روح الأعمال وحياتها شهود الفناء عنها، ونظرها للموفق بلا تعليل ولا نسبة شيء منها لنفسه. بل يجعل العشق الإلهي باعثا، والجمال الحقيقي معشوقاً

([1])سورة الرحمن آية 29.

([2])سورة آل عمران آية 191.

والجميل الفياض للجمال على تلك الصور مشهودا ومقصودا، هذه هي روح الأعمال. وهناك مقام به تكون الأعمال أرواحا بلا أشباح، وهو مقام الفناء حتى عن شهود حواسه وعن شهود نفسه، حتى يشهد أنه مظهر من المظاهر الربانية، محرك ببارئه فإذا تحقق الإنسان بهذا المشرب الصافي، وتناول كأسه في دير الشهود الإلهي، والجمع الحقيقى، تتحرك بحركة قلبه جميع العوالم العلوية والسفلية، وتؤوب معه الجبال، وتتمايل لذكره جميع الكائنات.

هناك إخلاص أسمى وأعلى؛ وهو إخلاص الفرق الأخير الذي يعرف به العبد حق عبوديته ويحفظ حقوق الرب، وعندها يكون المتحقق بهذا النموذج إنسانا كاملا في صورته ومعناه. ولولا الإخلاص ما حيث أجسام الأعمال، ولا تنورت ظلمات الأفعال، تنورت وهذا باب به وصل من تمسك بمبدئه، وفاز من شرب منه رحيقه، فأحيا بالإخلاص هياكل الأعمال، فذقه شرابا صافيا، وتمسك بعشاق ذات الحق تعشق.

التجلى الثانى عشر:

المظهر الإلهي يلوح على قلب أهل المراتب حسب منازلهم، فتارة يتحققون عند تجلى لون اسم من أسماء الذات المقدسة، ويتيقنون أنهم في هذا التحقق وقفوا على عين اليقين، فتبتهج نفوسهم، وتنبسط أحوالهم، ويتبخترون في روض الفكر ومشهد الذكر، حتى تكشف تلك السحابة بظهور شمس صفة من الصفات الإلهية، التي تغيب هذا المشهد عما تحقق به، وتفنيه فناء يندهش عنده، حتى

ينتقل عما كان فيه من تجلي هذا الاسم السابق، وعند رسوخ قدمه على مظهر تلك الصفات؛ وتحققه بمظاهره؛ تكشف على الفور بمجلى ذات الموصوف، فيدخل في ميدان حيرة الحيرة، فلا يعي ولا يبصر ولا يسمع لما توالى عليه من شدة هذا المجلى الذاتى، ويقف مبهوتا صارخا متلفها ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً﴾ وكيف وقد شهدنا أسرراه فتيقينا ﴿سُبْحَانَكَ﴾ عن أن يثبت العقل، أو يدرك بوادر حقيقة مظاهر الأسماء والصفات إلا بك ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ التي تطلع على أفئدتنا، وتغلى في بطوننا كغلي الحميم، نار العشق الإلهي والغرام الرباني، وأطلعنا على سرك بسرك، واهدنا لنورك بنورك، ولقنا معرفتك عنك بك حتى نسمع منك بك، و نشهدك بكل حس وكل معنى، فنخرج من حجاب الحس وغرور النفس بالفناء فيك ﴿إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾[1] وأن تمطر غيث الصلوات الهاطلة من الحنانة الإلهية إلى النور الكنزي والسر اللاهوتي، دليلك عليك بك، وواسطتك إليك عنك، وعلى آله الأنجم الزهر، وأصحابه سرج الدنيا ومصابيح الآخرة.

التجلي الثالث عشر:

الخواطر إنما وجب كتمها وإخفاؤها لأنها تتوارد بحسب مظاهر الأسماء والصفات المجردة عن المسميات والموصوف، وهذا أمر يوجب الحيرة، والغالب على

([1])سورة آل عمران آية 194.

أهل الواردات سرعة التنقل من شأن إلى شأن، ومن دهشة إلى تثبيت، ومنه إلى حيرة، وهكذا.

ولذلك فحالتهم بنفسها توجب عليهم التستر والكتم، إلى أن تظهر لهم مبادئ معاني تلك الأسماء والصفات، فتثبت الخواطر، وتترقى إلى واردات حقية، وعندها يأخذ صاحبها في البسط مع شهوده ووجدانه، ومنه ينقبض مما يتوالى عليه من تلك الأسماء والصفات المتحدة في المعنى المختلفة في التأثير، فلا يثبت على وارد يرد ويمكث هكذا، حتى يتقوى حاله، وتتوالى عليه المشاهد، فيدخل في ميدان تجليات الأسماء المزينة بمعانيها، والصفات المنطوية في سر موصوفها، فيحصل له جمال الشهود الذي يشرح الصدور، ويحرك عرش القلب، وينتقل إلى رهبوت ﴿أَنَا اللَّهُ لَا إِلَـهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾[1] فيندك كل غير بناسوته، وتصعق روحانيته رهبة ورغبة، وهذا يسمى حالا. ثم يتقوى حتى يفني ويكون على قلب الناموس الأعظم حسب تأهله: فقد يكون كليميا، أو خليليا، أو عيسويا، ويتقوى حتى يكون وارثا مُحَمَّديا، فيجمع بين مقامات الإحسان المطلق، وينظر بكل العيون ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾[2] فنسأله أن يسقينا من رحيق حوض نوره الأعظم، وسره المطلسم، شمس أحدية قيوميته المحيطة بكل واحدي، إنه مجيب الدعاء.

([1])سورة فاطر آية 14.

([2])سورة طه آية 14.

مجلى الذات وتجلى الأسماء:

حقيقة المجلى الذاتي الأقدس بالنسبة للمباحث الحسية والبراهين العقلية عنقاء مغرب، وعند الإضافة لنسب المفهومات الذوقية الصادرة عن شهود التجليات المنبئة بمظاهرها عن خفى حقائقها شمس ساطعة لا تحجب، أشرقت بما تزينت به من ألوان محاسنها المخفية بها لذوي الحجاب الظاهرة بها لأهل الذوق والوجد، فإن أثبت الفرع وأضفته إليه جحدته، وإن أضفته لأصله أعدمته وهو موجود، فعندها يزول العرض ويظهر الجوهر خافيا بما ظهر به، ولولا الجوهر ما ثبت العرض، ولولا العرض ما عرف الجوهر، وعند التحقق هو عين وهو غير. فانظر إلى هذا التناقض وقف موقف المسلم تسلم. فإن ذقت حلاوة التحقيق بإضافة الفرع لأصله؛ ورأيت سر فرعيته تتجلى لك في نفائس انعدام أنيتك وبقاء محاسنه فيك، أثبت المعدوم وأعدمت المثبوت، وخوطبت منك على مشهد تجردك ﴿أَلَسْتُ﴾ فلاترى عند هذا الموقف الذي أشرقت لعين عيان يقينك شمس حقيقة موصوف صفاتك إلا الإجابة ب﴿بَلَى﴾، ولديها يناولك من شراب مجلى ما خفي ببطون ظهورك، وظهر بظهور بطونك وانعدام حسك، صافي العلم الذي به تصير جاهلا، ورحيق الجهل الذي تصير به عالما، عند ذلك تضع قدم الخوف مقدما، وقدم الرجاء مؤخرا، وتشهد روض التلوين عن جهل ما شهدت، وبعدها تختفي عنك المشهودات، وتغيب المبصرات، وتنجذب بعوامل الغيبة، وتحيط بك شهادة العلويات والسفليات بعروجك من سجن النأي عن المصدر الأصلى، وتصل على براق الإيقان الحقي إلى هوية الذات المجلوة، وهوهو عينه وغيره، ولا عينه ولا غيره. كل ذلك في عالم المثال.

وتنتقل إلى اضمحلال هذا المجلى حتى يتدر لقلبك مجلى مبدأ تمكين الخاصة فيثبت في فؤادك نور أهل الحد، ويزداد عليك الحال، فتكون بين ذكر مراقيك وفكر مباديك، إلى أن تحجب عن فكرك وذكرك وأينك وحسك، وعندها تتجلى لك مجالي تمكين الأوابين، بعد اندكاك طورك، وصعق كليمك، وتنادى في حق اليقين، ومقام التمكين، ووقوع العين على العين، وفناء الأين والبين: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾[1] وتثبت في كنز العماء والطلسمة، حتى تفك القيود، ويثبت الوجود، ويظهر المفقود، فيناديك أنت بلسان ضميرك ومقال تحققك منك لك خطاب تنزل ﴿فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾[2] وهو تحقيق مقام صفوةمن ورثوا هوية العبودية، المضافة للهوية الحقيقية عن عين دائرة ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾[3] من نهار شهود الأسماء والصفات بالحس والعيان، ليشهد بالضمير والأركان ليل حقيقة الباطن، فذاق ليلة الإسراء. فإن الليل عبارة عن عماء ظلمة الكنز، والنهار رمز لظهور الأسماء والصفات بجميع آثارها، هذا بعض ما يمكن التعبير به بالنسبة للمجالي الذاتية، والعبارة فيها عبارة، والكون عنها ستارة. أما تجليات الأسماء والصفات فهي على الإجمال شهود صدور ما يحسن بصفات الفياض الأكبر عنه، أو به، أو له، أو منه، أو فيه، أو هو، على قدر رسوخ قدم شارب هذا الشرب، وعلى نسبة ما يتجلى له من معاني كل اسم على حدته، فإذا

([1])سورة طه آية 14.

([2])سورة طه آية 14.

([3])سورة إسراء آية 1.

تحقق أنه الأول والآخر، وليس إلا أول وآخر؛ نظرت أنك إما أول أو آخر، وتحققت أنه محيط بثبوت أوليته وآخريته، فأينما وجهت وجهك تراه بحسب تثبيتك في أهل هذه الدائرة إما "عن" أو "من" إلى آخره.

وإذا شهد قيومية الحيطة المطلقة، ومثبوت عنده أنه بعض العالم؛ تيقنت انضمامه لحيز قيوميته. وإذا كان الموصوف لا يتجزأ فحكم الصفة حكم موصوفها، بذلك يحكم أنه من الحيطة أو بها، أو فيها، أو لها، أو منها، أو عنها، وهكذا، كلما تجلى اسم أو صفة، شهد هذا المشهد حتى يترقى من حس وخيال ومثال إلى ذوق وعلم، ومنها إلى شهود ومعرفة، ويبتدئ بإحاطة هذا السر بقوة يقينه وسلامة ضميره، ولا يزال شاهدا مشهودا، ومعدوما موجودا، أو واصلا مردودا، حتى ينتقل من فرع إلى أصل، ومن جزء إلى كل، وفي هذا الموقف تعلوه دهشة الوجل، وصفرة الخجل، جاهلا بذاته، عالما باسمه ورسمه ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[1] على العارفين به قيامة الفناء فيه والبقاء به ﴿وَالسَّماوَاتُ﴾[2] العاليات هي التي مجلى لمظهر شموسه وبدوره من المطلوبين له ﴿مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾[3] يمين: "قبضت قبضة بيميني وقلت هذه لجنتي ولا أبالي" "سبحانه وتعالى" تنزيها وتعظيما ممن وصل إلى نظر أشعة تلك الشموس المتجلية من أفق مجلى ذات المحبوب في أفئدة المطلوب، الذى غاب عن عين الحجاب إلى عين الصواب، ودخل دائرة مظاهر الجمالات المنبعثة عن ربوبية ذات القدس،

([1]) و ([2]) و(3) سورة الزمر آية 67.

فترجم ذاكرا بعد الهوية الناشئة عن إشراق الأنوار من دائرة ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾[1] ولا سبيل لذوق هذا الشراب الصافي إلا من طريق الكشف، أو من ترجمان فؤاد سكنت الوراثة النورانية فيه بلا كيف، وبها تمام السعادة ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[2] وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد بدر التمام، ومصباح الظلام، وعلى آله وأصحابه الكرام، والتابعين لهم على الدوام.

التجلي الرابع عشر:

اللهم تجلى علينا بما أنت أهله، ولا تتجل علينا بما نحن أهله يا واسع الكرام.

الارتباطات بين المواليد والصور والتفاوت بين الحقائق والعنصر:

علو الهمة في الإلهيات والذل في العقليات رمز يشير إلى ارتباط تام بين المواليد المختلفة أجناسها، المميزة أنواعها، بحسب ما يظهر في كل نوع من أنواعها من الخواص المميزة له، والمنافع المحصورة فيه بالنسبة للزمان والمكان والحال والشأن، حتى لو كشف بعين الكشف على ذرة من ذرات الكون لرأينا بها كل عناصر الأجناس والأنواع العالية عنها في الرتبة تنادى بلسان المقال: يامن أنت أنا، أهلتنى للترقى فنجز ما خصصته حضرة الإرادة لأترقى سلم درج الكون حتى أصل إلى العوالم العلوية بالأدب والخشوع، فإذا سئلت أجابت بمائة ألف لسان تنبئ أن بها كذا إنسانا وكذا حيوانا وهكذا نباتا وكذا معدنا، وكل مادة تطلب أن تصل إلى ما

([1]) سورة الكهف آية 24.

([2]) سورة الحديد آية 12.

أهلت له، ولا تكاد ترى في عالم الكون والفساد ما يقال له شيء إلا وهو مرتبط بجميع العوالم، ومتصل به اتصالا حكيما به تمام الكمال، ولا يظهر جزء حتى من جزئيات الجمادات إلا وهو مع جماديته في عظمة وكبرياء يزدري بآدمي النوع كبرا وعظمة، وفي الحقيقة هو كذلك ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾[1] وذلك لأن كل متأهل للكمال أكبر من كامل في نوعه يظهر له الكمال، لأن المتأهل للكمال أعلى في الهمة من الكامل الواقف، لشهود أنه سيترقى ولزعم الآخر بكماله ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ﴾[2]

([1]) سورة غافر آية 57.

([2]) سورة الأحزاب آية 72.

الفصل الثاني

حال التلوين ومقام التمكين

السالك عندما تنكشف له حقائق تجليات الأسماء والصفات فيما يشهد بحسه؛ يثبت قدمه في دائرة أصحاب الأحوال، فيشهد في بداية هذا المقام أسرار تلك المظاهر الظاهرة في حال، وتنكشف بشهود مالها من الأسرار الخفية عن الحس، فعندما تنكشف عنه تلك السحابة، يعلوه نوع حجاب يجعله كأنه لم يذق شيئا، وعندها يدركه الساقي له بشرابه، فيظهر خفي صدور تلك التجليات عن الأسماء والصفات، فيعروه عند ذلك الفرح الشديد، والهمة العالية، حتى يذوق بعض أسرار هذا الحال، فلا يكاد يمضي عليه زمن إلا وقد قوى حاله، وتجدد بلباله[1]، وخفى ظاهره وظهر خافيه، فيضع قدم الجلال فوق هامة الرهبة، وتفتح له أبواب الحيرة، ويلتبس عليه المشرب لقرب عهده بحال شهود سر المظاهر ولديها تنفعل قواه الوهبية، وتقوى بقدر روحانينة شرابه حتى يثبت في هذا الحال. ومن ذاق حلاوته وتيقنها ثبت في نفسه التحقق بهذا الحال، فترفع على الفور تلك الستارة، وتلمع أضواء ظهرت عن لمعات وميض برق، فتتغير لأجله أرجاء عوالمه، وترتج قواه السمعية بطرب ظهور رعد الجواذب الأسمائية، فيرجع إلى حاله، ويقوى لهفه، وتشتد حيرته، ويتمنى عند ذلك ما تمنته مريم بنة عمران، ويسأل ما سأله الفاروق، وتقوى تلك العوامل حتى تقرب من سويداء قلبه فينادي بلسان الكليم بعد صعقه، فيدركه صاحب الشراب، ويناوله راحا صادراً عن نسبة تعلق تلك

([1]) سروره وطربه.

المظاهر بالأسماء والصفات، وسر التجلي المسمى والموصوف بهذه الأسماء، فيتجمل في هذه الفترة بالكمال، لنزول ستارة النور المتقدم وابتدائه في شهود ما فوقه، ولا تمضى لحظة إلا وقد تجلت له الأسرار الباطنة في أعيان الصور الظاهرة، على أرائك استواء رحمانية الجميل، بلا شهود إلا لما تجلت به تلك الحضرة من نسبة الارتباطات الحاصلة، وفي هذا الحال لا يشهد إلا رفارف الجمال تنسحب عن لآلئ الزينات، مجملة بالرموز، محجبة بالطلاسم، فيقف موقف المستأنس لأنه لم ينظر ولم يسمع ولم يذق بحواسه، حتى يتمكن هذا المشهد في سويداء قلبه، وعندها ينزج في محيط أحدية الأسماء والصفات، ويرى أن أدوار سيره قد انتهت، ومقام أوقات وصاله قد صفت، ولا يشعر إلا وقد سلب كل حاسة فيصير ميتا مع الأحياء وحيا مع الأموات، ويتكيف له أن قواه وهنت، ويشده بعد هذا الحال رؤية الجحيم، فيقهقر بأشد ما يكون من السرعة رهبة من هذا التجلى، ويتمنى ما تمناه زكريا، لأنه شهد هذا المشهد في حال غابت عنه كل العوالم، وينادي لعدم إداركه سر السير، في هذا المقام يترك الخليل خليله؟ فيدركه الساقي ويناوله راحا صافيا، فينزل عليه رفرف التكمل، فيثبت مسرورا برهبة حتى يرفع إلى حال الغيب، وفيها يزول عنه الروع بتجلي السلام في صورة مثال التصديق، ويبتدئ في هذا الحال أن يتحقق بحق اليقين، ويشهد منازل التمكين. وصلى الله على سيدنا مُحَّد وعلى آله وسلم.

من ذاق المعنى لحق المغنى:

الآثار الكونية من حيث المادة المجردة عن الصور الجمالية الإلهية لا يجري عليها أقل حكم عقلي، بل هي والعدم سيان، وإنما أضيف إليها وصف الوجود مع تحققها به من حيثيات تتعلق بما تزينت به من أنواع التجليات الأسمائية، التي عندما تتحقق بها ظهرت مزينة بصفات الكمال، دالة بها عليها، حتى يتحقق الواصل إليها بها في الوصول إلى المفيض عليها هذا الجمال ﴿وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1] فكل ما ظهر من جميع العوالم العلوية والسفلية إنما هو دال بذاته المادية إلى كشف أسراره الروحية، حتى ينتقل من غرفها إلى معرفتها به﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[2] فمتى دلته عليها بها؛ وذاق سمعه وبصره ما وراء مادتها؛ قوى الذوق حتى يصل إلى الفؤاد، وعند ذلك ينتقل من ظاهر إلى باطن، ويظهر له أن تلك المادة إنما هي ستارة أوجبها وهمه، وسحابه عظمها صغر حجم شمه، حتى اشتدت حرارة نار الشوق إلى الأصل فانجابت تلك السحابة، وذاق حقيقة سر المعنى، فوجد الكل هو مطلسم في كنز الباطنية، مرموز بسر الظاهرية، ولدى فهمه للمعنى يدخل مغنى مجالى ذات الحيطة الكبرى، والإيقان القويم، ودليها لا يرى له شريكا ولا ولدا ولا كفؤا، من عرف

([1]) سورة النحل آية 78.

([2]) سورة فصلت آية 53.

نفسه فقد عرف ربه ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[1] فذوق المعنى كشف سر المادة، والدخول إلى المغنى الانتقال إلى أحدية الوجود بعد الفناء عن النسبة الإضافية، وما قبل ذلك فمراق للمريد، ومعارج للواصل، والله أعلم.

ظهور المعنى وسر المجلى:

عند كشف نقاب الأحدية؛ وسلب ظاهر الأنية؛ تلوح نسمات روض اللون الأول عن مفصل إجمال الواحدية، فينتقش صاحب المقام أريج التحقيق بالوحدانية ويتناول رحيق هوية اليقين، بعد ظهور شمس التجليات عن بطون مجالي المتجلي، بعد انمحاق هلال التكاليف، وشروق بدر التعاريف في أفق نسبة الظاهر إلى الباطن، وإضافة الأول إلى الآخر، حتى يغيب هذا البدر مع ظهوره لشدة تلألؤ شمس حقائق الأعيان، التي اتحدت في عينها لعينها بحسب ما تجلت به من أنواع الجمال وتحلت به من أصناف الكمال، ولديها تبتدئ القوى تظهر مزينة بما انطوت عليه وما ظهر فيها، وما خفى بها، حتى يزول الظرف ويبقى المظروف، ويفنى الظرف والمظروف وحدة الكلمة الفهوية، الناشئة عن الحقيقة الكنتية، المرموزة بالألوان المعنوية بالجمال، ومتى فنى من عليها ففناؤها أولى ويبقى الوجه الملون

([1]) سورة الذاريات آية 2. 21.

بالجمال والجلال ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[1] كل ذلك مقام كشف المعنى.

ثم تشاب التجليات بجليل مظهر معانيها، وتترادف التجليات المحلاة بعين مباديء الكمالات الصفاتية، المجردة عن معانيها بعد الفناء عن الجمال والجلال حتى تتوارد مجردة، فيدخل عندها في دائرة ﴿يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾[2] فانظر إلى قوله تعالى لأصحاب المقام: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ بلفظ: رب، وقوله: ﴿يُثَبِّتُ اللّهُ﴾ بلفظ الجلالة، لأن هناك عند تجليات أسماء الجمال والجلال لا يكون إلا هو في كل منزلة،، وفي مقامات الإيقان يظهر كل بمظهره، لأن المقامات ثلاثة: بيان، وعيان، وإيقان. هذا بعد الترقي عن الأحوال، وفي مقام الإيقان تتوالى تجليات موصوف الصفات الكمالية، حتى ينغمر في سبحات الفرق المشوب بالجمع، فيكون في عين التحقق بالذات المحلاة بالأسماء والصفات في مقام إيقان ﴿وَلِلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ﴾[3] بالاسم الشريف فيها، وفي هذا المقام يرث مظاهر أسرار ﴿قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾[4] وبذلك يدخل

([1]) سورة الرحمن آية 26 27.

([2]) سورةإبراهيم آية 27.

([3]) سورةالبقرة آية 115

([4]) سورةالأنعام آية 91

ميدان تحقق الإنسان الكامل، ويشرب من رحيق ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾[1].

النور الحقي والظلمة الخلقية:

المراتب الظاهرة لأهل الشهود من وراء ستارة التحقق بعلم اليقين تفيض على صاحب هذا المقام آية الاستدلال والبرهان النوراني، المشوب بهيمنة العقل الوهبي المزين بمبادي العلم الشرعي، فتلوح لصاحب الاستحضار بوارق تقابل المعاني القائمة بتلك الصور الآثارية بمحو نمائها، وتتراكم بعد تلك البوارق سحب كثافتها على نورانية، فتحجب شهود أنوار شمس حقيقته، ولديها ينزوي في وادي التيه حائرا، بين وهم يبعده، وعلم يرفعه، حتى يقوى علمه فتلوح حرارة شمس حقيقته، فتذيب هذا السحاب المركوم، وتتساقط أمطار العلم على أرض التسليم، فتحيا وتتزين بنبات الشهود، وتظهر الشمس بضوئها النافذ فتنور الأرض، فيشهدمن مقام عين اليقين خفي ما في تلك الصور من الأسرار الحقية، ويثبت قدمه على عين اليقين مشاهدا للشمس، وبها جميع ما حوله، لأنه بغير الشمس لا يشهد حتى نفسه، فيكون شهوده بالشمس وللشمس، ولا يزال يترقى بشهود أنوار وآيات تتوالى عليه كل طرفة عين ونفس، حتى يتحقق بعلم الملك علوا وسفلا، ظاهرا وباطنا، بالبصر والبصيرة.

([1]) سورةالحج آية 75

ثم بعد أن تبدو له تلك الآيات الملكية؛ تعلوه حيرة منه له، فيظهر له منه خفاء ما فيه، فيغيب به عن شهود ما حوله وفوقه وتحته، ويجول في مدينة حسنه وجماله وكماله، منزها لما يظهر له منه من غرائب ما يراه فيه، من الآيات التي هي عين ما شهد قبل في غيره، ومن الأنوار التي سمت وعلت، ثم يشهدها في جميع ما شهد، حتى يغيب عنه شمس حقائق ما شهد من غيره، ويعلوه من الدهشة ما يجعله فوق طور الطلب، وتحت ناموس الشوق المقلق الموجب للهيام، وعندها يغني عن القيود الناسوتية، التي بها توصل لكشف الملك، لظهور لمعات أنوار الملكوت بعين بصيرته عن مشكاة المثال الحقى، في كوكب التجلي الأسمائي في صورة الزجاجة اللطيفة النورانية، ويفنى بعد هذا الفناء في رتبة خفاء المرتبة الإحسانية، فتمتلئ بغير استحضار، بل بقوة ما يفاض عليه من لدى الأوصاف الحسنى من التنزيه الإثباتي والتشبيه السلبي.

ويبوح عند الهيام بلواعج الشوق حتى يكاد أن يترجم من غير إدراك عن الغيب المصون الظاهر له بالبصيرة، ترجمة تنبئ ظهوره بالبصر لشدة ميله للتشبيه، ولقوة الجاذب الحقي الذي جذبه بعد سكره من رحيق محو معاليم المحسوسات بحان ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[1] فلا يميل لحكم البصيرية عليه إلى ملاحظة ما شهده البصر وبقية الحواس، لصفاء زجاجته واستضاءتها بنور زيت الزيتونة المنزهة الربانية، وإذا أشرقت، وأنوار شمس الحق؛ وانجاب سحاب الخلق؛ دخل

([1]) سورةالنور آية 35.

حظيرة القدس بيقين الحق وحق اليقين، وانجلى له من وراء ستارة التنزيه الكامل ضياء شمس الذات الأقدس بجهل الكم والكيف والأين، وعلم العظمة والكبرياء الذاتي، ولديها تظهر الآثار الكونية، محلاة بالأنوار الحقية، فيشهد بالبصر القيدي الكون العبدي، وبعين البصيرة الحقيقة بذوقه حلاوة شهود آيات الربوبية، مفاضة على كل تلك العوالم العلوية والسفلية، فيكون ممن غيب عنه شهود الآثار، لشدة تلألؤ نور شمس الحقيقة بباطنه، وشهوده للآثار، لما أفيض عليه من كمال مقام العبودية المطلقة، التي يشهد بها الخلق مقهورين بجلال الربوبية، ومتمتعين بإفاضة جمالاتها. وهذا هو النور الحقي، وبه يكون الوصول إلى حضرة الحق جلت قدرته.

وأما من شهد الآثار وشهد ما فيها ولها وبها؛ فقد حرم عن شهود الأنوار، وحجب عن تلقى الأسرار، ووقف في ظلمة الوهم والخيال، واشتغل بأسفلية النأي عن شهود المعطي الوهاب، قال الله تعالى: ﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾[1] أي: يخرجهم من ظلمات شهود ما فيهم لهم وبهم؛ إلى شهوده له وبه، فيتمتعون بتلقي الأسرار من حضرة أمينه الأكمل، ورسوله الأعظم ﴿ﷺ وآله﴾، وهذا هو المقام الذي تسارع إليه أرواح الأولياء، وتتشوق إليه همم العارفين بالله تعالى.

نسأله سبحانه وتعالى بجاه الشفيع الأعظم والوسيلة الكبرى سيدنا مُحَمَّد ﴿ﷺ وآله﴾ أن يمتعنا بشهود الأنوار والأسرار واللطائف اللدنية، إنه على كل

([1]) سورةالبقرة آية 257.

شيء قدير وبالإجابة جدير، وصلى الله على سيدنا مُحَّد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين آمين.

السر الخفي في المبنى الجلي:

أيها السالك في غياهب المحسوسات السائر بك، من أين انتقالك؟إليك عني، فما هكذا السير، ولا هكذا السلوك، فأنت إنما أنتقلت من كون إلى كون، وخرجت من ظلمة إلى سجن، وما ذلك إلا لاشتغالك بحسك، واحتجابك عن استعمال نور سرك، رويدك أيدك الله وإياي بتأييده الروحانى، وكشف عني وعنك هذا الحجاب الحسي لتشهد بعيون الضمير خفى أسرار القدير، وتبصر بعيون التفكر في هذا الرياض المنير، فإنك أيها الأخ إذا لاحت لك أنوار سريرتك؛ وأشرقت عليك شمس حقيقتك؛ غاب عنك سجن نأيك، وشهد لك سر غيبك، فكنت مشاهدا لخفي الأسرار، متدبرا في آيات ظهرت فيك وفي الآفاق، عندها تتحلى بحلية أهل السلوك، وتتوج بتيجان أهل القرب.

أخى، هذه المباني الظاهرة؛ حجب أبعدت من طلب الدنيا والآخرة. وتلك الآثار المحسوسة؛ حضيض به هوى فيه من رده الحق إلى أسفل السافلين. فتجرد أخي من الركون إلى تلك الظواهر التي تشتهيها القوى البهيمية، وترفع بنفسك الملكية من أن تجعلها معقولة تحت سلطة الحيوانية، وانظر بعين الفكر ما في السماوات والأرض من بديع جمال الواحد الفرد، لا تشتغل بجمال السماوات والأرض، فجمالها حجاب، وحسنها جنة لمن طرد عن الباب، وشاهد ما فيهما من جمال مبدعهما، ولتكون متنعما بشهود الملكوت، وتشرق على ظلمة ناسوتك أنوار اللاهوت، هذا كتاب الله سبحانه وكتاب رسوله ﴿ﷺ وآله﴾ أمرا بالفكر والتدبر، وأنت أخذت أخذت بحظك ولذتك، فاتبعت هواك وشهوتك.

أفق، فليس الأمر كما حكمت، وراء تلك الحظوظ الجسمانية؛ والملاذ الناسوتية؛ جمالات قدسية هي عين الحسن الدائم والنعيم المقيم، بل هي اللذة الروحانية والكمالات الملكية، فأين هذا الحظ الزائل واللذة المنقطعة من هذا النعيم الدائم والإحسان الباقي؟ وليس بينهما فرق إلا بالفكر والتدبر. فعليك أيها السالك بالتوجه القلبي، والاستحضار في سرك وعلنك، والمراقبة في خلوتك وجلوتك، لتشهد من أسرار الغيوب آيات جمالات شمس الأنوار الحقية، التي أفقها منك القلب، وبروجها سمعك وبصرك وذوقك ولمسك ولسانك وفرجك وبطنك وأعضاؤك، فإذا أشرقت تلك الشموس في أفقها؛ وانتقلت في أبراجها؛ انكشفت لك حجب الآثار عن رفيع الأسرار، فشهدت من الكثرة الوحدة، ونظرت سر التجلي بتجلي الأسماء الربانية، في تلك المظاهر الحسية، وتغيب عنك وعن تلك المظاهر بشهود من هو ظاهر وباطن، وبذلك أيها السالك تنتهي أسرارك إلى سدرة منتهى علوم الخلائق، فتعرف نفسك، وتذوق عندها غيبتك عنك، ووصلك به إليه، وتذوق مدامة الفناء عنك، من تحققك بلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، ولديها يغشى سدرتك من غيب كمالاته وسر ربوبيتة ما يغشاها، من التفضلات القدسية، والكمالات العلية ما تصير به نعم العبد، بعد أن تؤوب بك منك به إليه، فتبدل تلك الصفات الملكية والإنسانية، بتلك الهبات الإلهية، وتبرز للحضرة المنزهة الأحدية في حلل الرهبة والرغبة، وبهذا تتحلى بنعم العبد، متعني الله وإياك بسيد الرسل ﴿ﷺ وآله﴾، وحفظني وإياك بحفظه، ووفقني وإياك لإحياء سنته ﴿ﷺ وآله﴾.

الفناء بالجمالات:

الفناء بالجمالات بساط الأنس، ورياض الشهود، ومرابع التنزلات، والفاني بالجمال في بسط التجلي، ومقامه حضرة الربوبية، بغيبه عن كونه القيدي ومظهره العبدي، وبهذا تلوح له من وراء روحه القدسية نورشمس الروح الكلية من ﴿وَنَفَخْتُ﴾[1] فيشطح بلسان العبارة، فإن كان وجه الشهود سماويا ترجم عن حقائق الآيات ودقائق الحقائق، وكانت عبارته خمرة المقربين، ونفحة الروح الأمين، تفك بها قيود الناسوت، وتقوى بها أنوار اللاهوت، فتناول سامعها رحيق التحقيق، ويتحلى بحلل الإيمان الكامل، ويسبح في بحار الإحسان، ويتخلى عن الحضيض، وهذا اللسان الصادق ترجمان الرحمن وبشير الرحيم، وآية الصادق الأمين ﴿ﷺ وآله﴾، وقد يتولى على صاحب هذا اللسان حكم أدوار الناسوت فيحتجب عنه هذا الإلهام؛ حتى تشرق عليه أنوار حال صادر عن نغمات نفس رحماني أو نفث روحي.

الفناء بالجلال:

الفناء بالجلال ميدان المدافعة، ومجال الممانعة، وطريق الرياضة، ووادي التيه وسبيل الخوف، فتنقبض النفس الملكية لشهوده لحاله الكوني، ومظهره العبدي، ومقامه حضرة الهوية. فلا يقوى على غيبة عن " ك" والتحلى لحلية "ي" ولا شهود سنا أنوار شمس " ع" بل الحيرة حالة، والرهبة صفاته، والخشية مقامه، ليس له

([1]) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ سورة الحجر آية 29.

لسان فيترجم، ولا شهود فيعبر، وإن انسدلت عليه أفياء الهوية وظلال الألوهية؛ أباح بلهب نار الهيبة، فأبعد القريب وقطع البعيد.

الفناء بالجمال الجلال:

مقام العارف المتمكن والفارق الأمكن صاحب العينين المشرقتين بالشريعة والتحقيق، والقلب المنير بحق اليقين، واللسان المترجم عن أسرار التنزيل وحقائق التأويل، لسانه يكشف ظلال الآثار، ويظهر حقائق الأنوار، فتارة يقربك بهمته، ويرفعك بعزيمته، وأخرى يمحقك بإشارته، ويسقيك بعبارته. حاله القرآن، ومشربه التحقيق، وعمله في نفسه عمل مُحَمَّدي، يقف موقف الأدب حالة الطلب، ينظره الناظر إليه في عمله أحقر من أن يذكر، وفي حاله فوق أن يوصف، جمع بين كمال رهبة العبودية وجمال الرغبة الودادية، بنظرته تحيا القلوب، وبعباراته تنكشف الغيوب، وبإشارته تفرج الكروب، وهو الفرد الكامل المنظور بالعين المحمدية من جميع الوجود.

الحمد لله على نعم لا يقوم بالثناء عليها لموليها سبحانه إلا هو، حمدا من ذاته لذاته لعجزنا عن القيام بحمده سبحانه وتعالى.

الصفاء القدسى:

إذا انجلت سحابة الغين عن الروح الملكية؛ ظهرت آيات أنوار العين القدسية، هنالك تبدو الأسرار من حضرة الواحدية، وتلوحم الأنوار مشرقة من غيب تجليات الأسماء العلية، فيفنى ذلك الإنسان فناء يجعله حاضرا مع فنائه، ذاكرا

مع صمته، فاكرا مع موته، تنجلي له حقائق تلك المظاهر، فيشهد بعين الغيب حقيقة الظهور، وبغيب العين حقيقة البطون، ولديها تهب نسمات الكنز المطلسم على روض التجليات فتهب أزهار الوجدة المتنوعة من حيث تعدد الأسماء نوعا ووحدتها ذاتا، وإذا أفيضت تلك الحلل الربانية على تلك الأعيان الخفية، فتميل بجواذب تلك العوالم الذاتية إلى أن تتحلى بنسبها لها، وتتملى بشهود أنوارها، فتنفك طلاسم البينية، وتزول نقطة الغين الحاجبة لتلك الحظرات الغيبية، وتزول سحابة الرين لشدة حرارة الشمس الإلهية، وترفع ستارة الكون عن وجه المكون، فيشهد عن تحلى بحلل الرضوان هذا الوجه الجميل ظاهرا في كل وجهة، متلذذا برشف رحيق ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ﴾[1] ومتنعما بشهود كمالات أوصافه الربانية في روض نزاهة ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[2] يافتاح ياعليم يامعطي ياوهاب.

الروح إن قادت عوالم الإنسان الكامل في بدايته؛ محقت في عينه الأكوان بظهور سر المكون، فيسبح في حيطة الأنوار القدسية المحيطة بجميع العوالم، فلا يشهد إلا نور الله من رمز ﴿وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ﴾[3] فيكون لا متحركا ولا ساكنا مع حركته وسكونه، إذ شهد الحول في الحركة، والقوة في السكون لله تعالى، وهو الجامع المجذوب للحق بالحق، فإن أمر بالعبارة كانت عبارته نوار يقذف في

([1])سورة البقر آية 115.

([2])سورة القيامة آية 22 23.

([3])سورة البروج آية 2.

قلوب المؤمنين، لا تشغلهم ظواهرها، ولكن يحتاج المستمعون إليه إلى تسليم له لا تقليد، فإن تقليده في حاله مع حكم النفوس على عوالم الإنسان يمزج المشهد. ولذلك لزم للسالك التضلع من الضروري من علوم السنة والكتاب، ليستمد من نور معلوماته كشف عبارة هذا الواجد، حتى لا يخطئ في فهم ولا ذوق. وهذه العبارة تكون ظلمات على من لم يرد الله أن يهديه، فيفهم ظاهرها المومي إلى ما يخالف عقله الحاكم على الشرع، لأن الشرع عنده تابع لهواه، لحكمه أن الله تعالى بقدر ما يخيله له خياله، وحكم له به عقله، وأنه سبحانه ليس له علوم اختص بها المصطفون من عباده في كل زمان ومكان، وهذا الواجد لبدايته يقهره حاله، فلا يمكنه أن يخفى وجده من شد اصطلامه، ولم يخل مثل هذا من معارضة أهل الأهواء، وربما جر ذلك إلى القدح في المرشد الكامل، الذي أذاق هذا الصادق نور الحكمة، وأشهده أسرار الكون، وليس ذلك إلا لأن الله سبحانه وتعالى حفظ أسراره عن أن ينالها أهل الغرة به سبحانه، فجعلهم . فضلا عن قطيعتهم عنه سبحانه، وبعدهم عن شهود أنواره . معارضين لأوليائه محاربين لهم، حفظا لنواميسه أن يحملها إلا أهلها، فإذا أنعم نعم، وإذا أبعد قطع، لا يسأل عما يفعل.

المرشد الذي تزكت نفسه وتطهرت عناصره

أما المرشد الذى تزكت نفسه، وتطهرت من عوالم الحيوانات والنباتات عناصره، حتى نهج بظاهره الإنساني وباطنه الروحاني مناهج الهداية بنور الدلالة، ولاحظته حضرات الموفق الهادي النور الرشيد الفتاح العليم المنعم المتفضل الوهاب الودود بالعيون التي نظرت لصاحب الهداية منه له به، نظر وراثة لحاله ومقاله

وعمله، فذاك الإنسان الوسط الذي لا تقهر روحه جسده فتطمس عوالم النزيه، ولا جسده روحه فتطفئ نور التشبيه، فهو الناظر بالعينين للمشهدين: مسهد التقيد ومنزلة الإطلاق. لا يشغله تقيد ناسوته عن إطلاق لاهوته، فهو ميزاب الحكمة، يفيض ماء السماء على أهلها، ويرفع ماء العيون لأهل الأرض، النظر في وجهه قربة، وسماع عباراته من لسانه لكل فرد هداية، لعلمه بمكانة كل من نظر إلى وجهه، واطلاعه على أمراض القلوب، فبينا تراه غارقا في بحر الهوية، يترجم عن أسرار الواحدية، وإذا به كادح في قيد القيود، يشرح مبادئ التشريعة بحسب مرائي الجالسين معه، حاله محكوم له لا حاكم عليه، ولسانه محفوظ بعين الحق، لا ينطق إلا بما فيه شفاء القلوب، وإحياء الأشباح، وخلاص النفوس، لا يسمع معترض من لسانه ما به الاعتراض عليه إلا كشف رمزه، وبين حقيقته، وحاله لا يتحمله إلا أفراد اختارهم مولاهم، ولهم في صحبته آداب لابد منها.

من آداب أهل الخصوصية والعامة في صحبة المرشد:

1. آداب أهل الخصوصية:

يلزم أن يكونوا تطهروا ظاهرا وباطنا مما يخالف الشرع، من كل الكبائر خلفاً أو عملا، مما هو معلوم أنه باتصافه به يشبه حيوانا أو شيطانا، فإن الحيوان ـ وإن دخل الجنة ـ لا يشهد نور الحق. والشيطان ـ وإن علم ـ لا ينال رضا الحق. وصحبة هذا الفرد شهود للحق ورضاء لله، فإن لم يتطهر السالك حجب عن صحبته وإن كان خادما له.

وأن يخلق بأخلاق الرسالة من الصبر والرضا والتوكل.

وأن يجعل ذات الفرد هي المقصودة له، لا لكرامة يبتغيها، أو مكانة يرجوها، أو دنيا يصيبها، أو علم يناله، أو فقه يفهمه، لأن أهل خصوصيته هم خاص رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾.

ويلزمه أن يكتم أحوال الرجل التي أباحها له في سر إلهي أو ديني أو دنيوى أو أخروي ـ مادام سمعه منه منفردا ـ لئلا يقدح ذلك في حفظه لأمانته. ولأن كل قول قاله لك منفردا ـ وإن كان مزاحا لك أيها الأخ ـ ففيه فك لرمز حقيقة خفيت عليك، فإذا تهاونت واستصغرت شيئا من كلامه لك له و أبحته؛ لم تكن أهلا لأسرار السماء.

ويلزمه أن يكون مألوفا لجميع المخلوقات من الحيوانات والناس، بما يناسب كل طبقة، تارة بالبذل، وآونة بالتواضع، وآنا بإظهار الجهل، حتى يكون مألوفا للقلوب. فمن لم يمكنه أن يؤلف قلوب الخلق عليه كيف يؤلفهم على الحق؟!.

ويلزمه أن يكون بعيدا عن الشبهات ظاهراً وباطنا، ولا يعتمد على حفظه بحاله، ولا يقلد الرجل في أحواله عند مقتضيات الجمع، فإنه فرد.

2. آداب أهل العامة:

المراد بالعامة كل من لم ينل الحظوة الخاصة بالرجل، فمن يكتم الرجل عليه حاله ويخاطبهم بظاهر الأمر في دين أو دنيا ـ وإن كانوا علماء ـ هؤلاء آدابهم منوطة

بأهل الخصوصية، فيهذبون أخلاقهم بالقول والعمل، ويعلمونهم الخلق الجميل بالبشاشة وتحمل الأذى من الناس حتى يقلدوهم، والكرم بالبذل، والشجاعة بالعمل، والإقبال على الله بالترغيب والترهيب، وكشف مقامات الرجال، والشوق إلى النبي ﴿ﷺ وآله﴾ باتباع أوامره، وإحياء سنته، والمحافظة على الوقت النفيس بصرفه في طاعة، أوعلم، أو ذكر، أو عمل نافع للأهل والإخوان، والود والحب والمعاونة في الله ولله سبحانه وتعالى، حتى تزكو نفوسهم، ويكونوا أهلا لأن يصحبوا الرجال صحبة تسليم وتفهيم، مع إرشادهم لعلم الشرع الحافظ للأبدان والأرمواح من الخلل والزلل، والله سبحانه ولي المؤمنين.

الصفاء الباطن:

هو إضاءة القلب بنور الشمس على باطن تلك الأكوان، حتى أن صاحبه لا يشهد بعين رأسه كمالاتنا إلا بتلذذ باطنه بشهود ما فيه من أسرار الحكمة، والآيات التي نطقت بلسان البيان، مسبحة للذات الأحدية منزها لها، وبذلك فصاحب الصفاء حاضر مع غيبه، شاهد مع سجنه في تلك المحسوسات، حتى يترقى إلى مقام الاصطفاء.

البيان قبل العيان:

لما أن تلونت الذات المقدسة بزينة مجاليها الأسمائية؛ وانبعثت أنوار تجليات معالمها الصفاتية في حضرة الكلمة الكنتية عند كشف لثام النسبة الرحمانية، لأعيان الروح الكلية، في حضرة تعيين مسميات الأسماء الجمالية على شريف الألحان

القدسية بلفظ ﴿أَلَسْتُ﴾، انبعثت عندها الأسرار المخفية، وثبتت المودة الإضافية، ومالت بعد تحقق ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾[1] تلك الأرواح الجزئية؛ إلى ما شهدته في هذا المجلى الجمالي، وقوى حنينها وزاد غرامها، حتى انحبست في مادة الحضيض، وقيدت بتكاليف الجلال بعد الجمال وإيجاب الرهبوت بعد الرغبوت، فاضمحلت قوى استمدادها، وانحصرت في هذا السجن الضيق أشعة شموسها؛ عن أن تتصل بأفق أنسها، وعند ذلك نأت عن هذا المورد مع صفتها عليه، واطمأنت بهذا السجن مع تناقضها له، وشخصت بعينها إلى تنسم نسيم عنوان أسماء ما تجلى لها، حتى طربت بالرسم بعد أن كانت تستوحش من الاسم، وحنت للاسم بعد أن تمتعت بالشهود، وصار حنينها بسماع الأخبار لا للرجوع إلى القرار، وشهود الجار لا سكنى الدار، وبقيت تألف أن ترى الأثر، وتشم وتسمع الخبر، حتى قوى هذا الباعث، وانتقل من ظاهر إلى باطن، حتى قوى هذا الباعث فامتزج ظاهره بباطنه، وباطنه بظاهره، وغلبت الروحانية على عوالم المادة فانهدمت أركانها، واتصلت الأشعة النورانية الجزئية بالكلية، والفرعية بالأصلية، فانجاب سحاب النأي عن العين فلم تتمكن الروح من التستر، فلبت الداعي عندما ناولها لذيذ شراب حقيقة العيان، الذي ستره عنها حجاب المادة، عند ذلك انتفى البين عن العين، وزال الأثر عن اللون، وثبت الاسم والوصف، وزال ذكر الطلل والرسم، وقنعت الروح بالاتصال بعد الوصال، بالعيان بعد البيان. وهكذا فالبين قبل العيان. ولم تذق حلاوة البيان الموصل للعيان، بعد التكبل بقيود الهبوط من أعلى عليين إلى

([1])سورة الحجر آية 29.

أسفل إلا بعد العيان في حضرة التجريد من مادة الكينونة، فهكذا عيان قبل بيان، وبيان قبل عيان، فذق هذا الرحيق من باب الإيقان بعد الإحسان والإيمان تكن من الذين أحسنوا، وتفز بالحسنى وزيادة.

والصلاة والسلام على ناشر لواء الإسلام، وباسط موائد الإيمان، مناول أقداح الإحسان، ومتوج أهل الإيقان بتاج ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[1] وعلى خلفائه وأتباعه ورثته، وجميع أمته المحبين لدعوته آمين.

---

(1)سورة القيامة آية 22 . 23.

الفصل الثالث

المواهب اللدنية

العلم بالله تعالى:

العلم بالله تعالى عن شهود ووجود، لا عن فهم للعقول وعقل للمعاني إذ الفهم لا يكون إلا للعلم بأوامر الله تعالى، والعقل إنما يستعمل في إدراك آياته سبحانه وتعالى، وفهم أوامره وإدراك آياته: غيره جلت قدرته وتقدست أسماؤه، فالهبات اللدنية مبدؤها يقين عن ذوق وتدبر، وعلم بالأصول: أصول الكتاب العزيز والسنة المطهرة – يقوى حتى يساوى المشاهدة، لتمكن الموقنين مما ذاقوه من فهم الكتاب العزيز والسنة المطهرة تمكنا عن وجد وشوق وصدق وإخلاص، ووسطه مراقبة استحضارية، لمشاهدة ما تيقنه به من عوالم الملكوت الأعلى، يزداد بها علما , ويكمل يقينا وتقوى لطائف القلب الذي هو محل نظر الحق سبحانه، قو تشهد بها عوامل النفس الحيوانية والقوى الإنسانية، والصفات المجبول عليها الإنسان، حتى تكون أنوار الملأ الأعلى تسطع على لطائف القلب بأنوار الأسرار، وأسرار الغيوب الملكوتيه، وبهذه المراقبة يكون كأنه ملك مقرب , لمشاهدة العوالم الملكية بنور البصيرة وعيون السريرة، واشتغاله باصطياد الآيات العالية من حظيرة القدس الأعلى، وفراغ قلبه مما سوى الحق وآياته، وتدوم الأنوار وتتوالى عليه، فترقق عوالم عناصره السفلية

وتقوى عوالم ملكيته، حتى تنفتق عين بصيرته، وتقوى أنواره فتشرق على عوالمه المادية، فيرى بعيون البصيرة أسرار الغيوب، ويلوح من شدة الأنوار عليه

ودوام التوجه منه أنه يرى بقواه الظاهرة محسوسا مشاهدا، وهو الغريب في عشيرته – وإن كانوا أهله وجيرانه – العدو في قومه – وإن كانوا أرحامه – وطوبي للغرباء , ونهاية الكشف والمشاهدة وهو مقام حق اليقين وعين اليقين، ورتبة الصبغة الإلهية، ومنزلة التدارك الرباني، وحال العناية الصمدانية يرى واها ولا وله عنده، مهيما ولا هيام به، مجنونا ولا جنون يعتريه، وإنما انكشفت له الآيات انكشافا أشهده في الآفاق وفي نفسه ما به قام كل شيء بقومية الحى القيوم، وقدرة القادر الحكيم، وتدبير المريد البديع، فصار شاهدا مشهودا ومقامه عند ربه أقسم به ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾[1]. ولدى هذا الكشف تظهر له سيما العالم، وتنعكس عليه ظلماتهم، إن بإقبال عليه أو بإنكسار فإن كان ممن اطمأنت قلوبهم بذكر شهد الحق، وغاب عن سيما الخلق، فاطمأن قلبه وأستأنس بالله تعالى في الحالين، ونطق، ونطق بالحكمة، لا يغيره إقبال ولا إدبار، ولا يؤثر عليه تسليم ولا إنكار، وهو الرجل المؤهل للوراثة المحمدية، الذي ينتقل لحق اليقين واليقين الحق مقامه (لو رفع الحجاب ما ازددت يقينا) وهذا المقام الإشارة فيه عبارة، والعبارة فيه عماء وظلمة والمتمكن منه فرد الوجود في عصره، إليه الإشارة، ومنه الاستمداد , وبه الفيوضات والأسرار، وهو لب العالم إلي ينظر الله تعالى إلى العالم فيه.

الوجد والتواجد:

([1])سورة البروج آية 3.

إن هذا الهيكل الآدمي اختلفت فيه مادة التركيب , لأنه من مجموع أنواع معادن الأرض، وكل فرد من أفراد الإنسان بحسب ما تركب منه هيكله يكون خلقه وسجيته , ولذلك فأهل التربية الروحانية السماوية، جعلوا الرياضة سلم ترقيه، والمحبة باب وصوله , والتخوشن معراج نعيمه، حتى لا تكاد يسمع السامع حكمة أرضية أو سماوية إلا وهي تنطق بقهر الهوى وقبح الشهوات تكلفا , لأن الهوى والشهوة فطرة حيوانية لا تفارق هيكلا حيا بوجه، إلا بقاهر انتقامي كالفقر والمرض والخوف، أو واعظ من الضمير ينشأ عن إيمان وتصديق بالدار الآخرة، ولا يمكن أن يخلو أحد من تلك الفطرة – مادام عنصرا – إلا من اصطفاه الله وصفاه من كمل الرسل، والمقربين بعوامل التربية الربانية، وأنوار الوحى الإلهى، وكل إنسان بحسب نوع هيكله الناسوتي من مادة الأرض تكون نفوسه السماوية ما مطلقة تتصرف في جميع هذا الجسد التصرف السماوي، أو مقيدة بهذا الجسد السفلى، مندمجة في ظلماته، لا تصرف لها والسلطة للنفس الحيوانية فالأول التواجد يجعله يجد، والثاني لا يجديه التواجد شيئا، وليس له إلا الاحتراق بنار الرياضة القهر مانية، ليذيب تلك المواد الغريبة من جسده , أو النار الجهنمية يوم القيامة والرجل المتمكن من طرق الرياض والتهذيب والإرشاد هو العارف بمسالك القرب والوصول، ومنازل التقرب، وطهارة الأخلاق، وخلاص العقيدة، فيلزم للطالب السعي وراءِ العارف ليسعد بصحبته، نسأله سبحانه وتعالى العمل الرباني، والشهود الإحساني، والقرب الودادي إنه مجيب الدعاء، والصلاة والسلام على شمس الهداية سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

العبد:

شجرة زيتونة مباركة، أشرقت أنوار زيتها على آفاق أرجاء العوالم كلها، فأضاءت بنور الإيجاد وسر الإمداد، حتى خضعت العوالم التقييدية لنور العبودية المشرقة في سماء الهيكل الإنساني الكامل، بسر ما أودع فيه بالاستعداد السابق من الحسنى من لدى﴿ونفخت فيه﴾[1] فهو سر الغيب الذى تجملت الكائنات كلها بسر حضرته، وأفيض عليها جمال الحضرات العليا يسخرها له من حكم ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾[2] فهو هيكل الرب الذي أودع فيه بيته المعمور، ليظهر فيه بأنوار مجلاه، وأسرار علاه، ويصرفه بحكم الخلافة في أنواع العوالم، فيكون مظهر رهبة ورغبة الربوبية فيما سواه من العوالم، ومشهد رهبة ورغبة الذات الأحدية في نفسه لنفسه، فهو بعين العين والجميع بعينه.

العبد وما يدريك ما العبد؟ حجب العظمة القائمة بين مقام التنزيه وتنزل التشبيه، وغامض غيب الأين، حتى لقد يتحلى العبد بحال تفنى فيه حقيقة التقيد بنور الإطلاق و التجريد ويستوى على أرائك المكانة، والملائكة يدخلون عليه من كل باب، وتزول ستارة الإطلاق وحجب التجريد عن عين الباء فتتلألأ أنوار هوية المقام، ومقعد صدق عند مليك مقتدر. العبد غابت حقيقتة، وخفيت مكانته، لو انكشفت ستارته؛ لظهرت بالخفاء حقيقته، ودلت على الظاهر إشارته.

---

(1) سورة الحجر آية 29.

(2) سورة الجاثية آية 13.

العبد سدرة منتهى علوم الخلائق، وغيب نهاية مشاهد الكروبيين، فهو غيب الغيب على العيون والبصائر، وحجاب العظمة للقلوب والسرائر.

سر انكشف من الرب للعبد حتى تحقق لمن هو عبد.

سر خفي عن الأبصار مضنون   غيب جلي لأهل القرب
ئانة سجدت أملاك حضرته   ـــــــــــــــمون
ـام حق بدا والغيب يحجبه   هر فيه نور العبد مكنون
صورة بجمال الحق ظاهرة   هيكل الحسن إذ أخفاه تكوين
ـدو بأسرارها في طور نسبتها   نزها الحسن والتلوين تلوين
          كل يبدو لها والسر مضنون

المراقبة حصن العناية:

مراتب الوجود مع تباين نسبها؛ وتفاوت خواصها؛ حافظة لوسطها بحسب النسب بين الرتب الدنية والعلية، بحيث أن الأحكام والخواص الفطرية والمزايا النوعية اللأزمة لتركيب حقيقة الإنسان فهي بحسب ما جبل عليه من الفطر، منقادا بعوامل فطرته إلى ما خلق، مستعدا له من العمل مطلقا، وإنما يوقف هذا الدافع إلى حد مخصوص، فما أهل له بواعث موجبة ولوازم قاهرة من ضرورياته لحفظ حياته، ولزوميات لمسراته وعاداته، فيكون عكوفه على عمل ما مسببا عن

هذا الداعي القاصر على جلب لوازمه ودفع مضاره، أو لتحصيل ملاذه وبعد آلامه، ولا فرق بين الأنواع الحية جميعها في هذا إلا في النوع الإنسانى وإن يشترك معها في أعم المقاصد ـ إلا أنه بفطرته يشغر بقوة غيبية، يلتجئ بها عن مصادمته بما لا يقوى عليه مطمئنا بها، ولكنه فيما عدا ذلك لا يهتدي بحسب استقلاله العقلي إلى الطمأنينة بهده القوة الغيبية عنه، ما دام لا يضطره إلها موجب روحانى، أو باعث ضرورة، وليست كل النفوس ـ وإن استعدت بحسب المادة لأن تصفو ـ بمؤهلة للصفاء الذي به كمالها لأن كل نفس أخذت قسطها قبل وجودها الكوني في حضرة العلم، وسجل عيها ما هو لها أن تفعله وتناله لا محالة، والأمر مخفي على النفوس بحسب المقتضيات المناسبة لهذا النظام البديع، الذي ظهر بأكمل إبداع لا تفاوت فيه، محكم بحكمة حكيم، مدبر بتدبير مريد، فالنفوس تصفو وتزكو بتذكيرها جلال مبدعها، وعظمة موجدها، وقدرة خالقها، وإحاطتها علما بحكمة وجوها ومثالها، حتى إذا كانت قد سبقت لها الحسنى ذاقت من العلم حلاوة أسرار المعلوم فتمثل لها بما يمكنها أن تمثله له من معاني صفاته العلية المنزهة، وأسرار كمالاته المقدسة، فيكون هذا المثال ملحوظا للقلوب، مشهودا للبصائر، وينتج من هذا الاستحضار حفظ النفس عن الهم بما يكون لذة عاجلة توجب مقتا من المنعم الوهاب، بل تنزعج النفس عند ميلها ـ مجرد الميل بالفكر دون العمل، لما تستحضره من علم العليم، وإطلاعه على خفيات القلوب، فتخافه أن تكون حيث لم يأمرها، أو حيث يكره لها، وبذلك يكون العبد في مقام الإحسان مراقبا لمولاه مراقبة الموقنين، كلما هم بأمر عرضه على قلبه واستفتاه فيه، ثم يعرضه على الشرع،

فإن رأى منه رضا الله وأمره واستعان به سبحانه وفعل، وإلا لا، وهم أهل الخصوصية.

حقيقة الطاعة:

ليس لقوة فكرية ـ وإن صفت ـ ولا لنفس طيبة ـ وإن زكت ـ أن تهم بأمر أو عمل من الأعمال إلا ولها فيه من الحظوظ الخفية، والدسائس الباطنية ما يخفى عليها، لتحسين هواها وحظها لبعض الأعمال دون بعض، ولنشاطها للقيام بشئون دون أخرى، ولذلك فكل فرد جنح إلى السلامة؛ورغب نوال السعادة؛ وجب عليه أن يحتاط كل الاحتياط في أ، يكون كل همه وعزمه وتوجهه وعمله وحاله وقاله بموازين بمازين السنة، منطبقا عليها، مع الحظ الوسط في كل وجهة، بدون غلو ولا تفريط أو إفراط. وبعد هذا الوزن الدقيق يلزمه أن يحاسب سريرته عند الهم به، محاسبة مراقب محتاج إلى أن يكون هذا العمل موجبا للرضا والقبول والثواب من الله تعالى، حتى إذا صدر عنه هذا العمل بعد هذه الملاحظات والمحاسبات الدقيقة؛ يعمله خائفا من الله تعالى، خوف من ربما كان عمله عمل مردود، أو حاله حال مستدرج، ويتباعد عن كل صفة اتصف بها أهل انفوس الشريرة، من الحسد والخداع وحب الشهرة والميل إلى السمعة والسعي وراء التفرقة، بأن يرى نفسه دون كل عباد الله، وفى حاجة إلى الإمدد منهم، ويهتم في استجلاب رضاهم بما يمكنه من إطاعة أوامرهم التي لا تؤدي إلى مخالفة أو معصية، خشية من تنفير القلوب، وتفرقة الجماعة. ويجعل كل سعيه وراء نوال القرب من الولي الحميد، والرضا منه سبحانه وتعالى، بدون نظر إلى الخلق، أو التفات إلى زهرة الدنيا وزينتها، والعلو

فيها، فإن من اشتغل بهذه الأشياء ربما أبعده شغله عن نوال القرب، أو حرم الرضا، أو نال السخط والمقت. وطالب الحق مهتم كل الاهتمام بنوال لحظة مودة من جنابه العلي، والخلق بأجمعهم مفقودون من قلبه وعينه. فعلى من أحب أن يكون من عمال الله تعالى؛ وأنصار سنة رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾؛ أن يجعل نفسه عاكفا على ما يقرب ويؤلف الخلق، ويودد البعيد، ويحبب البغيض، حتى يعد من أهل الخصوصية، فإنه إذا تخلق بغير ذلك عد من أهل البعد، والله سبحانه وتعالى يتفضل على أحبابه بجمال أنبيائه، حتى لا يخالفوا ما كانوا عليه من لحظة أو طرفة، وبذلك يكون من تجمل بهذا الجمال مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، والله يجمعنا على الحق، ويحفظنا من التفرقة آمين، وصلى الله على سيدنا مُحَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

بر النفس:

إذا علم الإنسان منزلته من العوالم التي حوله؛ وتحقق أنه العالم الوسط الذي تجمعت فيه كمالات الأنواع بحسب فطرتها، فما هو كمال لنوع؛ نقص للأنواع الأخر فوقه، وقد يبلغ النوع كمالات ما هو فوقه من الأنواع كبعض الحيوانات التي تتهذب وتستأنس وتألف وتنفع، فتكون أعظم درجة من غيرها من نوعها وغيره، وتعلو قيمتها حتى تكون مألوفة للإنسان، يستأنس بها أكثر مما يستأنس ببعض أفراد الإنسان؛ فإذا ذاق الإنسان لذة منزلته؛وعلم أنه نوع سوط فوقه أنواع، وهو بكماله الإنساني يحفظ رتبة الإنسان فقط، يتمتع في هذه الدار ويحرم لذة الدار الآخرة، ومشاهداتها التي يذوقها أهل البر بأنفسهم في تلك الدار الدنيا بحسب قوة

اليقين وضعفه، في هذه الحالة يسعى بجد وهمة إلى أن يبر نفسه برا يجعلها تتحلى بكمالات النوع الذي هو أعلى من الإنسان، فيؤلف له ويستأنس به، وعلو قيمته، ويعظم في بقية الأفراد، وبذلك يشهد الملكوت في كل شيء، فيكون إنسانا بالشكل ملكا بالمقام، ولا وسيلة إلى ذلك إلا بالبر للنفس، وهو أن ينكشف للإنسان حقيقة السعادة، ويعلم طرقها وموجباتها، وأنها بأخلاق شريفة لا بد منها، وعقيدة حقة كاملة اليقين، ومعاملات حسنة تجعل كل مخلوق في عينه كنفسه في الحقوق له وعليه، متساهلا فيما له بجهاد نفسه، محافظا على القيام بما عليه بما يراه من نفسه حينما يكون له على غيره حق، حافظا منزلة كل فرد بحسبها . أحبت نفسه أو كرهت . حتى يذللها ويهذبها، ويجعلها تألف الحسن من كل شيء من عمل وقول، ولديها يكون قد أبر نفسه، فإذا تعاصت عليه في أمر نافع فيه خير للدين؛ يتساهل معها في مباح لئلا تنفر منه، فيمتعها بما أباحه الشرع بوجه تتلذذ به، ويحاربها في غضون ذلك لتساعده على برها وتهذيبها، وأن لا يكون عق نفسه. وللبر بالنفس أبواب وأنواع ظاهرة لمن تدبر في هذه الحياة الدنيا.

ذكر الجلوة:

إن العبد المراد للحضرة الإلهية بالمحبة السابقية له؛ يرزقه الله بصحبة الإنسان العارف الكامل بالوراثة المحمدية، ويرزق العبد الفقير الطالب لله تعالى حب الإنسان العارف الكامل، حتى يتأدب به له ومعه منه أدب من قال: ﴿أدبني ربي فأحسن تأديبي﴾ ﴿ﷺ وآله﴾، وعند ذلك يظهر عليه الانقياد الظاهر والباطن، حتى أنه لو عاين ما يخالف الشرع ـ الذي اطلع عليه هذا العبد ـ يؤول ما عاين من

شيخه بتأويل حسن، لأن الشيخ المرشد لم يكن إنسانا كاملا إلا بعد تحققه بالمتابعة المحمدية ظاهرا وباطنا، غير أن القاصر أو المقصر من الخلق . لعدم اطلاعهما على رموز معانى الشرع الظاهر وفك طلاسم سر الشرع في الباطن يرونها مخالفة في الظاهر، فيقعون في حق أهل الله بغير حق، فإذا تحقق العبد الفقير الطالب لله تعالى بالمحبة الصديقية؛ أمدها الإنسان العارف الكامل بالوراثة المحمدية بمدد يفنيه عن نفسه وعقله ودنياه وآخرته وترسم صورة الشيخ في صورته حسا ومعنى، وحينئذ يرى الغائب ويغيب عنه الظاهر، فلا يزال الشيخ المذكور يمده بمدده حتى يتحقق بمشرب شيخه العارف المذكور، فيتحقق بما يتحقق به شيخه، فيرى ذوقا بتزكية شيخه من المذكور حقا، فيكون ذاكر بجميع أجزاء جسمه بما يناسب كل عضو وكل جزء من الذكر الظاهر والباطن، لا يفتر عن ذلك طرفة عين.

وفى هذا المقام يكون في مقام خلقيته، ولكن محبوب ومراد للإنسان الكامل المرشد له، فيذوق العبد حلاوة التحقيق بمدد مرشده، حتى يتحقق بمظاهر الأسماء والصفات، فيترقى إلى ذوق معاينة تجليات الأسماء والصفات، وحينئذ لا يرى ولا يسمع إلا أسماء وصفات، فتكون الأسماء والصفات هي الذاكرة، والعبد يرى نفسه عدما لا قدرة له على شيء، فيكون في مقام الإحسان، فيترقى برضا شيخه وحبه وزيادة اليقين في شيخه في كل طرفة عين، والتسليم الكلي من العبد المراد لشيخه العارف الكامل بالوراثة المحمدية، حتى لا يكون غيره، ويكون مراد الشيخ هو مراد العبد الطالب لله، ولا، ولا مراد للعبد مع مراد المرشد له، فيمده شيخه المحبوب له بمدد خاص روحانى حقى مُحَّدى، فيجعل هذا العبد الفقير المتأدب الأدب القلبي

الفارق الفاني في محبة معشوقه المتعزز بالعزة اللاهوتية، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1] حقيا باطنا خلقيا ظاهرا، فيكون بفضل شيخة عارفا بالذكر من جهة الحقيقة باطنا، ومن جهة الخلقية ظاهرا. وذلك ذوقا.، فعليك أيها المحب الطالب لله بمصاحبة أهل الله، العارفين الكاملين بالوراثة المحمدية والعلوم اللدنية، المتلقين العلوم بالإلهام من الحي القيوم الوهاب المعطي.

(1)سورة المنافقون آية 8.

الفصل الرابع

الخصوصيات

لما كان الطريق هو المحجة والشرعة التي يسير عليها السالك إلى الله تعالى، متمسكا بها بقدر استطاعته، كان ها منار يستدل السالك به على أنه لم ينحرف عن المحجة، والسالك يجهل مخاوفها، ويجهل سبل الأمن منها، فكان لا بد من صحبة المرشد العالم بأقرب الطرق وأأمنها، والمسافة الموصلة، والزاد الكافي، والراحلة، والسلاح الواقي من شرور الأعداء في الطريق، فإذا سعد المريد بهذا المرشد؛ وتمسك بهديه واقتفى أثره كوشف بأسرار كل منزلة وصل إليها، وشاهد أنوار كل آية مر بها، فيزداد علما عل علمه لما شهده من الآيات والأسرار، ولم يكن هذا الشهود إلا بتجرده عن ما كان حاجبه من أخلاق دنيئة، ومطامع فاسدة، فيكون كلما انتقل من خلق رديء إلى خلق حسن، ومن أمل فاسد إلى ثقة بالله وتوكل، كأنه انتقل من مدينة فاسقة إلى مدينة فاضلة، ومن بين وحوش كاسرة إلى عوالم آنسين آمنين، فتكون أول خصوصية له زهده فيمن هو بينهم، وكراهته في عوائده القديمة وأخلاقه، ونفوره من مألوفاته، وتباعده عن أقاربه وعشرائه الذين لم ينتقلوا معه إلى تلك المدينة التي وصل إليها، فإن الانتقال المعنوي أقوى في التأثير من الانتقال الحسي، فينكر عليه العارفون به قبلا، ويرمونه تارة بالبله أو الجنون أو الحمق أو الجهل، للمباينة التي حصلت بينه وبينهم، وهذا الأمر أول عقبة من عقبات الطريق، فإنه إذا تميز بالخصوصية وعارضه أهل عصره ربما التفت إليهم فوقع في الجدل، ورجع إلى ما كان عليه من سفاسف الأخلاق، وسيء الأعمال، وربما كان سيره على يد مرشد كامل يهذب أخلاقه، فيتحمل لوم

الخلق، ومعارضة البعداء، وإنكار الجهلاء غير ملتفت إليهم، مقبلا على سيره وسلوكه مجدا فيحصل له المزيد، لأنه كلما انتقل من عادة ذميمة إلى جميل العادات حصلت له مشابهة بالملكوت الأعلى، وأشرقت عليه من سماء الفضل الإلهى شمس التخلق بأخلاقه سبحانه وتعالى، وكوشف بأسرار ذلك؛ فيشتد شوقه، وتقوى رغبته، وينقبض صدره عن كل الخلق الذين لم يتجملوا بما جمله الله به، لبعد ما بينه وبينهم من المسافات الطويلة المعنوية، ولما ملأ الله قلبه من عشق الفضيلة، والشوق إلى الحق، والتجافي عن دار الغرور، وما أبعد الله به غيره من التلذذ بالعاجل الفاني، والمسرة بجميع ما يضر ولا ينفع، ومنافسة كلاب الدنيا لجمعها، والنملق لأغنيائها وحكامها، من الأخلاق المنحطة، والصفات السافلة التي تترفع عنها بعض الحيوانات البهيمية.

فتكون لهذا السالك خصوصية ثانية تكشف له سيما الخلق، فيرى في أشكال بني آدم في حلل القرده والخنازير والكلاب والوحوش والحمير، فيشتد نفوره، ويقوى عاجل الوجد في قلبه بالفرار منهم خوفا على نفسه من العدوى بهذه الأمراض الملهكة، فيرقيه المرشد بترقية قلبه إلى فسيح العاطفة على الخلق، والرحمة بهم، فيحصل له به الأنس مع كمال التباين، كأنس الطبيب النافع بالمرضي ليخفف عنهم الآلام، أو يزيل عنهم المرض، وبهذا يظهر للناس بحالة لا يألفونها وبعلوم لا يتعودون سماعها، وبأحوال لم يكونوا أهلها، فيشتد الإنكار عليه. وهذا بلاء من الله له ولأهل زمانه، لأنه لم يكن مرشدا متمكنا فيريد الله تعالى بتسليط

الخلق عليه قبل تسخرهم له، حتى يتمكن من مشاهدة التوحيد في تسخيرهم له أن الفاعل هو الله، وبلاء للخلق لأنهم لم يقبلوا النصح من نصوح مخلص.

وقد يكون السالك من أهل الخصوصيات العالية فتدوم وحشته من الخلق، وللمرشد النظر في أن يلقنيه من أسرار الحكمة، ويأمره بمعاملات خاصة، ومشاهدات خاصة من أسرار التوحيد، حتى يفنى عن نفسه، ويطيب أنسه بالوحدة بعد النفور من الكثرة، وهكذا، حتى يترقى إلى حظائر القرب مقبلا بكليته على القدس، مخلصا في سريرته، فإذا دام اصطلامه، وقويت أحواله وأشرقت شموس معانيه فسلبت ظلال مبانيه؛ ألبس حلل الأفراد وكان عند لك مرادا.

وخصوصية لا تكشف بالعبارة، لأنها مشاهدات عن عين التوحيد، ومكاشفات عن مقام التمكين، وكم في الطريق من خصوصية لو ظهرت لنوعت الأفكار، ووافقتها الأقدار، وقلبت الحقائق، وأظهرت الدقائق، وإنما يدرك الخصوصية أهلها، ويسلمها ذووها، ويعاديها من حرموها، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

1. التحلى بالتخلى:

التخلى خمسة: برزخ، وقلب، فروح، فخفاء، فأخفى.

والتحلى خمسه . يقابل كل خلعة خلعت بحلة توهب .: معية، فعندية، فهوية، فواحدية، فأحدية.

2. مشاهدة التوحيد بالتوحيد:

مشاهدة التوحيد بالتوحيد فناء عنك به، فظهور معاني صفاته، فظهورك هيكلا نورانيا، فتمكينك بعبد جامع للضدين، متحقق بالنسبين.

خفيت معاني الصفات بظهور معانيك بعيون رأسك فكنت عبداً. وخفيت معانيك بانبلاج أنوار معانيه بعين روح القدس التي نفخت فيك فكنت عزيزا ذليلا، غنيا فقيرا، قادرا عاجزا، عالما جاهلا، حيا ميتا، مضطرا منعما فسبحان من ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[1].

3. النظرات النبوية:

أيها المشاهد لتلك المظاهر الكونية، الغاض عين الفكر عن أسرارها الخفية، المعرض بجانبك عن مكنون آياته، النائي بك عن التحلي بجواهر زيناته، المحبوس في ظلمات سجن طبعك، المكبل بقيود حسك وطمعك، العابد لشهوتك، المنافس في لذتك، المتيقن السراب ماء طهورا، والدار الدنيا نزلا قريرا، الفاني فيما لا بقاء له، والعاني بما لا يحسن مآله، رويدك، فوراء ما وقفت عنده الحياة الأبدية، وفوق ما غفلت به السعادة السرمدية. فتنبه، وانظر بعين فكرتك في حكم تشهدها ببصرك لا ببصيرتك، وتأمل فيما أحاط بك وما فيك، من محض إحسان مولاك ما به مواليك، فإذا تلذذ بالنظر بصرك، وذاق الحلاوة فكرك؛ وتلألأت لك أسرار تلك المظاهر؛ وتمتعت بالنزاهة في روضها الزاهر؛ وزج بك في محيط التدبر

---

(1) سورة الأنعام آية 13.

والإمعان؛ فشم عنده عبير طيب الإيمان، ثم طهر أذنك من صممها الحسى، ومن قيدها السفلي النفسي، واصغ إلى نغمات تلك الآيات؛ عند تسبيحها بأفصح العبارات، واسمع منها ما ترتله في آيات الزينة، وما تبيح به مما عن سواك تخفيه، فإذا طاب سمعك بنغمات أوتارها الروحانية؛ وقرت عينك بمرأى تلك الجمالات القدسية؛ عندها تطرب الأفئدة القلبية، وتفجر من أرض القلرب عيون البصيرة النورانية، مشاهدة لبديع محكم تلك الأسرار الكونية، فتسبح في بحر الإحسان بعد التمكن في مقام الإيمان وتذوق حلاوة الحياة الباقية، وتتوب من ظلمك لنفسك بوقفتك عند الحظوظ الفانية، فيحليك ربك بحلل المتطهرين التائبين، حللا طرزت جمالات ﴿طس﴾[1] ومحبة رب العالمين، وهدى سنة الأمين ﴿ﷺ﴾ وآله﴾ وصحابته وأزواجه والتابعين آمين.

4. النظرة القدسية:

هاء الهوية نور شمس عين المعية، وصاد مشكاة المظاهر هي السين الحاجبة لقاف المعاني، فإذا أشرقت شمس الأحدية بنوها الكمالي؛ وأضاء بها زيت هذا المشكاة المثالي، انمحقت نار المظاهر، وانسلبت أفياء الناظر، وانجلى بمجلى الذات حقيقة القرآن ثبتت الكمالات لأهل الآيات، ولاح حق اليقين من مقام ﴿الرَّحْمَنُ

([1]) إشارة إلى الآية الأولى من سورة النمل.

عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾[1] وشهدت أنوار الأول والآخرو الظاهر والباطن، وأفيضت الحلل العلية على أهل الحسنى الأولية ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾[2].

5. حسن المعاملة:

أحسن أيها الإنسان فإنما أنت تعامل ربك في أشخاص خلقه، فكن قائما بالحق، مشاهدا لربك في كل عمل، مؤديا الحقوقه التي أوجبها عليك لكل موجود. وأد هذه الواجبات للحق غير ناظر إلى من قدمتها لهم من الخلق ولا تقف عند الواجب فقط، بل تتقرب إليه سبحانه بالنوافل، والنوافل في المعاملة أن لا تنسى الفضل بينك وبين عباده، ومن تمام الفضل علم المعروف مشفوعا بشفقة وحنان ورحمة، وظهور أنك أنت الذي عمل لك المعروف، مشاهدا أنك متحقق به، فإن الله سبحانه وتعالى ـ الذي عاملت عباده لأجله جلت قدرته ـ يحسن عطاءك بما لا قدرة لجميع الخلائق عليه من الهبات والإحسان والفضل، ولم تنل ذلك منه سبحانه إلا بمحض الفضل الذي أعانك عليه، ووفقك له، وكان حسن معاملتك لعباده فضلا منه سبحانه عليك، ثم أجزل لك الجزاء، ورفع شأن كبحسن الذكرى بين الخلق ورفع المقدار، والمحبة منهم، فانظر رحمك الله تعالى فضل حسن المعاملة، وكن محافظا عليها مسرورا بها.

([1]) سورة الرحمن 1. 2.

([2]) سورة الصافات آية 164.

6 – الزهد والفقر:

قال تعالى ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾[1]

وقال تعالى: ﴿وَرَضُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾[2] الفقر تحقق الاحتياج إلى الله تعالى في كل نفس وطرفة وحركة وسكنة وأقل وأكثر، بحيث لا يغفل قلب العبد المتحقق بحق العبودية في جميع آناته عن اليقين بكمال اضطراره إلى الواحد المنعم المتفضل الوهاب المعطي، فيكون مقامه المتمكن فيه الفقر إلى الحق، وحاله الشكر عند تمام النعم التي لا تنفد بقدر اللحظات والأنفاس، وما يغذيه به من النعم المحيطة به. فالفقر حقيقة رتبة العبد شهودا ووجدا، ينظر به إلى مقام الحق نظر حفظ للمكانة والمقام، والحق هو الغنى لذاته بذاته لا بأموال وأسباب. والعبد هو الفقير لذاته بذاته ولو كثرت الأموال والأسباب. لأنه سبحانه وتعالى هو الموجد لكل شيء، الواهب لكل شيء: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾[3].

فالفقر إذا حلل أولى العزم من الرسل، وجمالات أولى الهمم العلية من الصديقين، يسارع إلىالتجمل به . ببذل الموجود وصرف المجموع . من ذاق حلاوة معناه، وتحقق بمشاهدات أسراره، ولذلك فالفقير في الحقيقة هو الغنى الشاكر بهذا المعنى، لأنه استبدل الدنيء بالعظيم، واشترى حلة كمالاته وزينة حياته الباقية بما

([1]) سورة النجم آية 29.

([2]) سورة يونس آية 7.

([3]) سورة الحجر آية 21.

يفنى من العرض الدنيوي، وحفظ رتبته عند ربه سبحانه وتعالى بإسقاط شهرته عند الخلق.

وكيف يذوق لذة الأنس بالله تعالى من لم يمض عليه نفس ولا أقل ولا أكثر إلا وهو في غاية الفقر إليه سبحانه أن يمده بنعمتي الإيجاد والإمداد، ومع ذلك يغفل وبعد تفسه غنيا بأعراض نفني، وأموال تزول، وأسباب تنتهي، ويتلذذ بنسبته إلى الغنى من قبل الخلق وهو أفقرهم لكثرة احتياجة إلى الأعراض والأسباب ؟لا شك أن مثل هذا لا يتلذذ بالأنس بالله تعالى، إنما يتلذذ بالأنس به سبحانه من تيقن حقيقة الافتقار إليه سبحانه، ودوام الاضطرار إليه جلت صفاته، فلازم العكوف على أبوابه، وداوم اللزوم لأعتابه، متيقنا بفاقته واحتياجه، زاهدا فيما يفنى واثقا بالعوض من الله تعالى، وهناك معنى يشهده أهل الجمع الأكبر في مقام التجلي من المحبوب الأعظم عند التخلق بأخلاق الله تعالى، وهي أن الفقير الزاهد بعد أن ملك الدنيا وزهد فيها صار غنيأ عن الأعراض والأسباب، فتخلق بالخلق العظيم، وشهد الغنى المطلق ظاهرا، وهو سر خفى يذوقه أهله من أهل الجمع الأكبر ولذلك فالفقر والزهد كانا صفات الأنبياء والمرسلين، والصديقين من المقربين.وجاهد المريدون أنفسهم بالبذل، والتباعد عن مواطن الشهرة والسمعة، والمزاحمة في جيف الكلاب، والتقرب إلى أهل الدنيا من الأمراء والأغنياء، كل ذلك من الغفلة عن علم نفسه ومعرفة مكانته، وجهله عن نسبة ربه تعالى: إذا لا يحتقر الفقير والفقراء إلا مبعود عن حلاوة الإيمان، مقطوع عن منازل الأبرار، فعظم الفقراء واخضع لهم، وازهد في الدنيا وما فيها ثم قم فشاهد أنوار الغنى المغنى بنور

بصيرتك، واقتطف من أزهار التحقق بأنك عبد الفقير المحتاج إليه – أزهار ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾[1].

7 – النظرات الملكوتيه:

القلب إذا جمل بالمعاني وحجب بالمبانى كان حجابه نورا نيا، وكان أميل إلى عالم الغيب عقيدة وتسليما، لا كشفا وتحقيقا.مع انقياده للأهواء والحظوظ، الباعث عليها مقتضى الآدمية وداعي البشرية، ولكمون تلك الأسرار في تجويف القلب.فإذا كان له سابقة حسنى بأن ينعم في كون الدنيا بمشاهدة كن الأخرى أمدة الله بعالم به، مذكر له بأسرار شهدتها لطائف قلبه وتجملت بها سريرته، فاجتمع عليه قوتا السماع الظاهر المذكر للجمال الباطن، والسر الكامن الذي هو حقيقة مسع ورفع هذا الحجاب، لأن الحظوظ والأهواء الحاجبة إنما تكتسب من الحواس الظاهرة، فإذا صفت الحواس إلى الذكرى ووافقت الحقيقة زال المانع وظهرت أنوار الملكوت فكان الملكوت كأنه عند الذكرى رؤيا عين، لما ينبلج في القلب من الأنوار الكاشفة لحجاب الحظوظ في القلوب، فيشرق عليه من تلك الذكرى أنوار تكشف له عوالم الملكوت فيشهدها بعيون قلبه وتلك الذكرى لا تؤثر هذا الأثر إلا إذا أثرت على الجوارح تأثيرا ينسيها مقتضياتها، ويفقدها لوازمها، ولا تكون إلا بمجاهدة لتلك القوى بإذن مرشد كامل عالم بأمراض النفوس، ومكاشف بأدواء القلوب، أوبحال سماوي تجمل به إنسان واجد، في حالة علم، أو عمل

([1]) سورة طه آية 131.

بدني، أو ذكر لساني، والحال أقرب مسلك لهذا الشهود.وإن كانت المجاهدة آمن في السلوك؛ ولكن لكل سبيل منها مزالق أقدام ومزالق قلوب؛ إذا لم تكن على يد المرشد وبإذنه وباستحضاره، فقد تنتج المجاهدة مشاهدة . لا عن علوم اليقين والتوحيد، ولكن عن التصريف والتكوين . فيخلد المجاهد إلى الأرض وكان يتوسل للعروج إلى السماء. وقد تنعكس فتجعل له علوا في الأرض بغير الحق، وغرورا بنفسه، وازدراء للخلق، لما يتراءى له من حسن عمله وكثرته، ولما ينفثه عدوه في قلبه ليرده عن سبل الوصول، ومناهج القبول. ولكنها آمن لأن الزلل فيها مدرك تلافيه، والخطأ فيها ممكن تداركه، لأن المجاهد بمجرد تركه المجاهدة إذا حصل منه زلل؛ أو نفر الناس منه؛ أو واجه ذا حال؛ صغرت المجاهدة في عينه واحتضر نفسه.

وللأحوال دخن قد يعشى البص ويعكر البصيرة إذا لم يكن على يد المرشد، فإن الحال يشهد صاحبه من مشاهد الملكوت في لحظاته ما ربما تخيل أن هذا الجمال عين الجميل، وأن هذا الحسن عين المحسن، لعدم تلقيه الحكمة العالية من أفواه العلماء بالله تعالى، العالمين بمراتب الوجود. ومتى قوى شهوده فقد يمحو وجوده، فيختلف علهي الظهور بالظاهر، والبطون بالباطن، وهي الوقفة التي ربما لا ينتقل منها، لأن أنوار الشهود تجعله لا يسمع لقائل، ولا يأنس بواعظ

وقد قلنا إنه أقرب مسلك، لأن الإيمان فيه أكمل، والوجد إلى الوصول أسرع، والمرشد أعلم بدوءا تلك الأمراض، فعلى السالك المريد الفضل والرضا أن يرى أمره ولو فيما لم يستبن له وجهه أو فيما صعب عليه . أنه دواء لمرض خفي أو

رعونات نفس، والنظرات الملكوتية قد تقوى في أثناء لوزمها مع المرشد، حتى لا يحس الإنسان بما كان يحس به أولا، ويكون ملكوتيا خالصا في أنفاس الحا ل، حتى إذا رجع إلى الملك ميز بين الحضرتين، وأدرك الفرق بين المشهدين.

8- الأمل والعمل:

العاقل بعد أن يعمل يأمل، لأنه خلق ليعمل لا ليأمل، ولأن العلم نافع مطلقا للعامل ولغيره، لأن لذة العمل تغنيه عن بطالة الأمل، والأعمال تتفاضل بحسب ماهياتها وكيفياتها ونتائجها ولم هي أو لمن؟/ وبحسب مقاصد العامل وعلمه بإتقانها وعملها على الوجه الأكمل، وكل عامل يعمل لكفايته وسد حاجته فليس بعامل في الحقيقة، لأن بعض أنواع الحيوانات يعمل لنفع غيره: كالنحل والنمل وديك الدجاج وكلب الصيد، وتتلذذ تلك الأنواع بنفع الغير أكثر من نفع نفسها، وهذه النسبة محفوظة في كل العمال. سواء كانوا عمالا للدنيا أو الدين أو الآخرة. قال ﴿ﷺ وآله﴾: ﴿خير الناس عند الله أنفعهم لعباده﴾

فكثير الصلاة كثير الصيام كثير الفكر عامل لخير نفسه، وخير منه من توسط، وخالط الناس ونفعهم بعلمه وعمله وماله، وخير العمال من كان عمله عن عمل وإخلاص، مريداً به التقرب من الله والرضا منه سبحانه وتعالى، معلنا به: عند حسن النية، وأمن الفتنة، وتحققه أنه خير لا شك فيه ولا ريب. ومسرا به: عند خوف الفتنة، أو تفرقه جماعة المسلمين، أو دخول الآفة على قلبه من غرور أو كبر أو طمع، أو علو في الأرض بغير الحق.

فإذا جاهد العامل نفسه؛ واطمأن قلبه بظهور الحق وانبلاج حجبه؛ قام عاملا لله، داعيا إليه سبحانه بالحكمة والموعظة الحسنة، غير مبال بمعارضة الجهلاء، واستهزاء المستهزئين، موقنا أن ثوابه من أهل العناد أعظم من ثوابه من أهل التسليم، لأنه إنما يعمل لله تعالى الذي لا يضيع عنده أجر العاملين، وأن الدرجات العلا خاصة للمجاهدين الصابرين ﴿الَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[1] ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[2].

9 – نور اليقين وظلمة الوهم:

أ. نور اليقين.

لليقين نور يشرق على القلب فتقلص منه أفياء الشكوك وظلال الريب، فإذا أشرق هذا النور على القلب قبل أن تلابسه أدران الحظوظ والأهواء، وظلمات الأطماع والآمال بقرناء السوء، والغفلة بأعمال الضلال ومصاحبة الضلال، اتسع تجويف القلب وقبل النور، فاستبان له معالم الحق وسبل الهدى والرشاد، وتكشفت له الدنيا عن حقيقتها فعلم نفسه ودنياه ومآلها، فأقبل بالجد لتزكية نفسه وخلاصها من شوائب الرذائل، وطبائع السوء الحاجبة له عن كمالاته الإنسانية، ومقاماته العلية، مستسهلا كل جهاد في نوال هذا الحظ، معظما قدر أنفاسه التي ينفقها، متحققا أنها البراق الموصل او هي المراحل التي يقطعها في خير الأعمال، لينال خير

([1]) سورة العنكبوت آية 69.

([2]) سورة السجدة آية 24.

الجزاء، أو هي السجل الذي يطوى بأعماله ثم ينشر ليجازي بما تضمنه من خير أو شر.

فيكدح بانشراح صدر في نيل الفوز، موجها وجهه للذي فطر السماوات والأرض حنيفا، لا يلتفت وراءه ولا يمنة ولا يسرة، خوفا من ضياع نفس وطرفة وحركة بغير ربح وقرب وتقرب وعمل صالح نافع للجميع، فلا يلبث إلا وقد زكت نفسه واتصلت بعالم الغيب، عالم الملكوت الأعلى، وظهرت له الآيات في الأرض وفي السماوات، ثم يشرق له نور بين يديه ويمينه، فيرى أكمل الآيات وأجلى التجليات في نفسه، ويشهد أنه الآية الكبرى والمثل الأعلى، ويقوى اليقين بالتمكين بعد التلوين، فيحضر بعد اليغبة، ويقرب بعد البعد، ويسكن بعد الحركة ﴿وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[1] لديها فالدنيا آخرة، لأنه ليس في الدنيا ولا من أهلها وإن كان فيها بالجسم فقلبه معلق بالملأ الأعلى.

فإذا بلغ هذا المقام نال الفلاح، وتوالت عليه البشرى من الله تعالى في الدنيا والآخرة، وكان مع الله، والله سبحانه معه وعنده، إلا أنه بشر لا ينفك عن قيود البشرية؛ من القبض والبسط والجمال والجلال، إلا أن مشاهداته تتفاوت، فقد يحزن لما لا يحزن الناس، ويفرح بما لا يفرح به الناس، لأن مشاهداته عن حقيقة التوحيد، فيشهد أسرار التوحيد في شئون التجديد بلا لبس في حقيقة التوحيد، بل لتحققه بالضعف والانكسار، والفاقة والاضطرار، فيخاف مما يشغله أو يلفت قلبه

([1]) سورة الرعبد آية 15.

أو يمكن الشيطان منه عند تغير شأن، أو إبطاء لازم له، أو معارضة الجهلاء، أو حلول مرض، أو ظهور بدعة، أو ظهور أهل الضلال. كل تلك الشؤون تحزنه خوفا من تلك المعانى، مع طمأنينة قلبه بنور التوحيد، فيبتهل للولى القريب، ويستغيث بالقادر المجيب، وقد يفرح بصغير الأشياء لأنه شهد المعطي يها فيفرح به سبحانه. وتلك المقامات بها تظهر العبودية بحقيقتها النسبية على قدر العبد لا على قدر سيده، فإن العبدالأكمل والمراد الأعظم فرد الذات ﴿ﷺ وآله﴾ قال: ﴿سبحانك لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك﴾ اللهم إنا نسألك حسن اتباعه، والمحافظة على سنته ﴿ﷺ وآله﴾، ونوال شفاعته وجواره في الدنيا والآخرة يارب العالمين آمين.

ب- ظلمة الوهم

وللوهم ظلمات بها تقفل القلوب وتغلق، وتكون في أكنة عن الهدى والنور، لا تقبل الحكمة ولاتصغى للذكر لان الحظ الذي جمله الوهم لصق بالقلوب، فتوجهت إلى نواله وسخرت من غيره من الحقائق. وقد تتكاتف ظلمات الأوهام بما تستمد به من المشاكلين والمجانسين في المباديء الفاسدة والأهواء المضلة، حتى تنطمس البصائر، وتدنس السرائر، وتخفى معالم الهدى، وتستبين سبل الغي و تمكن الشيطان من القلب فيلم به ويمده بالشكوك، والضلالات ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ﴾[1] فتضعف أنوار الإيمان حتى تكاد تزول من

([1]) سورة الأعراف آية 22.

القلوب، ويكون الإنسان مسلما في المولد والمنشأ وليس في قلبه ذرة إيمان ولا استسلام، لأن الإيمان نور يتضح به سبل الحق، وتستبين به حججه وبياناته، وتفهم كلماته، وتشهد به آياته، فإذا قوى الوهم أزال الفهم ولا سبيل إلى حفظ الإنسان من هذا المرض إلا بمعونة الله له بصحبة أهل اليقين، وصحبة العلماء العاملين، نسأل الله التوفيق لما تحبه ويرضاه آمين.

1- الدنيا والآخرة

أ. الدنيا:

المؤمن إذا ذاق حلاوة الإيمان وعلم شعبه؛ وفهم أسرار الأوامر والنواهي؛ ووفقه الله سبحانه وتعالى للتمسك بالعروة الوثقى؛ وأعانه سبحانه على أن يسير على الصراط المستقيم بنشاط وسخاء وشجاعة وانشراح صدر؛ وسكون نفس إلى جناب القدس الأعلى؛ وطمأنينة قلب بالحق، تنكشف له الدنيا عن حقيقتها وعن سر ماخلقت له، فيعمل فيها عمل المتزود منها، المدخر فيها لآجله، الذي يكنز الكنز العظيم لينتفع بما فيه عند الضروروة والحاجة، آخذا منها لوقته مالابد له منه لحفظ كيانه وآله، بقدر الحاجة التي تلزم مثله من زاد لنفسه ولأهله وأولاده، وبلغة تبلغه ما أوجبه عليه مولاه من إغاثة ملهوف، وإجابة سائل، ومعونة مضطر، وتأدية فريضة حج أو جهاد أو نفقة على من تلزمه، مراقبا في ذلك الأوجه التي نهجها له الشرع، ملاحظا أن ذلك عمل لمولاه سبحانه، وتأديته واجب أوجبه الله عليه لنفسه ولغيره. فيكون في عمله للدنيا عاملا من عمال الله تعالى، حاضرا في معية الحق مجملا برضاه سبحانه في حصون الحفظ وولايه الولي، وتكون الدنيا له

ليست دنيا ولكنها سوق تجارة راحبة، ويكون المؤمن العامل بهذا هواليأسر الفالح فيها، ينتظر الفضل العظيم والفرج القريب " انتظار الفرج عبادة" وبذلك يدوم أنسه، ويطيب وقته.

العمل في الدنيا لابد منه:

والعمل في الدنيا واجب لا بد منه وليس هو للدنيا، وإنما يكون للآخرة أو لله سبحانه، وأعمال الدنيا قد تقدم على غيرها من العبادات عند المتقضى، كالسعي علىالمعاش لمن عنده عائلة وأهل، فيكون له أجر أكثر من أجر العابد التارك للتكسب، لأن مقام التوكل على الله سبحانه لا ينافيه العمل للكسب، فرب عامل في شئون الدنيا أقرب إلى الله سبحانه لحسن توكله عليه، من عابد مشغول القلب بمعاشه، لصفاء قلب الأول وطمأنينته بما يسره الله سبحانه له من الرزق، وبسطه له من الخير، وقد يكون إصلاح شئون الدنيا بعمل المنافع العالمة، والتفات المسلمين إلى العناية بحفظ دنياهم ونفوسهم بالأموال والصنائع والزراعة والتجارة والعلوم الكونية التي يعدون بها العدد والعدد لتجديد السنة، وإعلاء الكلمة، وإذلال الكفر وأهله.

واعتزاز المسلمين وتمكينهم في الأرض بالحق عند الله سبحانه من أفضل الأعمال المقربة لجنابه العلى مع النية الخالصة والرغبة فيما عنده سبحانه، وكل زمان له مقتضيات بها تفضل بعض الأعمال على بعض، هذا بالنسبة لغير الفرائض اليومية والواجبات المفروضة تبعدا لله سبحانه، واستحضارا لعظمته. فإن

شعب الإيمان تتفاوت بحسب مقتضى الوقت، وقد يعمل العامل عملا لا يقتضيه الوقت فيرد عليه وربما ضره، كما يفعل الجاهل الذي يجمع الأموال ويتساهل بصحته، مع أن المحافظة على الصحة أولى من جمع المال، وإنما يجمع المال للمحافظة على الصحة. ونحن في زمان الواجب فيه العمل لإصلاح حال المسلمين مقدم على كل عمل، خشية من أن يستاهل كل فرد ويسعى في صالحه فيضيع فضل الجماعة، والله سبحانه وتعالى يوفق الجميع لما فيه سعادة الدنيا والآخرة.

ب ـ الآخرة:

المؤمني الذي أمدته العناية الإلهية فآمن بالغيب، وانقاد بتوفيق الله لتأدية الأوامر واجتناب النواهي، مجاهدا نفسه في طاعة الله تعالى، ناهجا منهج العزائم في جميع شئونه، حتى ينطبع على الأكمل من كل شيء بانشراح وشاط بعد المجاهدة والعناء، إيمانا بالغيب وتسليما لله تعالى، ورضاء بأحكامه سبحانه، محافظا على حدوده، قاهرا لحظه وهواه، كابحا جماح غيه وبغيه، متجافيا بجانبه عما يلائمه مما حظر عليه الشرع، متقللا من الدنيا بقدر الاستطاعة، عاملا فيا بقدر الضرورة، صارفا وجهه عن كا شاغل فيها مما يلذ الأنفس وتهواه الطباع، هذا العامل يفوز بربح تلك التجارة، ونعيم ذخائره، وملاذ كنوزه التي سجلها له مولاه، وتفضل عليه بها جزاء حسن معاملته لسيده، وقيامه بحقويق الرعابة فيما استرعاه في رياض دانية، ونعيم لا يفنى، وحلل من الجمال لا تبلى، في ظل ظليل وطهور وسلسبيل، وحور وولدن، لا يأسن ماؤها، ولا يبلى جديدها، ولا تغرب شموسها، ولا تتغير أزهارها. والمؤمن فيها غض نضر، يتجدد شبابه في كل نفس ويزداد جماله في كل

لحظة، تتجمل به الفردوس وتتولى أعماله الملائكة، سرور دائم، وبهجة لا تزول، وفضل يزيد، وإحسان جديد، تحن ها الأرواح، وتطيب بها الأشباح، نورها نورها، وراحها روحها ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾(1)

هي الدار فضل الله يعطيه من	نعيم بلا كد طهور بلا رشا
ـــــــــــــــــــــــــــــا	ـل بها من في العبادة قد نشا
ي الراح والريحان والصفو والرضا	ي نية في منهج الصدق قد مشي
ـــوار رســـول الله أمـــن ومنـــة	

11. الرضوان الأكبر:

المؤمن بعد تحققه بكمال التصديق بالغيب؛ وتوفيقه للعمل على طبق العلم؛ وقيامه بما أمر الله سبحانه حق القيام؛ محافظا على الفرائض كلها: عبادة ومعاملة وأخلاقا، متجملا بالقربات النقلية من تلك الأعمال، يكون على مزيد من الله تعالى، فتكشف لنفسه التي تزكت بالرياضة والمجاهدة والجهاد أسرار الآيات من الكائنات، فيشهد غيوبا عن الحس والعقل، ساطعة أنوارها، قاطعة حججها، قائمة بالحق أدلتها، فيزداد إيمانا حتى يبلغ اليقين، ولديها تنجذب نفسه إلى

---

(1) سورة الكهف آية 17. 18.

الجانب القدسي، معرضا عن جانبه الكوني، فيجمل بشراب الإحسان، ويعان على الإحسان فيكون محسنا.

ويدوم جذبه وأخذه من حس العقل، ومنه إلى النفس، ومنها إلى الروح الملكية، فيرى أنوار الملكوت في السماوات والأرض، ثم تقوى أحواله بواردات الحق، فيكشف الله سبحانه له أنوار الملكوت في السموات والأرض، ثم تقوى أحواله بواردات الحق، فيكشف الله سبحانه له أنوار الملكوت في نفسه، فيطيب وقته ويصح حاله، وينتقل إلى مقامات الإحسان، فيرى بعين اليقين أسرار علوم اليقين، ويتحقق بمعرفة نفسه، وحقيقة مبتداه ومنتهاه، ويمنح المعونة على عمل القربات في جميع الآنات، ويكون عاملا من عمال الله تعالى في رياض المعية، حى يشهد التوحيد بعين اليقين، فلا يرى ولا يسمع ولا يحس ولا يجد إلا بالله تعالى عين يقين بيقين، ولديها يكون في حصون ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[1] ويحل عليه الرضوان الأكبر بمواجهة معاني الربوبية لمعاني العبودية موجهة سالبة، موجبة ماحية مثبتة الوجه العلى تجاهه، والنور الجي محيطا به، والولي القريب معه وفقه لأن يجاهد بمعونة الله تعالى في محبته حق الجهاد، فمنحة الرضوان الأكبر، ووصفه لا تفي به العبارة ولا تصوره العقول، وهو من العلوم المضنون بها، لا تعلم إلا بتعليم الله سبانه، ولا نال إلا بفضل الله تعالى، والله ذو الفضل العظيم.

قال:

([1]) سورة الأنعام آية 82.

آه يا درا الفنا فيك البقا ورضا الله وفوز باللقا

ـك نور الله محكم آيه ـراط مستقيم للتقى

ـك منهاج الحبيب المصطفى ـلم للوصل سهل المرتقى

ـت روض للشهود مجمل ـد يراه بالصفا من ينتقى

ـك أنوار التجلي أشرقت طهور بحانه لمن استقى

ـك آيات وأسرار بها ظوة الزلفى نعيم لا شقا

(تم بعون الله وتوفيقه)

شكر وتقدير

لا يفوتني وأنا أذيل كتاب: "شراب الأرواح من فضل الفتاح" للإمام المجدد السيد مُحمَّد ماضي أبو العزائم أن أتقدم بالثناء العاطر لإخواني آل العزائم فضيلة الشيخ مُحمَّد عامر وفضيلة الشيخ أحمد زهدي عمرو والسيد قنديل عبد الهادي على جهودهم المشكورة في الإشراف على التصحيح والمراجعة والتدقيق والترتيب ليكون خلوا من أخطاء الطباعة.

والله أسأل أن ينفع به المسلمين وأن يجعل خالصا لوجهه الكريم.

شيخ الطريقة العزمية

السيد عز الدين ماضي أبو العزائم

المحامى بالنقض

الفهرس

ربانية	
الإيمان	
التوفيق	
الصدق	
الاستقامة	
المطلوب ينادَى من مكان قريب	
علم الغيب	
الغيب إما كونياً مقضيا أو مقاما خفيا	
الغيب الكونى	
غيب المقامات	
معاملة القلوب لعلام الغيوب	
المعاملة	

له أفل الزيد من التوحيد سابعاً: تلقى العلوم النافعة ثامناً استقامة السيرة مع صفاء سريرة الباب الرابع:فى الإعتقاداتوهمم رجال ومشاهداتهم والسير إلى الله تعالى الفصل الأول: في الاعتقادات الانسان دينى بفطرته الرسول عليهم الصلاة والسلام و بأمرين عظيمين طهارة الظاهر والباطن الفصل الثانى: في همم الرجال الرشاد والإرشاد	